ابن المعتز

وتراثه في الأدب والنقد والبيان

تأليف

محمد عبد المنعم خفاجي

الأستاذ بكلية اللغة العربية

أول كتاب فى الأدب العربى يؤلف وينشر فى حياة ابن المعتز وآثاره الادبية والعلمية

طبع ونشر

مكتبة الحسين التجارية

لصاحبها : محمود توفيق

الطبعة الأولى

١٣٦٨ — ١٩٤٩

الفاروق والنهضة

فى عهد الفاروق الزاهر ، وبفيض من رعايته وتشجيعه وعطفه ؛ تسير النهضة الفكرية والعلمية والأدبية فى وطننا الخالد ، وفى شتى بلاد الشرق العربى ؛ سيرها المتوثب . فتحيى الأمل ، وتجدد الرجاء ، فى مستقبل كريم ، يعيد ماضينا التليد ، ويتمم مابدأناه فى حاضرنا المجيد ، ويبعث التراث الاسلامى قويا فتيا ؛ لبناء مجد الوطن والعروبة والشرق

فالى سدة الفاروق العظيم ، أرفع هذا السفر الجديد ؛ أول سفر يؤلف وينشر عن ابن المعتز الخليفة العباسى الشاعر وآثاره الأدبية . مع صادق الولاء ، وخالص الدعاء ، بأن يحفظ الله ملكه وشبابه ، لمجد الوطن ، وخير الثقافة والانسانية

محمد عبد المنعم خفاجى
أستاذ بكلية اللغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

ابن المعتز

وتراثه في الأدب والنقد والبيان

الكلمة الاولى

بسم الله الرحمن الرحيم

أسأله أن يودع صدورنا نور الحكمة ، ويشعر قلوبنا عز الحق ، وأعوذ به من العجب بما أحسن ، كما أعوذ به من التكلف لما لا أحسن ، وأسأله من التوفيق ما يعصمنا من الحيرة ، ويهدينا سواء السبيل ، وما توفيقى إلا بالله .

موضوع هذا البحث ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان ؛ وابن المعتز علم جديد فى تاريخ البحث الأدبى لم يتناوله كاتب من الكتاب ، أو ناقد من النقاد بالبحث والدراسة والتحليل ؛ وكل ما كتب عنه كلمات صغيرة تستغرق الصفحة أو الصفحات ، فى كتب الأدب القديم ، التى تناولت ترجمة حياته ، وذكر شىء من شعره ، فى إيجاز بالغ ، واقتضاب لايروى غلة الظامئ إلى معرفة الحقائق الأدبية التى نسيت على مر أحقابنا الطويلة ، وهذه الكلمات والتراجم هى التى رددها كتابنا المحدثون ، حين كتبوا عن ابن المعتز ؛ فكان حظه وهو فى عالم الأبدية كحظه وهو حى يغدو ويروح ، وحالفه الإهمال والجحود فى حياته وبعدها ؛ مما حفزنى إلى البحث والدراسة ، وكتابة هذا السفر الجديد ، الذى يتناول هذا العلم الفذ ، والشاعر الناقد ، والكاتب الأديب ، والعالم المجلى فى حلبة العلم والعلماء ، والمؤلف الممتع فيما كتبه وأخرجه من مؤلفات ؛ فى تفصيل واسع ، وتحليل دقيق لعصره وحياته وشخصيته ، وشعره وأدبه وأثره فى النقد والبيان .

على أنى لم أخط خطوة واحدة فى هذه البحوث إلا بعد استقصاء ومراجعة لشتى المصادر ، مما ظهر أثره واضحا فى كل فصل من فصولها ، وموضوع من موضوعاتها؛ ومما ملأ نفسى ثقة بهذا البحث وما يمكن أن يسفر عنه من نتائج فى باب الدراسات الأدبية .

وفى هذا الكتاب بحوث وآراء ونظريات فى الأدب والنقد والموزانة ، أعتقد أنها جديدة كل الجدة ، وهى كثيرة جدا : وفيه كشف لشتى سمات شخصية ابن المعتز الاجتماعية والأدبية والعلمية .

وقبل أن أبدأ فى كتابة هذا البحث شرحت كتاب البديع لابن المعتز شرحا وافيا ، ونشرته فى أوائل سنة ١٩٤٥ . ثم أخذت أجمع رسائل ابن المعتز الأدبية ونثره الفنى وما يمكن أن أعثر عليه من كتابه المفقود «الفصول القصار» حتى اجتمع لدى من ذلك مقدار ليس بالقليل ، فأضفت إليه رسالته فى نقد أبى تمام ، وشرحا وافيا لأرجوزته فى المعتضد ، وأرجوزته فى ذم الصبوح ؛ ونشرت ذلك كله باسم رسائل ابن المعتز عام ١٩٤٦ . وكنت على وشك إعداد كتابه « طبقات الشعراء للنشر » لولا أنى علمت أن أستاذا بدار الكتب سبقنى إلى حمل هذا العبء الثقيل ، كما أنى أخذت أجمع شعر ابن المعتز الذى خلا منه ديوانه المطبوع ، وهو كثير جداً ، حتى جمعت من ذلك مقداراً مناسبا : وبعد قراءتى لديوان الشاعر المخطوط بدار الكتب الملكية وجدته قد جمع كل ما تفرق من شعره ، فوقفت عن المضى فى هذه الغاية ، وعزمت على شرحه ونشره إذا يسر الله وأراد ؛ وقد نشرت جزء مما جمعته من متفرق شعره ذيلا لرسائل ابن المعتز . كما نشرت كتابا جديدا باسم « التشبيه فى شعر ابن المعتز وابن الرومى » فى أواخر عام ١٩٤٨ .

وهذا هو كتابنا الجديد « ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان » أقدمه للأدباء والعلماء والباحثين .

وما توفيقى إلا بالله ؟

محمد عبد المنعم خفاجى

تمهيد

عصر ابن المعتز

عاش ابن المعتز فى العصر العباسى الثانى الذى يبدأ من عام ٢٣٢ هـ وينتهى عام ٣٣٤ هـ ، وهو عصر جديد فى تاريخ الأمة الاسلامية المجيدة .

* *

امتاز هذا العصر بانتشار نفوذ الاتراك فيه ، بعد كثرة العنصر التركى فى الجيش الاسلامى كثرة ساحقة ، واستبدادهم بأمور الدولة ، وقضائهم على نفوذ الفرس من شتى نواحى الحياة .

وتبع ذلك سعة نفوذ الغلمان والنساء ، واستقلال كثير من البلاد عن خلافة بغداد ، وكثرة ثورات العلويين وخروجهم على الخلافة واضطهاد العباسيين لهم .

* * *

كما كثر الترف واللهو والمجون والالحاد وبناء القصور والمدن وانتشار التقاليد والعادات التركية والفارسية الى حد بعيد .

وقد ازدهرت الحركة العلمية وكثر المفكرون والفلاسفة ، واتسعت حركة الترجمة والتأليف ، وبدأ ربط الفلسفة الاسلامية بالفلسفة اليونانية واحتذاؤها : كما نشطت الدراسات الدينية واللغوية والعلمية والأدبية نشاطا كبيرا

* * *

وتبع ذلك نمو الحياة الأدبية وازدهارها ، ورقى الأدب شعرا ونثرا وخطابة ورسائل . وظهر أثر الثقافات المترجمة فى الأدب العربى ، وتعددت نواحى التجويد فيه ، وكثر الأدباء والشعراء والنقاد والمؤلفون ؛ وسيطرت على الشعر مدرسة أبى تمام وعلى النثر مدرسة الجاحظ ، بخصائصهما الأدبية والفنية المعروفة .

إلى غير ذلك من خصائص هذا العصر الفذ ، الذى عاش فيه شاعرنا الكبير عبد الله بن المعتز ، والتى لا داعى لتفصيل الكلام فيها الآن ، لأنها معروفة للمبتدئين والشادين ، ولأن فى فصول هذا الكتاب ما يوضح ألوانها وصورها .

ولا أكتم القارىء أنى كنت قد خصصت بابا من أبواب هذا الكتاب للحديث عن عصر الشاعر من شتى نواحيه السياسية والاجتماعية والعقلية والأدبية ونهضة الشعر إبانه ؛ ثم طويته إيثارا للإيجاز ، ورغبة فى ألا يجنى طوله على هذا الكتاب ، وسينشر فى كتاب مستقل سيصدر قريبا إن شاء الله بعنوان « الحياة الأدبية فى العصر العباسى الثانى »

وما توفيقى إلا بالله ؟

محمد عبد المنعم خفاجى
الاستاذ بكلية اللغة العربية

الباب الأول

حياة ابن المعتز

الفصل الاول

ميلاد الشاعر وأسرته

– ١ –

فى العصر العباسى الثانى ، وفى سامرا مدينة المعتصم وعاصمة الخلفاء العباسيين بعده ، ومنارة الحضارة والعلم والأدب فى الدولة الاسلامية فى القرن الثالث

ولد الأمير العباسى أبو العباس عبد الله ابن الخليفة المعتز بالله ابن الخليفة المتوكل على الله ابن الخليفة محمد المعتصم ابن الخليفة هرون الرشيد ابن الخليفة محمد المهدى ابن الخليفة أبى جعفر عبد الله المنصور ابن محمد بن علـى بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمى جد رسول الله صلوات الله عليه .

فكان لميلاده رنة من الفرح فى قلب والده المعتز ، وضجيج من البشر فى نفس جده الخليفة المتوكل ، وظهر بميلاده نجم جديد فى أسرة الخلافة من بنى العباس

تختلف المصادر فى تحديد يوم ميلاد الأمير ، ويمكننا أن نوضح الآراء المختلفة فى ميلاده فيما يلى :

١ ــ أنه ولد فى شعبان عام ٢٤٩ هـ (١) ، وبعبارة أوضح فى الثالث والعشرين من شعبان ٢٤٩ هـ (٢) ، وذلك يوافق ١١ أكتوبر ٨٦٣ م

وينقض هذه الرواية أن المتوكل المتوفى فى شوال ٢٤٧ ذكر المعتز والد الشاعر ولقبه أبا عبد الله (٣) وذلك دليل على أن عبدالله بن المعتز ولد قبل مقتل جده المتوكل

---

(١) ٦٩٣/١ دائرة المعارف للبستانى ، ٢٤١/١ قوات ، ١٤٦/١ معاهد التنصيص ، ١٩١ تاريخ آداب اللغة فى العصر العباسى للاسكندرى

(٢) ص ٣ مقدمة ديوان ابن المعتز طبع بيروت (٣) ١١٨/٩ الاغانى

٢ ـــ أنه ولد عام ٢٤٧ ﻫ [١] ، وبعبارة أوضح لسبعة بقين من شعبان عام ٢٤٧ ﻫ [٢] ، وذلك قبل قتل المتوكل بأربعين ليلة [٣] ، وذلك يوافق تقدير الخطيب لعمره [٤]

وهذا الرأى هو أرجح الآراء ، وتؤيده كثير من المصادر فيكون ميلاد الأمير عبد الله بن المعتز فى ٢٣ شعبان سنة ٢٤٧ ﻫ ـــ أول نوفمبر سنة ٨٦١م ـــ هاتور ٥٧٨ ق

٣ ـــ وفى ابن خلكان رواية عن ابن سنان أنه ولد عام ٢٤٦ ﻫ [٥] ، وظاهر العبارة يدل على أنه ولد فى ٢٣ شعبان من هذه السنة وذلك يوافق ١٢ نوفمبر ٨٦٠ م

٤ ـــ وهناك رأى آخر غريب وهو أنه ولد لسبعة بقين من شعبان عام ٢٤٤ﻫ [٦]

وهذان الرأيان ليس لها ما يؤيدهما من قوة الدليل

وليس فى شعر ابن المعتز شىء عن سنه إلا قوله :

لا تسلنى وسل مشيبى عنى ... مذ عرفت الخمسين أنكرت نفسى

ومن الثابت اعتمادا على أرجح الآراء فى ميلاده أنه لم يبلغ الخمسين عاما وإنما قاربها وأن عمره يوم قتل فى ربيع الآخر ٢٩٦ ﻫ ، يقدر بأيام وسبعة أشهر وثمانية وأربعين عاما(٧) ، والشعراء كثيرا ما يبالغون فى تقدير عمرهم إظهارا لأثر السن فى الملكات والتجارب والخبرة بالحياة ، والبيت لم أطلع عليه إلا فى رسالة الغفران .

---

(١) ٢٧٩ العدد الخامس من المجلد الاول من دائرة المعارف الاسلامية الصادر فى يونيو ١٩٣٤

(٢) ٩٥ / ١٠ تاريخ بغداد ، ٢٢٣ / ٢ شذرات الذهب ، ٤٦٣ / ١ وفيات

(٣) ١٠١ / ١ / تاريخ بغداد

(٤) ١٠٠ / ١٠ المرجع

(٥) ٤٦٢ / ١ وفيات ، ٢٢٢ / ٢ شذرات

(٦) ٣٠١ نزهة الالبا

(٧) ١٠٠ / ١٠ تاريخ بغداد

- ٢ -

ولأسرة ابن المعتز فى صحائف التاريخ والمجد آثار خالدة حفظها الزمن وهتفت بذكرها الأيام، مما ردده ابن المعتز فى شعره، ونطق به فى روائع فخره، أليس هو الذى يقول :

نحن آل الرسول والعترة الحق وأهل القرى فما ذا تريد
ولنا ما أضاء صبح عليه وأتته رايات ليل سود
وملكنا رق الخلافة ميراثا فمن ذا عنا بفخر يحيد ؟

ولى الخلافة من آبائه ستة من الخلفاء، كان لهم فى صحائف التاريخ الاسلامى ذكر ذائع ومجد تليد .

جده الأعلى هو عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى (١) جد الرسول الكريم ، توفى عن مائة وعشرين سنة (٢) وذلك بعد الفيل بثمان سنين (٣) ، أى بعد ميلاد الرسول بثمان سنين لأن الرسول ولد عام الفيل (٤) ، وذلك عام ٥٧٨ م

وجده العباس(٥) ولد قبل الرسول بعامين — أى عام ٥٦٨م — ، ومات بالمدينة عام ٣٢ هـ = ٦٥٢ م ، عن ثمان وثمانين سنة (٦) ، طلب من الرسول ولاية فأبى (٧) ، وكان له سقاية الحجيج وولاية زمزم ونوزع فيها فى خلافة

---

(١) راجع ٢٠٦ / ٢ الكامل لابن الاثير ، ٨٧ - ٣ الخضرى بك

(٢) ٦ / ٢ الكامل (٣) ١٤ / ٢ الكامل

(٤) ١٧٧ / ١ الكامل

(٥) ٦ — ٨ / ٣ الخضرى بك ، ٤٠ / ٤ الاصابة لابن حجر ، ١٧٥ نكت الهميان

(٦) ٨ / ٣ الخضرى بك

(٧) راجع ١٢ / ١ العقد

عمر [١] أو فى عهد الرسول [٢] فقضى له ، وكان شاعرا [٣] ، مفلقا وكان عمر يستسق به فى الجدب [٤]

وجده عبد الله بن العباس [٥] : (٣ ق هـ — ٦٧ هـ) . ومكانته فى الفقه والتفسير والفتوى مشهورة وكان يسمى حبر الأمة وكانت له مكانة كبيرة [٦] ، وكان من أحب الناس الى عمر وكان يقدمه على الأكابر من الصحابة (٧) ، وكان الحسن البصرى يثنى عليه [٨] ، وهومشهور بالبيان والبلاغة ، وتروى له كلمات كثيرة (٩)

وجده على بن عبد الله بن العباس (١٠) (٤١ — ١١٨ هـ) ، وكان سيدا شريفا عابدا زاهدا .

وورث ابنه محمد بن على (٦٢—١٢٥ هـ) سؤدد أبيه ومكانته فى قومه ؛ قام محمد بن على بأمور الدعوة فبعث رسله إلى خراسان لنشر الدعوة للعباسيين [١١] فغضب عليه هشام [١٢] ومات بعد أن أوصى إلى ابنه ابراهيم ؛ فقام بأمر الشيعة بعده [١٣] ، ولكن مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية حبس ابراهيم حتى مات فى الحبس ، وكان قد أوصى إلى أخيه العباس الذى أعلن بدء قيام دولة العباسيين بالكوفة يوم الجمعة ١٣ ربيع الأول ١٣٢ هـ

وتولى خلافة المسلمين ولقب السفاح ، وظل خليفة حتى مات عام ١٣٦ هـ فقام بالأمر بعده أخوه المنصور

---

(١) ٣٢٣ /٢ الكامل للمبرد ، ٧٥ / ٣ الخضرى
(٢) ٢٧٥ / ٣ العقد (٣) ٢٣ / ١ العمدة ، ٢٦٢ معجم الشعراء
(٤) ٢٧ /٥ صحيح البخارى ط ١٣٢٠ هـ بالمطبعة الخيرية
(٥) ٩٠ — ٩٤ / ٤ الاصابة ، ١٢٠ — ١٢٣ / ٣ العقد ، ٥٨٣ / ١ وما بعدها دائرة المعارف للبستانى ، ٨ / ٣ الخضرى ، ١٦٤ — ١٦٦ نظرة عامة فى تاريخ الفقه الاسلامى لعلى حسن عبد القادر ط ٢ ، ٤٢ ، ١٨٠ نكت الهميان (٦) راجع ١٣٢ / ٤ زهر
(٧) راجع ١٢٠ /٣ العقد (٨) ٧٤ /١ البيان والتبيين (٩) راجع ٢١٣ /٢ البيان والتبيين
(١٠) ٩/٣ الخضرى بك ، ٢٨٧/٣ العقد ، ٢٨١ معجم الشعراء ، ٥٧٩ — ٥٨٣ /١ وفيات
(١١) ١٩٥/٣ العقد (١٢) ٢٦ وما بعدها المكافأة (١٣) ١٠٦ /٣ العقد

ولد المنصور بن محمد بن على عام ١٠١ ه أو عام ٩٥ ه (١) ، ونشأ فى مكة وجاهد فى سبيل الدعوة للعباسيين وقابله شبيب بن شيبة فى موسم الحج عام ١٢٥ ه ووصفه وصفا بليغا يصور لك نسكه وزهده وعظمة شخصيته وأخلاقه تصويرا رائعا (٢) ؛ وساعد أخاه على تسنم عرش الخلافة ، ثم تولى أمور المسلمين بعده مدة كبيرة (١٣٦ — ١٥٨ ه) وطد فيها ملك بنى العباس ، وبنى بغداد ثم الرصافة وشجع العلوم وترجمة آثار الأمم العريقة فى الثقافة والحضارة وكانت حياته جدا واقتصادا (٣) ، وكان داهية أريبا مصيبا فى رأيه سديدا متقدما فى علم الكلام (٤) ، وكان فى صواب التدبير وحسن السياسة على مايتجاوز كل وصف (٥) ، وكانت دولته من أحسن الدول رونقا ووقارا وأوسعها رقعة مملكة (٦) ، وصبغت الدولة فى عهده بصبغة فارسية واضحة . وتولى بعده أمور الدولة ابنه المهدى

كان المهدى ثانى خليفة يتولى أمور المسلمين من أجداد ابن المعتز ، ولد عام ١٣٦ ه وبويع له بالخلافة عام ١٥٨ ه وظل فيها حتى توفى عام ١٦٩ ه

وفى عهده شاعت الحضارة والترف فى الدولة وتقدمت العلوم والفنون والآداب ؛ وعاش فى رعايته كثير من العلماء والشعراء ؛ كمروان بن أبى حفصة م ١٨٢ ه ؛ والمفضل م ١٨٩ ه وهو الذى اختار له المفضليات ؛ وأقام فى قصره تيوفيلوس الفلكى الرهاوى الذى ترجم الألياذة والأودسة الى السريانية (٧) ؛ واشتهر المهدى بالجود والترف وحب اللهو (٨) والتنكيل بالزنادقة (٩)

(١) ٢٩٣ / ٣ العقد (٢) راجع ٢٨٤ - ٢٩١ / ٣ العقد
(٣) ١٠٥ — ١٠٧ / ١ ضحى الاسلام (٤) ٢٠٧ / ٣ البيان
(٥) ١٢٥ حضارة الاسلام فى دار السلام
(٦) ١٣٨ المرجع نفسه
(٧) ٢٢ بارتولد
(٨) راجع ١٠٧ — ١١١ / ١ ضحى
(٩) ١٤٠ / ١ وما بعدها ضحى ، ٢٤٢ / ٤ مسعودى

ومن أبنائه : ابراهيم بن المهدى م ٢٢٤ ﻫ (١) وعلية (٢) (١٦٠ - ٢١٠ ﻫ) وابنه موسى الهادى الذى تولى الخلافة بعد أبيه عاما (١٦٩ — ١٧٠)؛ وابنه هرون الرشيد الذى تولى الخلافة بعد موت أخيه عام ١٧٠ ﻫ

كان الرشيد ثالث خليفة من أجداد ابن المعتز ؛ ولد عام ١٤٥ ﻫ وبويع بالخلافة عام ١٧٠ ﻫ ؛ وولد له المأمون فى الليلة التى بويع له فيها بالخلافة وظل فيها حتى توفى عام ١٩٣ ﻫ = ٨٠٨ م ؛ كان عهد الرشيد واسطة عقد الخلافة العباسية ؛ وصلت فيه الدولة إلى أفخم درجاتها صولة وثروة وسلطانا وعلما وأدبا وحضارة (٣) ؛ فعجت بغداد بالعلماء والأدباء والشعراء ؛ ولم يجتمع بباب أحدمن الخلفاء والملوك مثل ما اجتمع بباب الرشيد والصاحب بن عباد من فحولة الشعراء (٤) ؛ وكان الرشيد يقتفى فى سياسته آثار جده المنصور وفى سماحته آثار والده المهدى ؛ ونكب أسرة البرامكة عام ١٨٧ ﻫ نكبة هزت النفوذ الفارسى هزا عنيفا ؛ ومن وزرائه الفضل بن الربيع (١٣٨ — ٢٠٨ ﻫ) (٥) وكان الكسائى م ١٨٩ يؤدب ولده الأمين (٦) ؛ واليزيدى م ٢٠٢ ﻫ استاذ ابنه المأمون (٧) ؛وولى الخلافة من أولاده : الأمين (١٩٣ — ١٩٨) ؛ والمأمون (١٩٨ — ٢١٨ ﻫ) والمعتصم (٢١٨ — ٢٢٧ ﻫ)

كان ابو إسحاق محمد المعتصم رابع خليفة من أجداد ابن المعتز. ولد عام ١٧٩ ﻫ من أمه «ماردة» التركية (٨)، وولاه المأمون عهده ؛ وولى الخلافة بعد وفاة المأمون عام ٢١٨ ﻫ = ٨٣٣ م ؛ وتوفى بسامرا، سنة ٢٢٧ ﻫ = ٨٤٢ م

كان المعتصم عسكريا بنشأته وميوله وحياته (٩) ؛ وفى عهدا زاد نفوذ الترك إلى حد خطير ؛ وبنى سامرا واتخذها حاضرة لملكه من عام ٢٢١ ﻫ ؛ وسارت فى

---

(١) راجع ١٦٨ فهرست ، ١٧ — ٤٩ الاوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء.

(٢) راجع ٥٥ — ٨٣ الاوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء.

(٣) ٢٤٣ / ٤ مسعودى (٤) ١٧٠ / ٣ اليتيمة (٥) ٣١٢ معجم الشعراء

(٦) ٢٨٤ معجم الشعراء (٧) ١٩ ؛ و٤٩٨ معجم الشعراء

(٨) ٢٩٥ / ٣ العقد (٩) راجع ٢٤٦ / ٤ مسعودي

عهده نهضة العلم والأدب فى طريقها التى كانت تسير فيه. ولى الخلافة من اولاده: الواثق (٢٢٧ — ٢٣٢ هـ) ؛ والمتوكل (٢٣٢ — ٢٤٧ هـ) ؛ والمستعين (٢٤٨ — ٢٥٢ هـ)

كان جعفر المتوكل على الله جد ابن المعتز وخامس خليفة يتولى الخلافة من أجداد الشاعر

ولد عام ٢٠٦ هـ من ام ولد تركية يقال لها « شجاع » ؛ وآثره المعتصم بعطفه ورعايته ؛ وفى خلافة اخيه الواثق وضع موضع المراقبة والهوان ؛ وكان ابن الزيات الوزير موكولا إليه أمر مراقبته ؛ فنقم عليه المتوكل ونكبه فى أوائل خلافته [1] ؛ وولى المتوكل الخلافة بعد الواثق فى ٢٤ ذى الحجة ٢٣٢هـ = ٨٤٧م وظل فيها الى ان قتل ليلة الخميس رابع شوال ٢٤٧ هـ = ١١ ديسمبر ٨٦١م

امتاز عهده بشدة نفوذ الترك وبالعداء للشيعة وباضطهاد المعتزلة والاعتزال والتعصب لمذهب اهل السنة ؛ ونهى المتوكل عن القول بخلق القرآن والجدال فى الكلام [2] ؛ وكان محببا الى قلوب الناس إذ أمات ما أحياه الواثق من اظهار الاعتزال [3] ؛ واكثر المتوكل من المصادرة ؛ وكانت أيامه أحسن أيام وأنضرها [4] وبنى قصور الجعفرى عام ٢٤٥ هـ بالقرب من سامرا وتحول إليها عام ٢٤٦ هـ ؛ والمتوكل أول من أظهر من خلفاء بنى العباس الإنهماك على [5] شهوته ؛ وحفل عصره بأئمة العلم والادب وزعماء السياسة ؛ وكان الزبير بن بكار يؤدب ولده بسامرا [6] ؛ وكذلك ابن السكيت [7] م ٢٤٤هـ ؛ والظاهر أنه خص بالمعتز والمؤيد

تزوج المتوكل «قبيحة» ؛ وكانت من اجمل النساء ؛ وخلف منها ابنيه : المعتز واسماعيل ؛ وسماها المتوكل قبيحة لحسنها وجمالها ؛ اهداها اليه لما ولى الخلافة محمد

---

(١) ١١٢ و ١١٣ من المكافأة (٢) ١٣٨ تاريخ الخلفاء ، ٣٧ و ٢٤٦ / ٤ مسعودى
(٣) ٣٢٥ / ١ زهر ، ١٦١ كذكول (٤) ٣٧ و ٧١ / ٤ مسعودى ، ١٧٢ الادارة الاسلامية
(٥) ٣٢٥ / ١ زهر ، وكان مشهورا بحب الورد (٢٣٥ حلبة الكميت) (٦) وللزبير كتاب الموفقيات فى تسعة عشر جزءا لم يصلنا منها الا اربعة طبعها وستنفلد فى جوتنجن ١٨٧٨م (١٩٤ / ٢ زيدان) وقد ألفه لتلميذه الموفق بن المتوكل
(٧) ٢١٠ / ٢ الدميرى

ابن عبد الله بن طاهر ؛ وكانت اديبة تقول الشعر وتلحنه وتحسن من كل علم أحسنه[١] ؛ واحتلت من قلبه مكانا كبيرا ؛ وكان المتوكل يضفى على المعتز عطفه وحبه بتأثير والدته ؛ حتى غضب على المنتصر وكاد يخلعه من ولاية العهد فى آخر حياته مما دعا المنتصر الى الاشتراك مع المتآمرين على المتوكل ؛ ولعل التنافس الذى ينشأ بين الضرائر هو السبب الاول فى ذلك كله ،

وفى عام ٢٣٥ هـ جعل المتوكل ولاية العهد لأبنائه الثلاثة : المنتصر والمعتز والمؤيد ، وقسم البلاد بينهم وجعل كل واحد مستقلا بما يعهد إليه من أعمال بعد وفاته[٢] .

وولى العرش من أبنائه : المنتصر (٢٤٧—٢٤٨ هـ) والمعتز (٢٥٢—٢٥٥ هـ) والمعتمد (٢٥٦ — ٢٧٩ هـ) ، وكان للموفق كل السلطان فى الدولة فى عهد أخيه المعتمد .

— ٣ —

والد ابن المعتز :

وأما والد ابن المعتز فهو أبو عبد الله الزبير[٣] أو محمد[٤] المعتز بن المتوكل . ولد بسامرا فى ١١ ربيع الأول ٢٣٣ هـ .

أمه قبيحة جارية[٥] رومية[٦] وكانت « قرب » داية المعتز[٧] وهى جارية لقبيحة[٨] . واحتفل المتوكل حين ظهر ابنه المعتز احتفالا كبيرا[٩] .

---

(١) ١٨٨ الاضداد الجاحظ (٢) ٣٨ / ٤ مسعودى ، ١٧ / ٧ ابن الاثير ، وفى الاغانى (٣٢ / ٩) وصف للاحتفال بتوليتهم العهد (٣) ١١٠ / ٤ مسعودى (٤) ٣٨ / ١١ طبرى

(٥) ١٦٤ / ٤ التمدن (٦) ٦٥ / ١ ظم.

(٧) ٤٧٥ / ٥ معجم الادباء

(٨) ١٣٧ / ١١ طبرى

(٩) ٤ ٧ لطائف المعارف

وفى أواخر ٢٣٥ هـ ولاه والده ولاية العهد مع أخويه : المنتصر والمؤيد ، وقسم البلاد بينهم ، فكان للمعتز خراسان وما جاورها يستقل بأمورها بعد وفاة والده ؛ وفى عام ٢٤٠ هـ ضم إليه خزائن الأموال ودور الضرب وأمر بضرب اسمه على الدراهم ، وللبحترى قصيدة يهنئ فيها المتوكل ببلوغ المعتز[١] .

نشأ المعتز فى ظلال والده واختار له أئمة الأدب والعربية يعلمونه ويثقفونه ، كأحمد بن عبدون بن ناصح[٢] ، وكأبى جعفر محمد بن قادم النحوى[٣] ، وكان من أصحاب الفراء ، وكيعقوب بن السكيت م ٢٤٤ هـ[٤] ، وكذلك الزبير بن بكار م ٢٥٦ هـ فقد حمل إلى المتوكل فقال له ألزم أبا عبد الله — يعنى المعتز — حتى تعلمه من فقه المدنيين ، فدخل حجرة فاذا المعتز قد أتى فى رجله نعل ذهب وقد عثر به فسال دمه فجعل يغسل الدم ويقول :

يصاب الفتى من عثرة بلسانه وليس يصاب المرء من عثرة الرجل

الخ[٥] ، وتزوج المعتز فى حياة والده فولد له ابنه عبد الله ثم ابنه حمزة ابن المعتز[٦] .

قتل والده المتوكل فى ٤ شوال ٢٤٧ هـ ، وولى الأتراك المنتصر الخلافة بعد أبيه ، فخلع أخويه المعتز والمؤيد من ولاية العهد فى أوائل عام ٢٤٨[٧] هـ ، وبعد شهور قلائل توفى المنتصر وجلس المستعين بن المعتصم على عرش الخلافة عام ٢٤٧هـ ، فاعتقل المعتز والمؤيد وحبسهما فى الجوسق[٨] ، وابتاع منهما جميع ما يملكانه

---

(١) ١٢٩ /١ ديوان البحترى ، ١٩ /١ ديوان المعانى

(٢) ٢٢٣ /١ معجم الادباء

(٣) ١٦ /٧ معجم الادباء ، ١٠٠ فهرست

(٤) ٣٩ العصر العباسى لحمود مصطفى ، ٢٣٨ نزهة الالباء ، ١٠٨ فهرست

(٥) ١٤ الاضداد للجاحظ ، والبيت وما بعده ينسب لابن السكيت وأنشده المعتز والمؤيد وهو يعلمهما (٢٢٠ /٢ الدميرى) (٦) ورقة ٢٨ من الاوراق قسم أخبار المقتدر مخطوط بمكتبة الازهر

(٧) ٣٠٣ / ٣ الخضرى بك ، ٤٣/٤ مسعودى ، ٧٥ — ١١/٧٩ طبري

(٨) ١١/٨٤ طبرى

وكان الثمن الذى أخذه المعتز عشرة آلاف ألف دينار وعشر حبات لؤلؤ ، وترك له ما قيمة إيراده عشرون ألف دينار سنويا .

وفى عهد المستعين انقسم الأتراك — وكان لهم جميع السلطان والنفوذ فى الدولة — أحزابا وتخاصموا ونقم بعضهم على المستعين فثاروا عليه وأخرجوا المعتز من حبسه وبايعوه بالخلافة يوم الأربعاء لأحدى عشرة ليلة من المحرم عام ٢٥١ هـ (١) بسامرا وكان سنه يومئذ سبع عشرة سنة وشهور كما روى عن ابن المعتز (٢) ؛ وبذلك صار المعتز خليفة فى سامرا والمستعين - وكان فى بغداد أبان ذلك — خليفة فى بغداد

خلع المعتز على أخيه أبى أحمد الموفق ووشحه بوشاحين (٣) وجهزه مع خمسين الفا من الاتراك لقتال المستعين ؛ واستمرت الحرب حول بغداد عاما كاملا ثم انتهى الأمر بخلع المستعين نفسه من الخلافة وضمن المعتز حياته ؛ وذلك فى يوم الجمعة ثالث المحرم ٢٥٢ هـ = ٢٥ يناير ٨٦٦ م (٤) ، وبايع المستعين للمعتز وأخذت منه البردة والقضيب والخاتم ووجه بها الى المعتز بسامرا ، ونفى المستعين الى واسط ثم قتل بعد شهور ؛ وبايعت بغداد كلها المعتز وخطب له فى مسجدها الجامع ، وفى ذلك يقول البحترى من قصيدة (٥)

رمى بالقضيب عنوة وهو صاغر　　وعرى من برد النبي مناكبه
ولم يكن المغتر بالله إذ شرى　　ليعجز والمعتز بالله طالبه

وهنأه كثير من الشعراء (٦)

أخذ المعتز يوطد عرشه ، فحبس المؤيد لاتهامه بالتآمر عليه ومات فى حبسه عام ٢٥٢ هـ ، وحبس الموفق ، وجعل اسماعيل — أخاه لأمه وأبيه — مكان

(١) راجع ١٠٦ / ٤ وما بعدها مسعودى
(٢) ١٧٩ / ٨ الاغانى
(٣) ١٠٨ / ٤ مسعودى
(٤) ١٢٤ و ١٢٥ / ٢ شذرات الذهب
(٥) ١٧ / ١ وما بعدها ديوان البحترى ، وراجع ١٤٠ / ١١ طبرى
(٦) ١٤٢ / ١١ طبري

المؤيد فى ولاية العهد (١) وبدأ يعمل على إضعاف نفوذ الاتراك ، ويدبر المكائد لقتل قــوادهم ، واصطنع العناصر الاخـرى فى الجيش دونهم ، فشعـروا بذلك وسعــوا فى هدم ملكه ، وذهـبوا إليه وعـل رأسهم صالح بن وصيف فى رجب ٢٥٥ هـ بحجة مطالبته بنفقـاتهم ، فذكـر لهم أن ليس فى خزائنه مال يوزعه عليهم ، فحاصروه وعـذبوه وضربوه بالدبابيس وجروا برجـله الى باب الحجرة وأقاموه فى الشمس حافيا (٢) حتى خلـع نفسه بعد أن كتبوا أمانا « له ولأخته وابنه وامه » (٣) وذلك فى ٢٥ رجب عام ٢٥٥ هـ

لم يف الاتراك للمعتز بالوعد ، فردوه إلى الحبس وقتلوه بعد ذلك بستة أيام(٤) وذلك عشية يوم الجمعة لليلة خلت من شعبان ٢٥٥هـ(٥) = ١٥ يوليو ٧٦٨م. قيل أنهم منعـوا عنه الاكل حتى مات ، وقيل حقن بالمـاء الحار المغلى ، وقيل ادخل حماما محميا ومنع الخروج منه ففاضت نفسه ، وقيل أخرج بعد أن قارب المـوت ثم أسقى ماء مثلجا فخر صريعا (٦) ، وقيل أنهم جصصوا سردابا بالجص وأدخلوه فيه وأطبقوا عليه بابه فأصبح ميتا(٧) ؛ ومهما كان فقد مات المعتز وقتل شر قتلة ودفن بســامرا (٨) مع المنتصر بناحية قصر الصوامع ، ورثاء الشعراء أحر رثاء (٩) قال بعضهم :

عــين لا تبخلى بسفح الدمــوع واندبى خــير فاجــع مفجــوع
بــكر الترك ناقــين عليـه خلعته أفــديه مـن مخــلوع
قتــلوه ظلما وجــورا فألفـو ه كـريم الأخـلاق غير جزوع
أصبح الترك مالكى الأمر والعا لم ما بــين سامع ومطيــع

(١) ١١٩/٤ مسعودى
(٢) ١٦٢/١١ طبرى ، ١٣٠/٢ شذرات
(٣) ١٦٢/١١ طبرى (٤) ١٢١/٤ مسعودى
(٥) ٢٩٨/٣ العقد (٦) ١٣٠/٢ شذرات
(٧) ١٦٢/١١ طبرى (٨) ١١٠/٤ مسعودى
(٩) راجع ١٢١/٤ مسعودى ، ورثاء محمد المتكلم (١٠٤ معجم الشعراء)

وقال — فيما بعد — ابنه عبد الله بن المعتز من مرثية له فيه :

لوبه أقتـــل كل قـــريب   وبعيـــد لم يـــنم لى ثـــار
مطلتـه النصـل مـنى سن   لم تطـل بى لخطـاها قصـار

وقال أيضا فى رثائه قصيدته [١]

رب حتف بين أفنـاء الأمل   وحيـاة المـرء ظـل ينتقـل

وهى رائعة بليغة . وكان ابن الرومى منحرفا عن المعتز ، وله فيه قصيدة يقول فيها:

دع الخـلافة يا معتز عن كثب   فليس يكسوك منها الله ما سلبا

وقـد اكثر فيها من الهجاء ، ويبدو منها أنه نظمها فى المهتـدى اثر توليته الخـلافة بعد خلع المعتز نفسه وقبل أن يقتل

كان المعتز أحسن أهل زمانه ، وكان أبيض شـديد البيـاض ربعة ، وكان شاعرا [٢] أديبا ، وله نـثر أدبى منه رسـالة تعزية كتبها وهو ولى عهـد [٣] ، وله ألحـان وقصص حول مجـالس الراح التى كان يقيمهـا [٤] ، وكان نبيل النفس كريم الخلق وتروى له فى ذلك أخبار [٥]

ووزر له جعفر بن محمود ثم عيسى بن فرخانشاه ثم احمد بن اسرائيل ، وكان حاجبه سماء بن صالح بن وصيف ، وكان البحـترى شاعره الاثـير لديه ، وله فيه ٢٤ قصيدة تجدها فى ديوانه ؛ وكان ابو معشر الفلـكى م ٢٧٢ هـ رئيس المنجمين فى دار الخلافة فى عهده [٦]

وكل الأتراك بقبيحة أم المعتز — بعد خلعه — نساء يحفظنها ، ولـكنها تمـكنت من الهرب ومعها أخت المعتز وقرب دايته ، بعد أن أخرجت ما فى خزائنها من

---

(١) راجعها فى ديوانه المخطوط وهى طويلة جدا

(٢) راجع : ٦ : ٤ معجم الشعراء و ٣ جـ ٤ العقد ، ١٣٦ المحلاة ، ٩ ٤ الكشكول

(٣) ورقة ١٧٩ جـ ١٣ أختيار المنظوم والمنثور مخطوط بدار الكتب

(٤) ١٧٨ و ١٧٩ و ١٨٤ — ١٨٦/٥ الاغانى

(٥) راجع ٢٢/٤ العقد   (٦) ٧٩/١ الفرج بعد الشدة

أموال وأودعته مع ما كانت أودعته من قبل من مال ، وذلك فى آخر رجب . بحث الأتراك عنها فلم يعثروا لها على أثر ، وظلت مختبئة حتى ظهرت فى رمضان ، فصودرت جميع أموالها التى كانت لها بسامرا وبغداد ، وكانت لها ثروة عظيمة(١) تشبه أخبارها الأساطير لغرابتها ، ونفيت إلى مكة ، وكانت تدعو على صالح ابن وصيف دعاء مريرا وتقول : « اللهم اخزه كما هتك سترى وقتل ولدى وبدد شملى وأخذ مالى وغربنى عن بلدى(٢) » : واستجاب الله دعاءها فقتل صالح سنة ٢٥٦ هـ ، والظاهر أنه عفى عنها بعد ذلك وماتت سنة ٢٦٤ هـ .

وهكذا لقى المعتز وأسرته من سوء المصير مالم يلاقه أحد من قبل ؛ وبعد فهذه صورة واضحة لحياة المعتز التى كان لها أبعد الأثر فى حياة الشاعر ، مما سنتناوله بالتحليل إن شاء الله .

والدة ابن المعتز :

أما أم ابن المعتز فلا نعلم عنها شيئا ، إلا أنها جارية(٣) لأمة قبيحة فأحبها المعتز حتى نحل جسمه وحم فعلم أستاذه الزبير بن بكار بأمره فأخبر قبيحة بالقصة فوهبتها له فولدت له ابنه عبد الله(٤) ؛ وفى الزهر رواية جاء فيها أن « قبيحة أم ابن(٥) المعتز » ، وذلك تحريف وصحة العبارة « أم المعتز » وذلك هو نفس مايرويه ياقوت(٦) .

وإذا كانت « قبيحة » والدة المعتز جارية رومية ، فليس ببعيد أن تكون أكثر جواريها روميات ، فتكون أم ابن المعتز رومية أيضا ، وكثير من الخلفاء العباسيين كانت أمهاتهم جوارى روميات كالمنتصر والمعتز والمعتمد والمهتدى

---

(١) راجع الطبرى ، ٢/١٣٤ التمدن

(٢) ١١/١٦٤ الطبرى

(٣) ٢١٩ المجلد الاول من دائرة المعارف الاسلامية

(٤) يراجع ٣/٩٩ الامالى

(٥) ٢/٢٦٧ زهر

(٦) ١/١٣٣ معجم الادباء

والمعتضد[١] ، وكان الجوارى يملأن قصور الخلفاء ، فأم المنصور « سلامة » جارية بربرية ، وام الرشيد « الخيزران » سبية من خرشنة فهى من عنصر رومى ايضـا ، والمعتصم والمتوكل والمقتدر كانت امهـاتهم جوارى تركيـات وام الواثق « قراطيس » جارية ايضا ،.

وهكذا كان خلفاء بنى العباس اكثرهم امهاتهم من الجوارى ، وقديما أنجب الجـوارى كثيرا من الرجال مما رغب النـاس فيهم[٢] ، ولـكن بنى امية اعتزوا بعربيتهم ، وكانوا لا يستخلفون بنى الأماء[٣] ولا يبايعون لهم[٤] ، وتلاشى ذلك فى عهد بنى العباس

وبعد فوالدة ابن المعتز جارية رومية ووالده عربى عباس هاشمى قرشى وذلك ولا شك كان له اكبر الآثار فى حياة الشاعر وعقليته وفهمه للحياة .

---

(١) كما ورد فى بعض المصادر واسم امه مرار

(٢) راجع ١١٩/٤ العقد

(٣) ١٨٠/٤ العقد

(٤) ١٨١/٤ العقد

الفصل الثانى

طفولة الشاعر ونشأته

-١-

طفولة ابى العباس عبد الله بن المعتز كانت طفولة عظيمة بكل ما تدل عليه كلمة العظمة من معان ، ولكنها مع ذلك لم تخل من مآس وآلام لانظار نجد لها مثيلا فى حياة الخاصة من الناس ؛ كأنما كان ميلاده فى خريف العام الذى ولد فيه بشيرا بحظ الشاعر فى الحياة وشقائه فيها

ولد عبد الله بن المعتز فى سامرا فى أواخر شعبان عام ٢٤٨ ﻫ ، وجده جعفر المتوكل عاشر الخلفاء العباسيين على عرش الخلافة ، ولكن عرشه كان على فوهة بركان ، وكانت تعصف به أعاصير المؤامرات التى يدبرها الأتراك له . وبعد اربعين ليلة من ميلاده أئتمر المؤتمرون بالخليفة وقتلوه وهو بين اصدقائه فى الجعفرى قصره العظيم

وبعد قليل وفى صفر ٢٤٨ﻫ خلع والده المعتز من ولاية العهد فى عهد المنتصر ، ثم حبسه المستعين فى سامرا فى حجرة صغيرة بالجوسق ووكل به غلاما يخدمه[١] وابتاع منه جميع ما يملكه ، وقضى المعتز فى حبسه سنوات ثلاثا كانت آلاما وهموما فى حياته المترفة المشرقة بالأمل والنعيم ، كما كانت حزنا وشقاء لطفله الصغير الذى حرمته الأحداث من والده وعطفه

---

(١) طبرى ١١/٨٤

ولكن الأيام عادت تبتسم للمعتز ولابنه الصغير ، فأخذت الأعاصير تهدأ ، ولم يكد ينتصف محرم عام ٢٥١ حتى أطلق سراح المعتز وبويع له بالخلافة فى سامرا ، وبعد عام آخر قضى المعتز على المستعين وأنصاره وبويع له فى بغداد بالخلافة وعمر ابنه فى الخامسة من سنى حياته الحافلة

ابتدأ عهد جديد فى حياة الأمير الطفل ، وازدهرت فى نفسه الآمال المنشودة فى مستقبل حياته . وليس لدينا مصادر تاريخية عن حياة الأمير الشاعر فى طفولته ، ولكن هناك مصدراً أدبياً خطيراً يرشدنا إلى الكثير عن طفولة ابن المعتز وحياته الأولى ؛ لقد كان البحترى شاعر المعتز ، وكان يعيش قريباً من بلاطه ، وكان يسمر معه فى مجالسه الخاصة ، وينشده روائع مدائحه فى مجالسه العامة ، فلابد أن يكون شعر البحترى صورة واضحة لحياة المعتز ولطفولة ابنه الأمير :

لاتذكر المصادر التاريخية كلها أن المعتز عهد إلى ابنه عبد الله بولاية العهد وينفرد بذكر ذلك البحترى فى قصيدة (١) له مدح بها المعتز بالله ، ويقول فيها :

رأينا بنى الأمجاد فى كل موطن ... فكانوا (لعبد الله) فى الجود أعبدا
عليه من المعتز بالله بهجة ... أضاءت فلويسرى بها الركب لاهتدى
سررنا بأن أمرته ونصبته ... لنا علما يأوى إلى ظله الهدى
وأبهجنا ضرب الدنانير باسمه ... وتقليده من أمرنا ماتقلدا
ولم لايرى ثانيك فى السلطة التى ... خصصت بها ثانيك فى الجود والندى
حقيق بأن يرمى به الجانب الذى ... يهم وأن يفضى إليه ويعهدا

ولعل ذلك كان حين « خلع المعتز أخاه المؤيد من ولاية العهد فى ٧ رجب عام ٢٥٢ ﻫ وجعل مكانه شقيقه اسماعيل بن المتوكل (٢) » ، فالظاهر أنه لم يجعل اسماعيل وحده ولياً العهد كما يذكر المسعودى ، بل أقام معه ابنه عبد الله فى ولاية

---

(١) ١٧٤ و ١٧٥/١ ديوان البحترى

(٢) ١١٩/٤ مسعودى

عهد المسلمين ؛ ويؤيد ذلك أن البحترى يشيد بهما معاً فى قصيدة من قصائده فى مدح المعتز بالله [١] فيقول فيها

ولم تر مثل (اسماعيل) عينى و(عبد الله) ذى الشيم الكرام

وفى قصيدة أخرى مدح بها البحترى المعتز [٢] ؛ يشيد بابنه عبدالله فيقول :

ومليت (عبـــدالله) ان سماحه هو القطر فى اسباله وأخو القطر
اذا مابعثنا الشعر فيه تزايدت له مكرمات مربيات على الشعر

وكذلك يشيد به فى قصيدة أخرى فى مدح [٣] المعتز ، فيقول :

ورأيت (عبدالله) فى السن التى تعدو الكبير بدهره المتطاول
قمر تؤمله المـــوالى للتى يقضى بهـــا المأمول حق الآمل
حـــدث يوقره الحجا فكأنه أخذ الوقار من المشيب الشامل

وكذلك يشيد به فى قصائد أخرى مدح بها المعتز [٤] .

وهكذا قضى ابن المعتز عهدا قصيرا حافلا بأسباب العظمة والمجـــد والأمن والنعمة فى ظلال والده الخليفة بسامرا ؛ ولكن العهد لم يطل ، والأيام لم تصف ، وكأنها كانت تستر وجه الشقاء المتجهم وعهده الطويل بمعسول الأمانى التى يبعثها الرجاء فى ذلك العهد القصير .

بعد قليل وفى أواخر رجب ٢٥٦ هـ ؛ والأمير الناشىء فى الثامنة من عمره خلع والده من الخلافة ثم قتل بعد آلام وأحداث جسام يشيب لهولها الطفل ويفزع لقسوتها الحليم ، ثم شردت أسرته وصودرت أموالها ، وأحاط بها الفزع والخوف من كل جانب ، فكان لذلك أبلغ الأثر فى حياة الشاعر ونفسيته ، وكما يقول ابن المعتز بعد حين :

---

(١) ٢٦٢ و ٢/٢٦٣ ديوان البحترى
(٢) ٣٨ — ٢/٤٠ ديوان البحترى
(٣) ٢/١٦٦ المرجع
(٤) راجع ٢/٨٢ و ٩٠ — ١/٩٢ المرجع

وكانت يد الأيام تفتل مرتى فصارت يد الأيام تنقضى نقضاً

- ٢ -

فقد ابن المعتز والده الحنون ، ففقد بفقده كل شىء فى الحياة ، وودعت بوداعه أيامه الجميلة ، كما يقول ابن المعتز بعد فى قومه الراحلين :

مضوا بخير عمرى وتركوا لى الشرا
عاشـــوا بخير عصر سـقيا لذاك عصرا

وأوصدت الدنيا أمامه أبواب آماله الواسعة :

لوت يدى أملى عن كل مطلب وأغلقت بابها من دون حاجاتى

ولكن أى شىء يستطيع أن يفعله هذا الطفل الصغير ؟ للأخذ بثأر أبيه ؟

مطلته النصل منى سن لم تطل بى خطاها قصار

لاشىء إلا الصبر الطويل :

خليلى ان الدهر ماتريانه فصبرا وإلا أى شىء سوى الصبر

لاندرى أفر ابن المعتز مع جدته قبيحة حين قتل والده أم بقى فى قصره ؟

ولاندرى أأخذته معها إلى مكة أم لا ؟ ؛ ولكن الأرجح أنه كان فى قصر والده حين قتل ، وأنه لم يكن فى قصر جدته حين هروبها ، وأنه أقام فى سامرا رهن الأحداث التى كان يترقبها صباح مساء .

وأخذ يعيش على ما بقى من أموال والده ، أو على ما فرض له من رزق فى بيت المال .

وأخذ يتلقى العلم والأدب على أئمة العربية وشيوخها ؛ وأخذ يقرأ ويدرس ويتعلم ، وبدأت تجيش فى صدره روح الشاعرية الملهمة ، وتتفتح ملكاته عن ذهن خصب وعقلية ناضجة وذكاء بعيد .

-٣-

أساتذة ابن المعتز

١ — فى حياة والده أحيط ابن المعتز بالعناية ، فما أن بلغ سن التأديب حتى اختار لهوالده الخليفة المعتز أبا جعفر محمد بن عمران بن زياد الضبي النحوى الكوفى ليؤدبه [١] ؛ وكان نحويا عارفا بالقراءة والعربية بعيد النظر ، روى أنه أقرأ ابن المعتز يوما سورة « والنازعات » ، وقال له : إذا سألك أمير المؤمنين فى أى سورة أنت ؟ فقل له : فى السورة التى تلى عبس ، فسأله أبوه ، فقال له ذلك ، فقال المعتز : من علمك هذا ؟ قال : مؤدبى أبو جعفر فأمر له بعشرة آلاف درهم [٢] .

٢ — وبعد عهد والده وهو فى الثالثة عشرة من عمره ، أى عام ٢٦٠ ﻫ ، كان يؤدبه أبو الحسن أحمد بن سعيد بن عبدالله الدمشقى ، وكانت تقوم بأمره جدته قبيحة ، وكان ينظم الشعر ، نعرف ذلك من القصة التالية، روى أن أحمد بن سعيد كان[٣] يؤدب ابن المعتز، فتحمل البلاذرىم ٢٧٩ﻫ على قبيحة أم المعتزبقوم سألوها أن تأذن له أن يدخل إلى ابن المعتز وقتا من النهار ؛ فأجابت أو كادت تجيب ، قال ابن سعيد : فلما اتصل بى الخبر جلست فى منزلى غضبان لما بلغنى عنها فكتب إلى ابن المعتز وله ثلاث عشرة سنة : .

أصبحت يا ابن سعيد خدن مكرمة   عنها يقصر من يحفى وينتعل
سربلتنى حكمة قد هذبت شيمى   وأججت نارذهنى فهى تشتعل

الى آخر هذه القصيدة الطويلة

(١) ٣/ ١٣٢ تاريخ بغداد
(٢) ٧ / ٥٢ معجم الادباء
(٣) ٢/ ٢٦٧ زهر ، ١٣٣ /١ معجم الادباء . ٢٨ رسائل ابن المعتز

وهذه القصة تشير إلى أن ابن سعيد كان استاذ ابن المعتز فى علوم الدين والأدب ، وكثير من المصادر تشير إلى تلمذة ابن المعتز عليه (١) ، وكان ابن سعيد أديباً متفلسفاً (٢) أدب ابن المعتز وروى عنه آدابه (٣) وكان يؤدب ولد المعتز واختص بابن المعتز ولابن المعتز فيه شعر وله إليه مراسلات (٤) : وكان ابن سعيد لايفارقه (٥) ومات فى رجب ٣٠٦ هـ ببغداد (٦) ؛ ولعل محمد بن سعيد الدمشقى الشاعر (٧) أخوه

أما البلاذرى فلا نعرف أنه كان أستاذاً لابن المعتز الا من القصة الماضية وتذكر بعض المصادر أن المعتز عهد اليه بتعليم ولده ابن المعتز (٨)

ومن اساتذته أيضاً أبو على الحسن بن عليل العنزى (٩) وهو من رواة اللغة والأدب فى القرن الثالث (١٠) وهو أحد رواة الأغانى ؛ وكان صاحب أدب وأخبار ومات فى أول صفر عام ٢٩٠ هـ بسر من رأى (١١) ، ويروى عنه ابن المعتز كثيرا (١٢)

ومن أساتذته أيضاً صعوداً صاحب الفراء وأخذ عنه اللغة والغريب(١٣) وهو أبو سعيد محمد بن هبيرة الأسدى النحوى من أعيان أهل الكوفة وعلمائها عارف بالنحو واللغة وفنون الأدب قدم بغداد واختص بابن المعتز وعمل له رسالة

---

(١) ٢٤١ / ١ فوات ، ٩٥ / ١٠ تاريخ بغداد ، ١٤٦ / ١ معاهد التنصيص ، ١٣٣ / ١ معجم الادباء.
(٢) هامش ٢٧٠ الوسيط
(٣) ٣٠١ نزهة الالبا
(٤) راجع ١٣٣ / ١ وما بعدها معجم الادباء
(٥) ١٠٧ الاوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء
(٦) ١٧١ و١٧٢ / ٤ تاريخ بغداد (٧) راجع ٤٥٤ معجم الشعراء
(٨) ١٩١ و١٩٢ / ٢ زيدان
(٩) ١٠٧ الاوراق ، ٩٥ / ١٠ تاريخ بغداد ، ٩٤ / ٦ معجم الادباء
(١٠) راجع ١٤١ و١٥٧ / ٣ الاغانى (١١) ٣٩٨ و ٣٩٩ / ٧ تاريخ بغداد
(١٢) تجد ذلك فى كثير من المواضع فى الاغانى ، وراجع ٦١ البديع
(١٣) ١٠٧ الاوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء

فيما أنكرته العرب على القاسم بن سلام ووافقته فيه ؛ وأدب أولاد بن يزداد وزير المأمون ؛ وله كتاب فيما يستعمله الكاتب وغير ذلك [١] وهو من أهل سر من رأى [٢] ؛ وابن المعتز يروى عنه آراء فى نقد امرىء القيس وزهير [٣] وتوفى فى أواخر القرن الثالث

ومن أساتذته أيضاً المبرد (٢١٠ — ٢٨٥ ﻫ) [٤] تتلمذ عليه ابن المعتز فى الادب والعربية [٥] ؛ وكان المبرد يجيئه كثيراً ويقيم عنده اذا خرج من عند القاضى اسماعيل بن اسحاق [٦] لقرب داره من دار ابن المعتز [٧] ؛ وكان للمبرد مجلس فى مسجده [٨] ؛ ويروى ابن المعتز قصيدة لابى نواس ويقول : أنشدنى المبرد هذه القصيدة وفسرها لى [٩] ، وكانت بينهما مناقشات فى الادب والنقد (١٠)

ومن أساتذته فى الادب والعربية أيضاً أبو العباس ثعلب [١١] (٢٠٠ — ٢٩١ ﻫ) ؛ وهو امام الكوفيين فى النحو واللغة ، وكان ثقة مشهوراً بالمعرفة بالعربية ورواية الشعر القديم ، وله شعر وكتب كثيرة [١٢] منها كتاب قواعد

---

(١) ١٣٣ /٧ معجم الادباء، ١١٠ فهرست

(٢) ٣٧٠ و ٣٧١ /٣ تاريخ بغداد

(٣) راجع ٣٥ و٤٧ وما بعدها من الموشح

(٤) راجع ٢١٦ /٤ المسعودى ، و ٨٧ و ٨٨ فهرست ، ٤٤٩ معجم الشعراء ، ١٣٧ — ١٤٤ /٧ معجم الادباء ، ٢٧٩ — ٢٩٣ نزهة الالبا للأنبارى ، ٩٦ — ١٠٧ أخبار النحويين البصريين للسيرافى ، ٣٠٤ — ٣٠٨ /٢ وفيات (٥) ١٠٧ الاوراق ، ٣٠١ نزهة الالبا ، ٢٤١ /١ فوات ، ٩٥ /١٠ تاريخ بغداد ، ٤٦١ /١ وفيات ، ٢٢٢ /٢ شذرات ؛ ١٤٦ /١ معاهد التنصيص (٦) فقيه مالكى قاض توفى ببغداد ٢٨٢ ﻫ (٢٨٤/٦ تاريخ بغداد ، ١٧١/٢ شذرات) ، وكان من نظراء المبرد فى النحو ومكث فى قضاء بغداد نيفا وخمسين سنة (٢٢٤ /١ ظهر)

(٧) ١٠٧ الاوراق ، ٩٥ /١٠ تاريخ بغداد (٨) ص ٢ مقدمة ديوان البحترى

(٩) راجع ٨٨ — ٩٠ طبقات ابن المعتز (١٠) راجع ٩٦ و٩٧ و١٨٤ و٢٠٢ أخبار أبى تمام ، ورسائل ابن المعتز (١١) ٣٠١ نزهة الالبا ، ٢٤١ /١ فوات ، ٩٥ /١٠ تاريخ بغداد ، ٤٦١ /١ وفيات ، ٢٢٢ /٢ شذرات ، ١٤٦ /١ معاهد التنصيص (١٢) ١٣٣ — ١٥٤ /٢ معجم الادباء ، ٢٩٣ — ٢٩٩ نزهة الالباء — و ١١ فهرست ، ٥١ — ٥٣ /١ وفيات

الشعر ؛ وتوفى عام ٢٩١ هـ عن ثروة كبيرة ؛ وكان مقدما عند العلماء إماماً فى صناعته (١) ؛ وكان ابن المعتز قد لقى أبا العباس مرات فى المسجد الجامع ، وكان يبعث اليه فيسأله عن الشيء بعد الشيء (٢) وكان ثعلب يتشوقه ويعتذر من تأخره عنه بكبره (٣) وكان ابن المعتز يحب لقاءه (٤) وكتب اليه وهو معتقل قصيدة يصف شوقه اليه ومنها :

انا على البعاد والتفرق ‏ ‏ ‏ ‏ لنلتقى بالذكر ان لم نلتق (٥)

وكان ابن المعتز يسعى اليه وثعلب يحتفى به كثيرا (٦) ؛ وتصور لنا دراسته على أستاذه ثعلب هذه الرواية الأدبية (٧) التى رواها القالى عن أبى بكر الانبارى وهى : أنشدنا ثعلب فى المسجد الجامع يقرؤه على ابن المعتز :

« سقى دمنتين ليس لى بهما عهد الخ » ؛ وثعلب كان أيضا أستاذ قدامة والصولى وسواهما من العلماء .

وفوق ذلك كله أخذ ابن المعتز اللغة والغريب عن الاعراب الفصحاء (٨) وكانوا يقدمون سر من رأى وسمع عن احمد بن ابى فنن (٩) ، وكانت داره مغاثا لأهل العلم والأدب وكان يقدم اهل العلم ويؤثرهم ، نشأ فى الرواية والسماع، فكان كثير السماع غزير الرواية (١٠) مخالطا للعلماء والادباء (١١). وهكذا

---

(١) ٢١٦ / ٤ وما بعدها مسعودى ‏ ‏ ‏ ‏ (٢) ١٠٧ الأوراق

(٣) ٩٥ / ١٠ تاريخ بغداد ‏ ‏ ‏ ‏ (٤) ١١٤ الاوراق

(٥) راجع ٢١٧ /١ زهر ؛ وفى تاريخ بغداد (٩٥ / ١٠) أنه كتبها اليه حين منع الركوب الى المسجد وغيره ؛ وفى الاوراق (ص ١١٤) أنه كتبها اليه يعرفه شوقه اليه ويصف مقداره فى العلم ويعتذر من ترك إتيانه لان الركوب ليس بسائغ له

(٦) راجع ١١٦ الاوراق اشعار أولاد الخلفاء ؛ ١٧٢ أدب الكتاب

(٧) راجع ١٥٤ / ١ الامالى

(٨) ١٦٨ فهرست ؛ ١٠٧ الاوراق

(٩) ١٠٧ الاوراق

(١٠) ١٦٩ فهرست ‏ ‏ ‏ ‏ (١١) ٨٣ / ١ الدميرى

انصرف ابن المعتز منذ حداثته الى الدراسات الادبية وأكب على دراسة الأدب واللغة فى حماس بالغ ونجاح باهر(١)

-٤-

بدء نظمه للشعر :

ولعل القطعة التى كتبها ابن المعتز الى أستاذه ابن سعيد الدمشقى عام ٢٦٠ ه والتى سبق الاشارة اليها هى أول إنتاج ابن المعتز فى الشعر ، وهى بمسحتها التقليدية وأسلوبها المتكلف صورة لفن ابن المعتز أول نظمه للشعر

واستمر الشاعر ينظم الشعر فى إجادة ونبوغ ، روى انه جاء إلى أبى عيسى بن المتوكل(٢) للسلام وسنه دون العشرين عاما فدخل على بن محمد القاضى يشكو صهره له فأجابه ابو عيسى الى ما أراد ثم قال : ألا ترون إلى مثل هذا الرجل الفاضل النبيه يدفع إلى مثل هذا ؟ طوبى لمن لم تكن له بنت ؛ فقال عبد الله بن المعتز : ايهـــا الأمير انـ لولدك — يعنى ابن المعتز نفسه — فى هذا المعنى شيئا قاله واستحسنه جماعة ممن يعلمون ويقولون الشعر ؛ فقال : هاته فداك عمك ، فأنشده لنفسه .

وبكر قلت موتى قبل بعـــل ... وإن أثرى وعـد من الصميم
أ أمزج باللئـام دمى ولحمى ... فما عذرى الى النسب الكريم ؟

---

(١) ٢٧٩ المجلد الاول من دائرة المعارف الاسلامية

(٢) من أفضل أولاد المتوكل وله شعر قليل أكثره فى الزهر (١٠٤ الاوراق) وعاش الى عصر المعتضد (١٠٦ الاوراق) ولعاويه والمشدود وعارق مجلس غناء ساحر فى داره (٧٧ حلبة الكميت و ١٣٣ وما بعدها المتطرف ، ١١٣ — ١١٩ / ٤ العقد)

فقال له عمه : أمتع الله أهلك ببقائك وأحسن إليهم فى زيادة إحسانه إليك وجملهم بكمال سنك [١]

فهو — وهو دون العشرين عاما — كان شاعر مجيدا يقول مثل هذا الشعر الجيد الجميل

وهكذا أخذ يتدرج الشاعر فى نظم الشعر ويسير فيه بخطى كبيرة نحو التفوق والطبع والعبقرية مما تجلى بعد فى فنه فى الشعر ومجده فيه

---

(١) ١٣٦ و١٣٧ / ٩ الاغاني

الفصل الثالث

ابن المعتز فى عهد الشباب

- ١ -

ودع ابن المعتز عهد طفولته فى سن مبكرة ، وأخذ يتمشى فى ربيع الشباب ، تطيف به الذكريات الحافلة ، ويضيء ظلام حياته نور الأمل البسام

كان يعيش مع جدته قبيحة التى كانت تشرف على تعليمه واختيار الاساتذة له، كما رأينا فى قصتها مع البلاذرى وابن سعيد ، ثم توفيت قبيحة عام ٢٦٤ هـ ففقد كثيرا من سعادة الحياة ؛ وواصل سيره إلى الأمام بخطوات كبيرة فى سبيل آماله العذاب وأحلامه الواسعة ؛ ولا ندرى عن أمه شيئا ، ولعله كان يتمتع بما بقى له من حنانها وعطفها ؛ كما لا نعلم على أى مصدر من مصادر الحياة كان يعيش ابن المعتز ، ولعله كان يعتمد على البقية الباقية من أحوال والده وجدته ، وعلى ما كان يأخذه من بيت المال من مرتب ، وعلى مساعدات أعمامه له ، وكان يجد منهم كل عطف وتقدير ، كما تنبيء بذلك قصته مع عمه ابى عيسى ، وكان له قهرمان ووكيل وموال [1] ، ولكنه مع ذلك لم يكن يعيش فى بسطة من المال ، أليس هو الذى يقول :

يا قـــوم إنى مرزا   وكل حـر مرزا
خرج كثير ودخـل   نزر فـلم لا أعـزى

---

(١) ٧١ خاص الخاص ، ٢٦١ /٢ زهر

فالخـرج لا يتنـا هى والدخـل لا يتجـزا

ودخل الصولى عليه وقد هدمت داره التى على المطيرة بسامرا من أثر السيل وهو يبنيها فأشفق عليه من الغرم مع قلة الدخل فقال ابن المعتز :

تسود وجهى بتبيضهـا وتخرب مالى بعمرانهـا [1]

وكانت إقامته فى سامرا ثم أخذ يتردد على بغداد ومجالسها العامة وحلقـات اقطاب العلم والأدب فيها ؛ وكانت داره فى سامرا بالمطيرة ، « وهى قرية من نواحى سامرا » [2] وكانت من منتزهات سـامرا وبغداد وبنيت فى خـلافة المأمون [3] ؛ ويذكر ابن المعتز سامرا والمطيرة فى شعره كثيرا وهكذا كان يعيش ابن المعتز فى عهد الشباب الذى ابتدأ فى حياته من نحو عام ٢٦٠ هـ وهـو فى الثالث عشر من عمره وانتهى نحو عام ٢٧٩ هـ وهو فى الثانية والثلاثين

— ٢ —

وفى هذا العهد واصل الشاعر دراسته فلازم كبار العلماء والشعراء وأعـلام الادب فى سامرا وبغداد :

شغلى إذا ما كان للناس شغل دفتر فقه أو حديث أو غزل

وأخذ يجاهد فى سبيل حياته وأحلامه :

وأسهر للمجـد والمـكرمات اذا اكتحلت أعين بالكرى

وقد بدأ تعليمه فى داره وبعد أن كبر كان يتردد على مجالس العلماء وكبـار الشيوخ فى بغداد ومسجدها الجامع

---

(١) راجع ١١٦ الاوراق قسم اشعار اولاد الخلفاء ، وتنسب هذه القصة الى عبد الله بن موسى الكاتب مع ابن المعتز (٩/١٤٤ الاغانى)

(٢) ١/٤٦٤ وفيات

(٣) هامش ٣/٩٧ الامالى

وفى هـذه الفترة نضجت شاعريته وظهرت مواهبه الأدبية واحتل مكانه فى الأدب ودولة القريض ؛ وأخرج كتابه « الفصول القصار » الذى ألفه قبل عام ٢٧٤ هـ[١] ، وهو العام الذى ألف فيه كتابه الذائع الشهرة « البديع [٢] » .

— ٣ —

وفى هـذا العهد توفيت جدته قبيحة عام ٢٦٤ هـ ؛ وتزوج ابن المعتز ، ولا ندرى من تزوجها ولا من الذى صاهره ، ولكن ابن المعتز يقول فى شعره :

ونقبت عرسى بالطلاق مصمما وكانت حصاة بين رجلى وإخمصى
فأبهت عذالى وفات الذى مضى وهنيت عيشا بعـد عيش منغص

ويقول :

دست بنيـة بسطام عقاربهـا نحوى ونامت على الأضغان والحنق
حتى كأنى قد فزعت والدها فى المهد فانقلبت عيناه من فرق

فهو قد طلق زوجته لأنه لم يستطع أن يعيش معها فى وئام كما يقول فى البيتين الأولين ، وزوجته كريمة بسطام الذى يذكره فى البيتين الآخرين وفى بيته :

وهبت سلامى ما حييت لمجلس على قصر بسطام أمير المجالس

فمن هو بسطام الذى صاهره ابن المعتز ؟

فى ديوان البحترى قصائد كثيرة فى مدح أبى العباس بن بسطام[٣] ، وفى تاريخ الوزراء[٤] ذكر لأحمد بن محمد البسطامى ، وكان أبو العباس أحمد بن بسطام

(١) يشير ابن المعتز فى كتاب البديع « الى الفصول القصار » (راجع ص ٩٠ من البديع)
(٢) راجع ١٠٦ البديع
(٣) ٣٢ و ٨٧/١ و ٤ و ٢٢ و ٢ و ٧٩ و ٢٧٩/٢ ديوان البحترى
(٤) ص ٢٢٤

يلى أعمالا فى عهد الموفق وكان مقرباً إليه[١] ، وتولى أعمالا كبيرة بمصر[٢] ، واعتقل القاسم بن عبيدالله أبا العباس أحمد بن محمد بسطام ثم أطلقه العباس ابن الحسن لما ولى الوزارة ثم قلده مصر وأعمالها[٣] ، وابنه أبو محمد بن أحمد ابن بسطام من الشخصيات الكبيرة فى عهد الراضى (٣٢٢ — ٣٢٩ ﻫ) ؛ فلعل أبا العباس أحمد بن محمد بن بسطام هذا هو صهر ابن المعتز ، تزوج بنته ثم اختلفا ولم تطب حياتها فى ظلال الزوجية فطلقها ؛ وعلى أى حال فأسرة بسطام من الأسر الكبيرة فى القرن الثالث الهجرى ، ونجد ذكرا لبعض شخصياتها فى الطبرى فى تاريخ عام ٢٥٥ ﻫ

وكان ابن المعتز يكنى بأبى العباس باسم أول ولد له ، ولعل ابنه هذا كان من زوجته ابنة بسطام ، وليس لدينا شىء عن العباس ابنه ولا متى ولد وكيف عاش ، ومن الثابت أنه ولد له قبل عام ٢٧٤ ﻫ الذى ألف فيه كتابه البديع والذى يلقب ابن المعتز نفسه فيه بأبى العباس[٤] ، ولابن المعتز ابن آخر هو عبد الواحد[٥] ولا ندرى هل كان من زوجته ابنة بسطام أم من زوجة أخرى تزوجها بعد طلاق أولى زوجاته ؛ ولابن المعتز بنت توفيت فى حياته ، ورثاها فى شعره قال :

أيا شعبة النفس التى ليس غيرها سقطت فقد أفردت عودى لكاسر

الخ ، وقال فى رثائها :

سقيـا لوجـه جبينـة أودعتها كفنا ورمسا
ثم انطلقنا مسرعين إلى القبور نزف شمسا

ومع ذلك فابن المعتز بعد قتله « لم يبق له خلف يفرطه ولاعقب يدفع عنه »[٦]

( ) ٥٣ — ٥٥ من المكافأة لاحمد بن يوسف
(٢) ٢٠٢ المرجع نفسه
(٣) ١١٨/١ الفرج بعد الشدة
(٤) ٦٦ البديع (٥) ١٠٥ خاص الخاص
(٦) ١٤١/٩ الاغانى

- ٤ -

وفى عهد الشباب عكف ابن المعتز على حياة اللهو والترف، يخفف بها آلامه، ويؤكد بهذه الحياة اللاهية لرجال السياسة أنه بعيد عن السياسة ومؤمراتها ومطامعها البعيدة، كما كان يفعل ابراهيم بن المهدى من قبل حين تهتك بالغناء والشرب خوفا من المأمون وإظهارا له أنه قد خلع ربقة الخلافة من عنقه وهتك ستره فيها حتى صار لا يصلح لها (١)

فأمعن فى وصف الراح وسماع الغناء وفى الغزل والمجون، مما يصوره لك بوضوح قوله:

وما العيش إلا لمستهتر تظل عواذله فى شغب

وقوله:

صاح إن أمكنتك لذة عيش فلا تذر
وتقدم ولا تقف فاز بالحب من جسر

وقوله:

أحل بدار اللهو حيث لقيتها وأهزل باللذات والدهر فى جد

وقوله:

جعلت عقلى لشهوتى عبدا وصار غي عند الهوى رشدا

ولكنه يحاول أن يظهر فى ذلك بمظهر طاهر جميل، فيقول عن نفسه:

كريم ذنوب إن يصب بعض لذة يدع بعضها فوق الأحاديث والوزر

ويقول:

ولم آت ما قد حرم الله فى الهوى ولم أترك مما عفا الله باقيا

ويقول فى موقف لذة من لذاته:

---

(١) ٣٣/٩ الاغانى

وكان ماكان مما لست أذكره فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

وبعد فقد كان ابن المعتز يتذوق الحياة بقلب ظامىء إلى لذاتها ومقيد بقيود الفضيلة فيها ، ولكنه كانت تطغى عواطفه أحيانا على عقله فيظهر فى صورة الجامح الذى لا يمكن أن يرده شىء عن غايته ؛ ولا شك أنه فى ملذاته كان يجيب داعى الشباب فى نفسه ، ويمسح بها عن قلبه آلام الحياة وأشجانها ، ويخضع لأحكام عصره وبيئته ، ويخفى بها آماله المتغلغلة فى اعماق نفسه فى الملك والخلافة

ولكن الشاعر مع هذه الحياة اللاهية لم ينس آلامه وهمومه ودم والده المطلول ، مما يصوره فى شعره أحزانا تثير الألم ، وألحانا تبعث البكاء

— ٥ —

ابن المعتز والمعتمد : —

اصاب ابن المعتز فى عهد المهتدى (٢٥٥ — ٢٥٦ هـ) خطوب وآلام جسام ، فقد قتل والده وشردت اسرته وصودرت اموالها ؛ ومن الأنصاف أن نقول إن ذلك كله كان بأمر الأتراك ولم يكن للمهتدى فيه رأى ؛ ولكنه على أى حال المسئول الأول عن هذا العسف والطغيان الشديد

ثم خلع المهتدى وولى بعده الخلافة احمد المعتمد على الله ابن المتوكل ، عم الشاعر الذى ظل خليفة امدا طويلا (٢٥٦ — ٢٧٩ هـ) ، كان المسيطر فيه على الدولة أخوه ابو أحمد طلحة الموفق بن المتوكل الذى لقب نفسه الناصر لدين الله(١)

والظاهر أن صلة الشاعر بعمه الخليفة كانت ضئيلة فليس فى ديوانه شىء عنه

(١) ٢٩٩/٣ العقد ، ويذكره ابن المعتز بهذا اللقب فى شعره كثيرا .

أو شعر فيه ، وتذكر بعض المصادر أن ابن المعتز قال فى فصاد المعتمد هذه الابيات : —

يا دما سال من ذراع الأمام أنت أزكى من عنبر ومدام

الخ [١] ، وتجعلها المصادر الأخرى له فصاد المعتضد [٢]

ابن المعتز والموفق : —

كان الموفق هو المسيطر على الخلافة فى حكم أخيه المعتمد مدة طويلة (٢٥٧ — ٢٧٨ ﻫ) . وكان يضع ابن أخيه — عبد الله بن المعتز — موضع الرعاية متناسيا صنع أخيه المعتز معه ومع المؤيد شقيقه ؛ وكانت حياة ابن المعتز تدعوه إلى أن يوطد صلته بعمه الموفق ، والباحث فى ديوان الشاعر يجد كثيرا من القصائد التى نظمها فى عمه الحاكم المطلق فى دولة الخلافة ؛ ومن الجدير بالتنويه أن ديوان الشاعر المطبوع خال من ذكر شىء عن الاشخاص والحوادث التى نظمت فيها قصائده ، وقد أضنانا البحث فى إرجاع كل قصيدة إلى الظروف التى نظمت فيها ، وبيان الشخصيات التى تشير إليها ، وذلك بالرجوع الى شتى المصادر وبدراسة ديوان الشاعر دراسة تاريخيه خاصة

كان العمل الفذ الذى قام به الموفق هو القضاء على ثورة الزنج التى اشتعلت نارها بالبصرة وما جاورها سنين طوالا (٢٥٥ — ٢٧٠ ﻫ) ، وقد أشاد ابن المعتز بهذا النصر العظيم فى قصيدته [٣] :

يا ناصر الاسلام عش واسلم على ريب الزمن

(١) هامش ١١٣ الوساطة

(٢) ٢٢٤ / ٤ المسعودى . وهى فى معجم الشعراء (ص ٤٤٥) لمحمد بن ابراهيم الجرجانى فى فصاد الحسن بن زيد العلوى صاحب طبرستان

(٣) راجع ١٧٥ ديوان ابن المعتز طبع بيروت

وفى لامية أخرى (١) ، وفى أرجوزته فى الخليفة المعتضد

وتوفى هارون بن الموفق فى بغداد عام ٢٧٠ ﻫ فرثاه الشاعر وعزى والده الموفق فيه بقصيدته :

يا ناصر الدين إذ هزت قواعده   وأصدق الناس فى بؤس وإنعام (٢)

ولما توفى الموفق عام ٢٧٨ ﻫ رثاه ابن المعتز بقصائد كثيرة بعضها فى ديوانه المطبوع والأخرى فى ديوانه المخطوط

ويقول صاحب زهر الآداب : —

وكان ابن المعتز يمدح الموفق ويلقبه الناصر ، وقد ذكر الصولى فى قصيدة لصاحبه قال — وقد اقتص خلفاء بنى العباس من أولهم : —

ومعتمد من بعدهم وموفق   يجدد من ارث الخلافة ما ذهب
ينازلهم فى كل فضل وسؤدد   وان لم يكن فى العد منهم لمن حسب، (٣)

ابن المعتز وذكريات الشباب :

وفى هذا العهد الجميل ، عهد الشباب الناضر ، عاش ابن المعتز عيشة الرجل الاجتماعى الذى تربطه بالمجتمع أوثق الصلات ؛ تمتع بعطف كثير من أعمامه وأسرته ، وصاحب كثيرا من الاصدقاء ، ووطد مكانته فى الحياة العامة وظهر فى النوادى الأدبية ؛ وسنحاول فى هذه الكلمة صداقاته ، ونذكر من تأثربهم من الشخصيات والأصدقاء :

(١) راجع ١٤٩ ديوانه ، ٣/٢٠٣ زهر ، ١٣٠ الاوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء ، وفى ١٢٦ رسائل ابن المعتز بعض منها

(٢) تجدها فى ديوان الشاعر المخطوط وفى ١٣٢ رسائل ابن المعتز وفى زهر الآداب (٣/٢٠٠) ويذكر الحصرى فيه أنها فى تعزية المعتضد بابنه هرون وهو تحريف

(٣) ٣٠٢ / زهر الاداب

(أ) أبو محمد محمد بن المتوكل ، عم الشاعر ، وهو ممن أسبغوا عليه الكثير من العطف والرعاية ، ونظم فيه ابن المعتز كثيرا من قصائده ،حبسه أخوه الموفق ببغداد فنظم الشاعر قصيدته :

فك حر الوجد قيد البكاء   فاعذريني أو فوتى بدائى[١]

وهى من أوائل شعره ؛ ومات عمه أبو محمد فرثاه ابن المعتز بمراث كثيرة جيدة أكثرها فى ديوانه المخطوط ، ويتجلى فيها روح التأثر العميق لفقده ، والتذكر الوفى لجميل أياديه عليه ، وذكره فقده بأهله الراحلين فرثاهم بقصائد كثيرة ، منها قصيدته[٢] :

أخى عليك الدهر مقتدرا   والدهر ألأم قادر ظفرا

(ب) أبو الحسن على بن يحي المنجم[٣] (٢٠١ — ٢٧٥ ﻫ) ؛ كان شاعرا رواية علامة إخباريا نادم المتوكل[٤] والمعتز[٥] ، وكان له خزانة كتب ضخمة يسميها خزانة الحكمة ويقصدها الناس فيتعلمون منها صنوف العلم وله كتاب الشعراء القدماء والإسلامية[٦] وهو من أسرة فارسية وكان أديبا شاعرا فاضلا متفننا فى علوم العرب والعجم ورثاه ابن المعتز وعبيد الله بن عبد الله طاهر وجماعة من الشعراء[٧] .

وكانت الصلة بينه وبين ابن المعتز وثيقة منذ عهد المعتز والده ، ولابن المعتز فيه مراث صغيرة تجدها فى ديوانه المطبوع ويذكره فيها بلقبه« أبى حسن »[٨]

---

(١) راجع القصيدة فى ٣٢١ ديوان ابن المعتز طبع بيروت ، ١١٧ الاوراق

(٢) راجعها فى ديوانه المخطوط ، وفى ٤/٣١ زهر الاداب ، ١٣٢ رسائل ابن المعتز

(٣) راجع : ٥٠ — ٢/٥١ وفيات، و٤٥٩ — ٥/٤٧٧ معجم الادباء و ٢٠٥ وما بعدها فهرست

(٤) ٤٥٩ / ٥ معجم الادباء

(٥) ٤٧٥ / ٥ المرجع

(٦) ٢٠٥ فهرست

(٧) ٢٨٦ وما بعدها معجم الشعراء

(٨) راجع ٣٢٧ ديوان ابن المعتز طبع بيروت

وأحيانا باسمه « علي »[١] ، أو « بابن يحيي[٢] ، وله فيه مرثية طوثية مطلعها :

يا لقومى للأمل المغـرور ولجاج لا ينقضى فى الصدور[٣]

وذلك يدل على ما كان له فى نفس ابن المعتز من حب وتقدير .

(ج) هارون بن على بن يحيي المنجم[٤] (٢٥١ — ٢٨٩ ﻫ) وهو أديب قليل الشعر ، وله كتاب البارع وهو اختيار شعر المحدثين ، وكتاب اختيار الشعراء الكبير ولم يتمه[٥] ، وهو أول من نسخ من ابن المعتز كتاب « البديع » الذى ألفه عام ٢٧٤ ﻫ[٦] .

(د) يحيي بن على المنجم[٧] (٢٤١ — ٣٠٠ ﻫ) نادم الموفق ومن بعده من الخلفاء وكان أديبا متكلما معتزليا وكان له مجلس يحضره جماعة من المتكلمين بالحضرة وله كتاب الباهر فى مخضرمى الدولتين ابتدأ فيه ببشار وتممه ابنه أحمد[٨] وله رسالة أدبية فى تقديم العباس بن الأحنف على العتابى[٩] وكان شاعرا مطبوعا من أشعر أهل زمانه وأكثرهم افتنانا فى علوم العرب والعجم[١٠]

كان يحيي صديق ابن المعتز وفيه وفى صداقته يقول .[١١]

إن يحيي — لازال يحيي — صديقى وخليلى من دون هذا الأنام

زاد ودى له صفاء كما فى كل يوم يزداد صفو المدام

---

(١) راجع ٣٢٨ المرجع

(٢) راجع ٣٣٠ المرجع

(٣) راجعها فى ديوانه المخطوط وهى طويلة جدا

(٤) راجع ترجمته ى ١٢١ / ٣ ومابعدها وفيات

(٥) ٢٥٦ فهرست

(٦) ١٠٦ البديع

(٧) ٢٠٨ ٣/٢١٠ وفيات ، ٣٠٢ نزهة الالباء ، ٧/٢٨٧ معجم الادباء

(٨) ٢٠٥ و ٢٠٦ فهرست

(٩) راجعها فى ٢٩٣ موشح ، وزهر الاداب

(١٠) ٥٠٢ معجم الشعراء

(١١) راجع ديوان ابن المعتز المخطوط

وكان بينهما مداعبات [١]. ولكن صفو هذه الصداقة لم يستمر، فقد كان يحي شعوبيا، مما تصوره لك قصيدته [٢]:

يابنى هاجر فتبا [٣] لـــكم ما   هـــذه الكبرياء والعظمة

ورد عليها ابن المعتز بقصيدة [٤] طويلة منها

أسمع قولا ولا أرى أحدا   من ذا الشقى الذى أباح دمه
حاشا لأسحاق أن يكون لكم   أبا وإن كنتم بنيه فمه؟
وهل بنوه إلا لنا خدم   كم رق عبد منهم لنا وأمة
خير من اسحاق خاتم الرسل   الهادى المجلى بنوره الظلمة

نقم عليـه ابن المعتز شعوبيته فتهاجيا وتخاصما وكان يحي يرمى ابن المعتز بالتصحيف [٥]، وهجا ابن المعتز بقصيدته [٦]:

ابعد البـين صبر أو هجود   أبى ذاك التفكر والشهود

ومنها:

أتسمو للفخار وأنت قرد   وما بالمجد يفتخر القرود
فخرت بفارس سفها وجهلا   كأنك من مراز بها تليد

وكان ليحي مجلس للمتكلمين عنده فى يوم الثلاثاء فقال فيه « بالله يا ابن على فض جمعهم الخ » [٧] وهجاه أشد هجاء [٨]: ولما ولى ابن المعتز الخلافة ذهب يحي ليسلم عليه فأعرض عنه ابن المعتز فهجاه يحي بعد أن قبض عليه [٩]

(١) راجع ٣٢ أخبار الظراف لابن الجوزى، ٩٦/١٠ تاريخ بغداد
(٢) راجعها فى الاوراق قسم أخبار المقتدر مخطوط بمكتبه الازهر
(٣) فى الاصل: تأبت   (٤) ورقه ٣٣ وما بعدها الاوراق قسم المقتدر، وديوانه المخطوط
(٥) ورقة ٣١ الاوراق قسم المقتدر، و ٤٥ رسائل ابن المعتز
(٦) ورقة ٤٠ المرجع السابق، والقصيدة طويلة جدا   (٧) ١٨٠ ديوان ابن المعتز طبع بيروت
(٨) ٢٠٤ المرجع نفسه   (٩) ورقة ٢٦ الاوراق قسم المقتدر

هـ — عبيد الله بن عبد الله بن طاهر (٢٢٣ — ٣٠٠ هـ) . من أسرة فارسية أول من نبغ منها طاهر بن الحسين (١٥٩ — ٢٠٨ هـ) الذى أبلى فى الخلاف بين الأمين والمأمون أحسن بلاء فولاه المأمون خراسان فأنشأ فيها دولة طاهرية مستقلة (٢٠٥ — ٢٥٩ هـ)، ومن أبنائه عبد الله بن طاهرم ٢٢٨ هـ الذى خلف ابنيه : محمد وعبيد الله

كان عبيد الله سيد أسرته بعد أخيه محمد ، وكان أميرا وشاعرا مترسلا ، وله كتاب الاشارة فى أخبار الشعراء ورسالته فى السياسة الملوكية، وكتاب مراسلاته مع ابن المعتز وكتاب البراعة والفصاحة[١]، وكان شاعرا لطيفا رقيق الحاشية وله ديوان شعر كما يقول ابن خلكان ،وكان له محل من الأدب والتصرف فى فنونه ورواية الشعر وقوله والعلم باللغة وأيام الناس وعلوم الأوائل من الفلاسفة وأشعاره كثيرة جيدة وكتابه الآداب الرفيعة فى النغم وعلل الأغانى مشهور جليل الفائدة [٢]؛ ولابن المعتز شعر فيه [٣] وكان بينهما مكاتبات بالأشعار [٤] ، وكتب ابن المعتز رسالة طويلة فى الغناء وجواز التجديد فى مذاهبه وبعث بها إلى عبيد الله وإلى ابن حمدون فرد عليه عبيد الله برسالة طويلة كلها إعجاب وثناء [٥]

و — ومن أصدقاء ابن المعتز القاسم بن أحمد الكوفى الكاتب ، وكان بينه وبين ابن المعتز مكاتبات ومراسلات بالأشعار [٦]

ز — ومن أصدقائه محمد بن ابراهيم بن عتاب [٧]

ح — وابن حمدون النديم (٢٣٧ — ٣٠٩ هـ) ، واسمه ابو عبد الله محمد [٨]

---

(١) ١٧٠ فهرست
(٢) ٨/٤٥ الاغانى
(٣) راجع ٢/٦٧ العمدة
(٤) راجع ٩/١٤٥ الاغانى
(٥) راجع ٩/١٤١ الاغانى
(٦) ٣٣٦ معجم الشعراء
(٧) راجع ٥٦ ، معجم الشعراء
(٨) ٣٢ الاذكياء ، ٣/٢٠٣ الاغانى

بن أحمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن داود بن حمدون ؛كان والده أحمد استاذ ثعلب ، وخص بالمتوكل [١] والظاهر أنه توفى عام ٢٧٥ [٢] ه وهو خال ابو الحسن على بن بسام الشاعر المشهور م ٣٠٢ ه [٣] ؛ ولا بن حمدون آداب تروى [٤] ، وله قصص كثيرة مع المعتضد تدل على شدة مكانته عنده [٥]

ط — نطاحة أحمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن الخصيب ، وقد سبق ذكره مع الكتاب ، وكان بليغا مترسلا شاعرا ، وبينه وبين ابن المعتز مراسلات وجوابات عجيبة [٦]

(ى) على بن مهدى الكسروري كان أحد العلماء الشعراء الرواة النحويين وكان أديبا ظريفا رواية شاعرا وتوفى فى خلافة المعتضد[٧] ، وكان يؤدب ولد هارون بن على ثم اتصل ببدر المعتضدى[٨] ، وله مكاتبات بالشعر مع ابن المعتز ويحي بن على[٩] وتوفى الكروى نحو عام ٢٨٥ ه .

ولابن المعتز فيه كثير من الشعر والمداعبات[١٠] .

(ك) المفضل بن سلمة بن عاصم صاحب العزاء نحوى أديب كان بينه وبين

---

(١) ٣٦٥ — ١/٣٧٢ معجم الادباء ، ٢٠٧ و ٤١١ فهرست

(٢) نستنتج ذلك مما ذكر فى ديوان ابن المعتز المخطوط من أن ابن المعتز رثى ابا العباس بن حمدون وعلى ابن يحيى المنجم بقصيدته :

أنكرت سلمى مشيبا علانى ورأتني غير ما قد ترانى

فالظاهر أن أبا العباس هذا هو ولد محمد وكان يلقب بأبى العباس فلابد أن يكون توفى مع ابن المنجم عام ٢٨٥ ه حتى أن ابن المعتز رثاهما معا بهذه القصيدة

(٣) راجع ٣١٨/٥ معجم الادباء. (٤) راجع ٤٥ خاص الخاص

(٥) راجع ٣٢ وما بعدها من كتاب الاذكياء

(٦) ١/٣٧٧ معجم الادباء

(٧) راجع ٤٢٧ — ٥/٤٣٢ معجم الادباء

(٨) ٢١٤ فهرست (٩) ٢٩٢ معجم الشعراء

(١٠) راجع ٤٢٨ — ٥/٤٣٠ معجم الادباء، وديوان ابن المعتز المخطوط باب الهجاء

ابن المعتز مكاتبات[١] ، وكان المفضل من لغويي العصر العباسي الثالث على مذهب أهل الكوفة وله كتاب الفاخر فى اللغة وكتاب العود والملاهي وتوفى فى أواخر القرن الثالث[٢] .

(ل) أحمد بن أبي العلاء يعده أبو الفرج فى طبقات المغنيين[٣] ، وهجاه البحترى[٤] ، وكتب إلى ابن المعتز :

أنا سيف على العدى لك فى الحر ب وفى السلم فابتذلنى وصنى
ونديم إن لم يزرك نديم ومغن إن لم يزرك مغن[٥]

ولابن المعتز فيه شعر كثير منه قصيدته النونية[٦] :

لقد أقفر الدكان من كل لذة وعطل من رجل وقوف وركبان

(م) جحظة البرمكى (٢٢٤ — ٣٢٦ ﻫ) ؛ وابن المعتز هو الذى لقبه هذا اللقب[٧] ، وكان بينهما مكاتبات ومراسلات[٨] .

(ن) أبو الطيب القاسم بن محمد بن عبيد الله النميرى ، كان ينادم ابن المعتز وكانا يكثران من التكاتب بالأشعار [٩] ؛ وفى ديوان ابن المعتز شعر فيه ومداعبات متعددة معه

(س) أبو الحسين جعفر بن محمد بن ثوابة الكاتب وأحد البلغاء الفصحاء واستخلفه القاسم على ديوان الرسائل (١٠) ،ويقول ابن المعتز فيه :

---

(١) ٣٨٤ معجم الشعراء . ويخطىء فى تقدير عام وفاته بسنة ٢٥٠ ﻫ
(٢) ١٨٧ /٢ آداب اللغة لزيدان (٣) ٤٤ / ١٨ الاغانى
(٤) ٢٦٣ / ٢ ديوان البحترى (٥) ٧٢ فصول التماثيل
(٦) راجعها فى ١٤٣ — ١٤٥ الاوراق قسم اشعار أولاد الخلفاء.
(٧) ٢٤٢ /٢ معجم الادباء (نشر رفاعى) ، ٧٢ / ١ وفيات ، ١٥٤ /٢ زهر
(٨) راجع ٢٩٣ /١ معجم الادباء (نشر مرجليوث) .
(٩) ٣٣٦ معجم الشعراء
(١٠) ٤١٧/٢ وما بعدها معجم الادباء

إنى رزقت من الأخوان جوهرة ما إن لها قيمة عندى ولا ثمن

ورثاه ابن المعتز بقصيدته :

ليس شىء لصحة ودوام غلب الدهر حيلة الأقوام (١)

وبقصيدة أخرى نونية طويلة تجدها فى ديوانه المخطوط ، وفى الديوان المخطوط يذكر أن ابيات ابن المعتز :

أبا حسن ثبت فى الأمر وطأتى وأدركتنى فى المعضلات الهزاهز

الخ نظمها فيه ، والصحيح أنها فى أبى الحسن على بن الفرات الوزير (٢)

س — ابو القاسم جعفر بن قدامة م ٣١٩ هـ وهو من مشايخ الكتاب وعلمائهم وله مصنفات فى صنعة الكتابة وغيرها (٣) ، ويعده ابن النديم من الشعراء الكتاب(٤)

كان جعفر يلازم ابن المعتز ويجلس عنده كثيرا ويمضيان أوقاتهما معا فى مرح ولهو (٥)

ع — أما اسماعيل بن بلبل وزير الموفق فلم يكن بين ابن المعتز وبينه وئام وهجاه ابن المعتز بقصيدة خائية تجدها فى ديوانه المخطوط ، وكان اسماعيل قد صاهر الموفق (٦) ، وكان يسعى بين الموفق وابنه أبى العباس المعتضد حتى حبس الموفق ابنه فلما ولى المعتضد شئون الخلافة بعد أبيه سنة ٢٧٨ هـ قبض على ابن بلبل الوزير حيث لقى مصرعه ، والظاهر أن القصيدة التى أشرنا إليها قد نظمها

---

(١) ٨٨ / ٣ زهر ، ١٣٠ رسائل ابن المعتز

(٢) ٢٢٣ /٤ مسعودى : وفى الديوان المخطوط كثير من التحريف والخطأ فى نسبة شعر ابن المعتز للذين نظم فيهم الشاعر قصائده

(٣) ٤١٢ — ٤١٥ معجم الادباء و ٢٠٥ /٧ تاريخ بغداد

(٤) ٢٣٩ فهرست

(٥) راجع ١٤٢ /٩ وما بعدها الاغانى

(٦) ٤٣ /٢ معجم الادباء ٢٩٩ / ٣ العقد

ابن المعتز إثر القبض عليه وحبسه ، ويذمه ابن المعتز فى أرجوزته فى المعتضد طويلا (١)

☆ ☆ ☆

وبعد فعصر الشباب فى حياة ابن المعتز حافل بكثير من الذكريات

ولقد ودع ابن المعتز شبابه ولهوه بوداع هذا العهد الجميل الناضر ، وكما يقول ابن المعتز :

سلام على اللذات واللهو والصبا ــــ سلام وداع لاسلام قدوم

ويقول :

ياصاح ودعت الغوانى والصبا ــــ وسلكت غير سبيلهن سبيلا

وثنيت أعناق الهوى نحو العلا ــــ ورأيت شأو العاشقين طويلا

بدلت من ليل الشباب بمفرق ــــ صبح النهى أحبب بذاك بديلا

---

(١) ١٥٧ — ١٦٠ ديوان ابن المعتز ، ٨٨ ــ ٩٠ رسائل ابن المعتز

الفصل الرابع

ابن المعتز فى عهد رجولته

- ١ -

يبدأ هذا العهد الجديد فى حياة الشاعر بابتداء عصر المعتضد عام ٢٧٩ هـ، والشاعر فى الثانية والثلاثين من عمره وينتهى بانتهاء عهد المكتفى عام ٢٩٥ هـ، وهو فى الثامنة والأربعين .

امتاز هذا العهد فى حياة الشاعر بخصائص كثيرة كان لها أثرها فى نفسه وحياته وفى المجتمع الذى يعيش فيه .

فقد فرغ من ملذاته ولهوه وبدأ حياة جديدة فيها جد وعمل ونشاط وإقدام :

وثنيت أعناق الهوى نحو العلا ورأيت شأو العاشقين طويلا

وإن كانت هذه الحياة الجديدة مريرة ثقيلة على نفسه :

خضبت رأسى فقلت لها اخضبى قلبى فقد شابا
فأمامى المر من عمرى وورائى منه ما طابا

ولكنه حكم المشيب :

سل المشيب سيوفه فسطا على اللذات سطوا

الذى جعله يرد نفسه الى طريق الخير :

رددت إلى التقى نفسي فقرت كما رد الحسام إلى القراب

ونهاه الامام المعتضد عن سفه الكأس فعافها مكرها وعاف معها لذات الحياة .

ونهانى الامام عن سفه الكأس فرددعلى السقاة المدام
عفتها مكرها ولذات عيش قام بينى وبينهن الامام

ثم هو يعيش حينا يتمتع بحريته وكرامته ونفوذه فى دار الخلافة ، وحينا يعيش بين اضطهاد ومراقبة وتهديد يعيش حينا راضيا مبتسما للحياة ، وحينا ساخطا متجهما على حظه وآماله فيها .

وهو فوق ذلك كله علم من أعلام الأدب والنقد والبيان والتفكير ، وشاعر ممتاز يخلف أبا تمام والبحترى وابن الرومى على عرش القريض .

وهو يحيا حياة الرجولة المكتهلة ، والرأى الناضج ، والحكمة العميقة والتجربة الصحيحة ، وبين خصومات ومؤامرات كادت تودى بحياته ، لولا رجل عظيم كان يدافع دائما عنه ، وهو الوزير عبيدالله بن سليمان ، ولولا حكمة الشاعر التى آثرت صداقة المتعضد ومهادنه المكتفى مع ما كانت تجيش به نفسه من ثورة الألم والحزن العميق

لا نعلم شيئا عن موارد الشاعر المالية فى هذه الفترة ، ولعله كان له مرتب ثابت من دار الخلافة ، فقد كان يصرف كل يوم نحو الثلاثة والثلاثين دينارا فى عهد المعتضد لأولاد المتوكل وسبعة عشر لولد الواثق والمستعين والمهتدى وسائر أولاد الخلفاء[١] . ومن المرجح أنه كان لابن المعتز مع ذلك موارد خاصة يركن إليها فى معيشته

وليس لدينا أيضا جديد عن أسرة ابن المعتز وحياته العائلية فى هذا العهد وكان ابن المعتز يقيم منذ أمد طويل فى سامرا فى دار والده غالبا « فأمره المعتضد بالقدوم إلى بغداد » كما فى نسخة خطية من ديوان ابن المعتز ، أو « أمر

(١) ٣٥٥ /٣ تاريخ الامم الاسلامية للخضرى بك

باحضاره إلى بغداد » كما فى النسخة الأخرى ؛ وامتثل ابن المعتز أمر الخليفة وترك سامرا وأقام فى بغداد ، وفى ذلك يقول قصيدته (١) :

دعانى الإمام إلى قربه ... فأهلا بذاك وسهلا به
يقصر جهدى عن شكره ... ولست أقصر عن حبه
وعوقنى الدهر عن قربه ... زمانا فقد تاب من ذنبه

والظاهر أن ابن المعتز لم تعجبه بغداد فقال كثيرا من الشعر فى ذمها والتنويه بسامرا وجمال أيامه فيها ، مما تجده فى ديوانه ، وله رسالة أدبية يمدح فيها سامرا ويصف خرابها ويذم بغداد والحياة فيها (٢) ؛ وعلى أى حال فقد كانت إقامة الشاعر ببغداد بدار على شاطىء الصراة كما ورد ذلك فى شعره

— ٣ —

ابن المعتز والمعتضد :

ولد أبو العباس المعتضد أحمد بن الموفق بن المتوكل ابن عم شاعرنا الأمير عام ٢٤٣ هـ ، وكان عضدا لوالده فى أعماله وحروبه ثم غضب عليه فحبسه عام ٢٧٥ هـ ، وخرج من الحبس عام ٢٧٨ هـ فى احتضار أبيه ليحل محله فى إدارة شئون الدولة للخليفة المعتمد ، وبعد قليل توفى المعتمد فبويع المعتضد بالخلافة فى رجب ٢٧٩ هـ = أكتوبر ٨٩٢ م ، وظل فى الخلافة حتى توفى فى ربيع الآخر عام ٢٨٩ هـ = ٩٠٢ م

وامتاز عهده بكثرة الحروب مع الخارجين على الخلافة ، وباستقرار أمور الدولة ، واستعادة ما كان لها من هيبة ومجد ، كما امتاز بهذه الإصلاحات الكثيرة

(١) راجعها فى ديوانه المخطوط

(٢) ٢٤٢ / ٢ معجم البلدان ، ٨٢ / ١ النثر الفنى ، ٥٨ رسائل ابن المعتز

التى قام بها المعتضد فى خلافته ، « فسكنت الفتن وهدأ الهرج وصلحت البلدان ورخصت الاسعار » [١] ، وكان المعتضد شهما عاقلا فاضلا قوى السياسة شديدا على أهل الفساد [٢] وكان بخيلا سفاكا للدماء [٣] وفى نهاية الفطنة والذكاء وله قصص كثيرة تدل على سهره على حفظ الأمن [٤] ، وكان السرخسى تلميذ الكندى أستاذه ثم نادمه وخص به ثم قتله عام ٢٨٦ ﻫ لأنه أفشى بعض أسراره [٥] . وفى عهده توفى ابن طيفور عام ٢٨٢ ﻫ وابو العيناء ٢٨٢ ﻫ وابن الرومى ٢٨٣ والبحترى ٢٨٤ ﻫ وسواهم من الشعراء والعلماء ؛ وهو اول من فكر فى بناء جامعة اسلامية كبيرة ومدينة جامعية واسعة [٦] ؛ ونقل عاصمة الخلافة من سامرا الى بغداد عام ٢٧٩ ﻫ وبعد قليل أقفرت سامرا ، وفى خرابها يقول ابن المعتز

قد أقفرت سرمرا   وما لشىء دوام الخ

وتزوج المعتضد قطرى الندى (٧) ، وعاش مرهوبا قوى النفوذ والسلطان

كان ابن المعتز وثيق الصلة بالمعتضد ، اتصل به وعاش فى بلاطه ، وأخلص لعهده وفى طاعته ، وأشاد بذكره وبعظمة الدولة فى أيامه ، وببطولة انتصاراته على أعدائها والثائرين عليها ، وجمعت بينهما صلات النسب القريب والسن المتقاربة وصلات الأدب والعلم ؛ وكان لابن المعتز مكانته الرفيعة عند الخليفة ، فعاش موفور الكرامة ، واتصل بالحياة العامة فى هذه الفترة اتصالا وثيقا ؛ وهكذا عاش فى ونام مع ابن عمه الخليفة ، وتناسى آماله فى الملك والسلطان المتغلغلة فى أعماق نفسه ، وإن ظل اسمه مسرحا للوشايات والخصومات فى بعض الأحيان

(١) ١٦٧ / ٤ المسعودى
(٢) ٣٠٢ الفخرى
(٣) ١٦٨ / ٤ المسعودى
(٤) راجع ٣٢ — ٣٦ الاذكياء ، ٩٣ / ١ وما بعدها المستطرف ، ١٩٩ / ٢ ثمرات الاوراق بهامش المستطرف
(٥) ٢٦٥ وما بعدها فهرست
(٦) ٣١٣ الادب العباسى لمحمود مصطفى
(٧) راجع ٢٠٣ / ٤ مسعودى ، ٨٧ / ٣ زهر

وشعر ابن المعتز صورة واضحة لهذه الفترة الحافلة ، و لحياة المعتضد وأعماله وهو على عرش الخلافة ؛ ويشرح ابن المعتز فى ارجوزته الطويلة فى الخليفة المعتضد حياته وأعماله والحالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى عصره شرحا قويا ممتعا (١)

تولى المعتضد الخلافة فهنأه ابن المعتز بها بقصيدته :

زودينا نائلا أو عدينا قد صدقناك فلا تكذبينا

ومنها :

يا أمير المؤمنين المرجى قد أقر الله فيك العيونا
ودعينا نحو بيعة حق فسعينا نحوها مسرعينا
قر فى كفك خاتم ملك لك صاغته الخلافة حينا

ويعيد المعتضد تنظيم جباية الخراج عام ٢٨٢ ه ، فيشيد به الشاعر فى قصيدته (٢) :

ألا أيها الربع الذى عطل الدهر عفاك بكائى فيك لم يعفك القطر

ويبنى المعتضد قصره « الثريا » فيهنئه ابن المعتز بقصيدته :

سلمت أمير المؤمنين على الدهر ولازلت فينا باقيا واسع العمر

ويعود المعتضد من الموصل عام ٢٨٣ ه بعد أعمال حربية كبيرة فينوه به الشاعر فى قصيدته :

قرب المحب إلى الحبيب الوامق من بعد ما فتك الفراق بعاشق

ويمدح المعتضد إثر رجوعه بعد قتل البصرى الثائر بقصيدته :

يا صاح ودعت الفوانى والصبا وسلكت غير سبيلهن سبيلا

---

(١) راجع ٨٠ — ١٠٧ رسائل ابن المعتز (٢) فى ديوان ابن المعتز المخطوط يذكر أنها نظمت فى مدح أبى العباس وابو الحسين بن الفرات وذلك خطأ . ولا تدل عليه القصيدة

ويقضى المعتضد على ثورة صالح بن مدرك الطائى عام ٢٨٧ ه فيذكر ذلك ابن المعتز فى قصيدته :

يا قاتلا لا يبالى بالذى صنعا رميت قلبى بسهم الحب فانصدعا

وفى العام نفسه قضى على ثورة وصيف بالشام فنظم الشاعر فى ذلك قصيدته (١)

قضى وطرا من لذة ونعيم وساق وجلاس وماء كروم

ولابن المعتز فوق ذلك فى المعتضد كثير من القصائد ومنها قصيدته الرائعة :

هذا الفراق وكنت أفرقه قد قربته للبين أينقه

وقصيدته (٢) .

يا راميا لم يخط لى مقتلا خذ من فؤادى سهمك الأولا

وتوفيت (بريرة) جارية المعتضد أم ابنه ابراهيم فقال فى ذلك قصيدته (٣) :

يا إمام الهدى بنا لابك الهم وأضنيتنا وعشت سليما

ولابن المعتز فى مرض المعتضد وله فى رثائه شعر كثير تجده فى ديوان الشاعر المخطوط وفى كثير من المراجع الأخرى (٤) .

---

(١) فى ديوانه المخطوط يذكر أنها فى عبيد الله بن سليمان وذكر أخذ وصيف ، والقصيدة لا تؤيد أنها فى عبيد الله وهى كلها إشادة بالخليفة

(٢) ١٣٠ الاوراق

(٣) راجعها فى ديوانه المخطوط

(٤) راجع : ١٣١ رسائل ابن المعتز ، ١٩٩ /٣ وما بعدها زهر ، ١٤٢ /٢ العمدة ، وسوى ذلك من المراجع

وبعد فشعر ابن المعتز فى المعتضد يفيض أكثره بالجمال الفنى ، وينم عن وئام واضح بين الشاعر وابن عمه الخليفة ، وعن استقرار فى حياة الشاعر ، وفيه شرح واسع للحياة العامة وللدولة وسياستها فى عهد المعتضد بالله .

ابن المعتز والمكتفى :

ولد على المكتفى بن المعتضد عام ٢٦٤ هـ ، ولما توفى والده المعتضد أخذ القاسم ابن عبيد الله الوزير البيعة له وذلك عام ٢٨٩ هـ ، وظل فى الخلافة حتى توفى عام ٢٩٥ هـ .

وزر له القاسم الذى توفى عام ٢٩١ هـ عن نيف وثلاثين عاما ، فاستوزر بعده العباس بن الحسن بن على الذى ظل فى الوزارة حتى قتل عام ٢٩٦ هـ .

سار المكتفى فى سياسة الدولة سيرا حسنا ، فداوى أمراضها بالحزم واللين والرفق والشدة جميعا ، وفى عهده قتل بدر القائد غلام والده المعتضد ، وانقرضت دولة بنى طولون بمصر عام ٢٩٢ هـ ، كما انقرضت دولة الأغالبة بأفريقيا ، وازداد أمر القرامطة واستفحل شرهم الى حد كبير .

وكان المكتفى شاعرا (١) ناقدا (٢) وعالما ممتازا وسياسيا بارعا .

ولى الخلافة وابن المعتز فى الثانية والأربعين من عمره ومات وهو فى الثامنة والأربعين ، والمكتفى كالإبن لشاعرنا ابن المعتز فوالده المعتضد كان ابن عم الشاعر الأمير ؛ وكان توليه الخلافة وحرمان ابن المعتز منها مثار ألم دفين فى نفس الشاعر نطقت به عواطفه الملتهبة فى همس وصمت حينا بعد حين ، أليس هو الذى يقول :

لئن عريت من دول أراها   تجدد كل يوم للكلاب

(١) راجع ٢٩٤ معجم الشعراء.

(٢) راجع ٢٠٢ / ١ ديوان المعانى

لقد خلفتها بعد ابتذال لها وملتها قبل الذهاب

ويقول :

نبئت أن قومى قد دفنوا لى مكرا
طال عليهم عمرى فاستعجلوا بى القبرا
هل للأغر ذنب إن لم يكونوا غرا

ويقول .

تمكن هذا الدهر مما يسوءنى ولج فما يخلى صفاتى من قرع

ويقول :

من يذود الهموم عن مكروب مستكين لحادثات الخطوب
فهو فى جفوة المقادير لا يأ خذ يوما من دولة بنصيب

ويتمنى أن يكون حظه من الحياة حظ الخامل الجهول :

من يشترى حسبى بأمن خمول من يشترى أدبى بحظ جهول

ولكنه كان كما يقول :

ميت السرائر ضحاك على حنق ما دام يعجز عن أعدائى الحنق

ساخطاً على المجتمع والناس :

خلقت فى شر عصبة خلقت أثكلنيها رب السموات

يائساً من الحياة :

وعطل من نفسى مكان رجائها فان لم يكن موت فكالموت ما بيا

وهكذا كانت نفس ابن المعتز تلتهب جوانحها بأعنف الثورات .

بعد وفاة المعتضد قبض القاسم على ابن المعتز وآخرين من أمراء البيت العباسى

وأودعهم السجن ، فلما قدم المكتفى بغداد وتولى مقاليد الخلافة وعرف خبرهم أمر باطلاقهم ووصل كل واحد بألف دينار [1]

وفى الفترة التى قضاها ابن المعتز فى السجن كتب إلى القاسم قصيدته :

هل من معين على أحداث أزمانى أسأت معتمدا إلى بعد إحسان

ونظم قصيدته : اشتكينا حوادث الأيام [2] ؛ ثم أرسل وهو فى الحبس إلى المكتفى قصيدة يهنئه ويمدحه ويذكره بحالته ومطلعها :

تبدن فأين الغصن من ذلك الغصن وبدرالدجى من ذلك البدرفى الحسن

وهذه القصيدة هى التى ذكرت المكتفى به وبمن معه فى الحبس فأطلق سراحهم جميعا .

على أن هذا كله لم يمنع الشاعر من أن يظهر بمظهر الوفاء والطاعة للخليفة ، فوقف فى كثير من المناسبات يشيد بالمكتفى ودولته وبطولته وانتصاراته على خصوم الدولة والثائرين عليها .

يقول فى المكتفى من أبيات كثيرة :

للمكتفى دولة مباركة عاش بها الناس بعد ما ماتوا

ويقول فيه قصيدته :

يا حادى الأظعان أين تريد إنى بمن تحدو به لكميد

أشاد فيها به وبانتصاراته على أعداء الخلافة .

كما أشاد بانتصاراته على الخارجى الذى حارب جيوش الخلافة بالشام فقتله

---

(١) راجع ٩٨ و ١٠٠ / ١٠ تاريخ بغداد . ولابن المعتز :

تعلمت فى السجن نسج التكك وكنت امرأ قبل حبسى ملك
وقيدت بعد ركوب الجياد وما ذاك إلا مدور الفلك

(٣٠ الاضداد للجاحظ)

(٢) تجدها فى ديوانه المخطوط

المكتفى عام ٢٩١ ﻫ وما تجده فى ديوانه المخطوط ؛ وانتصر المكتفى عام ٢٩٤ ﻫ على القرامطة انتصارا ساحقا وقتل رئيسهم زكرويه فقال ابن المعتز فى ذلك قصيدته الساحرة :

لا ورمان الخدود فوق أغصان القدود (١)

إلى غير ذلك مما نظمه ابن المعتز فى المكتفى وعصره وحياة الدولة فيه وإن كان قليلا بالنسبة لما له فى الخليفة المعتضد بالله .

ابن المعتز وبنو وهب :

١ — وبنو وهب أسرة اشتهرت بالكتاب وبلاغة اللسان ، نبغ منها : سعيد وكان يكتب لآل برمك ؛ وابنه وهب وكتب لجعفر البرمكى ثم للحسن بن سهل ؛ وحفيداه : الحسن بن وهب م ٢٦٥ ﻫ وسليمان بن وهب م ٢٧٢ ﻫ الذى وزر للمهتدى والمعتمد وهو والد عبيد الله بن سليمان .

٢ — ولى عبيد الله بن سليمان بن وهب الوزارة عام ٢٧٨ ﻫ ، وظل وزيرا للمعتضد حتى مات عام ٢٨٨ ﻫ وكان كاتبا حاذقا وسياسيا حفيصا .

وكان ابن المعتز وثيق الصلة به ، قوى الأمل فيه ، كثير الاطمئنان إليه ، ودافع عبيد الله عنه كثيرا ، فأشاد به ابن المعتز فى كثير من شعره ، وشكر أياديه عليه ، مما تجد آثاره ومظاهره فى ديوان الشاعر المخطوط والمطبوع ، وفيه يقول ابن المعتز قصيدته (٢) :

ألا حى ربعا بالمطيرة أعجما فلو كلمت أرض إذا لتكلما

ومنها :

---

(١) نوه بها الحصرى فى زهر الآداب (٣/ ٢٦٦) تنويها جميلا ؛ ويذكر ديوان ابن المعتز المخطوط أن هذه القصيدة قد مدح بها المكتفى لما أخذ الخارجى بالشام

(٢) راجعها فى ٣١ ، الاوراق

أبا القاسم اسلم للزمان وأهله ... لخير لهم ما دمت فيهم محكماً
أبيت إذا نام الخليون ساهرا ... فأرعى نجوما لا يغورن حوما
وبدلت دارا غير داري فأصبحت ... عداتي يخفون الحديث المرجما

والظاهر أنها نظمت فى وشايات كانت تحمل إلى عبيد الله ضد ابن المعتز بعد إقامته ببغداد . ويقول فيه ابن المعتز أيضا قصيدته :

أيا موصل النعمى على كل حالة ... إلى قريب كنت أو نازح الدار

ويقول أيضا :

كم صنيع شكرته لبنى وه ... ب بدالى وما اهتديت إليه
وعدو يريد قتلى ولكن ... يد صنع منهم ترد يديه

وهذا يدل على مدى ماكان يتعرض له ابن المعتز فى حياته من خصومات ومدى دفاع آل وهب عنه كما يقول . ولابن المعتز سوى ذلك مدائح كثيره [1] ومراث متعددة فى عبيد الله الوزير مما تجد أكثره فى ديوانه المخطوط ، ومما تلمح عليه أثر العاطفة والشعور ، وله رسائل أدبية كثيرة كتبها إليه [2] .

وبعد فقد كان لعبيد الله بن سليمان بن وهب أثر كبير فى حياة ابن المعتز . مما استحق عليه شكر الشاعر ووفاءه له هذا الوفاء البعيد .

٣ — ولما مات عبيد الله عام ٢٨٨ ه ، عزم المعتضد كما يقول الفخرى على أن يستاصل شافة أولاده لحضر القاسم واستعان ببدر المعتضدى وتكفل بألفى

---

(١) وقول ابن المعتز

يا جوهر الاخوان وحلية الزمان
عش لى طول عمرى فيك فقد كفانى

الخ يجعلها ديوان ابن المعتز المخطوط له فى عبيدالله بن سليمان ، ويجعلها الاوراق له فى عبيد الله بن عبدالله بن طاهر

(٢) ٤٨ و٥٥ رسائل ابن المعتز

ألف دينار فاستوزره المعتضد، وكان القاسم من دهاة العالم ومن أفاضل الوزراء وكان عظيم الهيبة شديد الأقدام سفاكا للدماء [(١)] .

وتوفى عام ٢٩١ هـ، عن نيف وثلاثين عاما كما يقول المسعودى ، وكان شاعرا [(٢)] .

ولابن المعتز فى القاسم — قبل أن يلى الوزارة وبعدها — مدائح كثيرة ، منها قصيدته :

ياثالث الوزراء كم من حلقة للكرب والأحزان قد فرجتها

وقصيدته :

عاد السرور إليك بالأعياد وسعدت من دنياك بالأسعاد

وسوى ذلك مما يطول بى البحث لو استقصيته كله فى هذا المقام، ولابن المعتز رسائل أدبية كتبها الى القاسم يناشده فيها أن يترفع عن ظلمه ويقبل اعتذاره [(٣)] .

وبعد فان آثار ابن المعتز الأدبية فى القاسم فى الشعر والنثر لا تدل على صداقة أو إخاء ، إنما هى مجاملة للقاسم الطاغية المستبد الذى كان يتصرف فى أمور الدولة وأرواح الناس كما يشاء ، بل إن رسائله الأدبية التى بعث بها الى القاسم لتدل على أن العلاقات كانت متوترة بين الرجلين وأن ابن المعتز كانت لا تهدأ له من أجل ذلك حال أو تطيب له حياة .

* * *

وبعد فهذه صورة لحياة ابن المعتز فى عهد الرجولة أحفل عهد — فى حياة الشاعر — بالآلام والمآسى ، فلنتركه ولنصور هذه الأحداث الجسام التى وقعت بعد ذلك بقليل .

---

(١) ٤ / ٢١٢ المسعودى
(٢) ٣٣٧ معجم الشعراء
(٣) ٥٣ — ٥٥ رسائل ابن المعتز

الفصل الخامس

الفصل الاخير من قصة حياة الشاعر

خلافته وقتله

- ١ -

فى سبيل الخلافة :

وفى عام ٢٩٥ هـ ، مرض المكتفى واشتد به المرض فى شعبان هذا العام ، وكان وزيره العباس بن الحسن يكره أن تصير الخلافة الى ابن المعتز فاجتهد فى تحويلها الى محمد بن المعتمد ، وبعد قليل أفاق المكتفى فأشار عليه صافى الحرمى بان يحبس ابن المعتز وابن المعتمد فى داره ، فلم يوافق المكتفى .

ولما زاد مرض المكتفى فكر العباس الوزير فيمن يتولى الخلافة بعده من جديد فاستشار رؤساء الدواوين الأربعة الذين يساعدونه : محمد بن داود ابن الجراح وأبا الحسن على بن محمد بن الفرات وأبا الحسن على بن عيسى بن داود ابن الجراح وأبا الحسن محمد بن عبدون فأشار محمد بن داود بابن المعتز وأشار ابن الفرات بجعفر بن المعتضد لأنه صبى يحتاج الى وزرائه وليبقى نفوذ الوزراء (١) ثم اشتد المرض بالمكتفى فى أول ذي القعدة فعهد بالخلافة بعده لأخيه جعفر ابن المعتضد (٢) . وهكذا اجتمعت رغبة الوزراء على ترشيح جعفر للخلافة رغم أنه ما يزال طفلا صغيرا (٣) .

---

(١) ١٤ ذيل لطبرى (٢) ١٢ المرجع بنفسه

(٣) ولد جعفر عام ٢٨٢ هـ وولى الخلافة وهو فى الثالثة عشره من عمرة (٢٢٢ / ٤ المسعودى ، ورقه ١١٧ الاوراق قسم أخبار المقتدره مخطوط)

ومات المكتفى فى يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى القعدة عام ٢٩٥ فأصبح جعفر خليفة المسلمين بعده وبويع له بالخلافة فى اليوم نفسه، ولقب المقتدر بالله. ونهض بالأمور وتحبب الى الخاصة والعامة [١].

ولكن بعد قليل سرت موجة من السخط والثورة بين القواد والقضاة والكتاب والجمهور، وزاد من لهب هذه الثورة استبداد وزيره العباس بن الحسن بأمور الخلافة « لا معارض له فى رأى ولا مشارك له فى تدبير ولا يهاب الخليفة ولا يفزع منه [٢] »، وكثر الطعن عليه والانكار لفعله والهجاء له وقال فيه بعض شعراء بغداد:

يا أبا أحمد لا تحسن بأيامك ظنا
كم رأينا من وزير صار فى الأجداث رهنا
فتجنب مركب الكبر وقل للناس حسنا [٣]

ابن المعتز على عرش الخلافة:

وأشرقت شمس سنة ٢٩٦؛ فاجتمع جماعة من القواد والكتاب على خلع المقتدر وأجمع رأيهم على ابن المعتز فناظروه فى تقلد الخلافة فأجابهم إلى ذلك على أن لا يكون سفك دم ولا حرب فأخبروه أن الأمر سيسير فى طريق السلام وأن جميع من وراءهم قد رضوا به فبايعهم على ذلك سرا، وكان زعماء هذه الحركة محمد بن داود ابن الجراح وأبو المثنى أحمد بن يعقوب القاضى ومن القواد الحسين بن حمدان وبدر الأعجمى ووصيف: وأخذت هذه المؤامرة السياسية تسير بخطوات واسعة نحو التنفيذ. وصمم الحسين بن حمدان وكثير من القواد على قتل العباس بن الحسن الوزير وخليفته المقتدر وبدأوا بالعباس ثقة منهم بأن قتله سيحطم عرش المقتدر

(١) ١٣ ذيل الطبرى (٢) ورقة ١٨ الاوراق قسم أخبار المقتدر
(٣) ١٤ وما بعدها ذيل الطبرى

ويهدم صرح خلافته فلا يجد بداً من التسليم . وفى يوم السبت ٢٠ ربيع الأول عام ٢٩٦ﻫ ركب بن حمدان والوزير والأمراء فسل الحسين بن حمدان سيفه وضرب به العباس بن الحسن الوزير وهو سائر فى طريقه إلى بستان له فقتله وقتل معه فاتكا .

ولما قتل العباس وصليت الظهر يوم السبت المذكور وجه محمد بن داود إلى ابن المعتز فأخرجه من داره التى فى آخر « الصراة » إلى دار ابراهيم بن أحمد الماذرائى التى على دجلة والصراة ، ووجه الى القواد وأخذ البيعة عليهم له فأجابه الى ذلك كثير من قواد الدولة وعظمائها وصاروا بابن المعتز الى دار المكتفى على دجلة وأخذ محمد بن يوسف القاضى وأبو المثنى أحمد بن يعقوب يشهدون على خلع المقتدر نفسه [١] ، وبايع الناس ابن المعتز وسلموا عليه بالخلافة ولقبوه المنتصف بالله [٢] ، أو الراضى [٣] أو المرتضى بالله [٤] ، أو الغالب بالله [٥] ، واستوزر محمد بن داود بن الجراح واستخلفه على الجيش واتخذ ابن المعتز يمنا الخادم حاجبا له ، وقلد على بن عيسى الدواوين . وكان ذلك فى يوم السبت ٢٠ ربيع الأول ٢٩٦ ﻫ [٦] = ١٧ ديسمبر ٩٠٨ م = ٢١ كيهك ٦٢٥ ق

وجعل الناس يبايعون ابن المعتز بالخلافة ، سوى ابن الفرات وخواص المقتدر كسوسن الحاجب الذى كاتب ابن المعتز ليسلم اليه المقتدر على أن يكون حاجبه ثم رأى يمنا فى منصب الحجابة لابن المعتز فانقلب مؤيدا للمقتدر ومن أول الذائدين عن عرشه [٧] .

---

(١) ورقة ٢٣ الاوراق قسم أخبار المقتدر ، و ١٥ ذيل الطبرى

(٢) ورقة ٢٤ الاوراق ، ١٥ ذيل الطبرى (٣) ٤٠٤ / ١١ الطبرى

(٤) ٨٣ / ١ الدميرى ، ٥ وما بعدها /٨ ابن الاثير

(٥) ٢٢١ /٢ شذرات الذهب ، ومراجع ص ٢٤١ /١ فراح الوفيات ، ٤٦١ /١ وفيات

(٦) وهذا ما تجمع عليه كثير من المصادر (٥ و ٦ /٨ ابن الاثير ، ورقة ١٧ الاوراق قسم أخبار المقتدر ، ٤٦١ /١ وفيات ظ ١٣١٠ ﻫ ، ٢٢٢ /٢ شذرات ، ٢٧٩ و ٢٨٠ المجلد الاول من دائرة المعارف الاسلامية ، وسواها)

(٧) ورقة ٢٤ من الاوراق قسم المقتدر

وحضرت صلاة مغرب يوم السبت المذكور فضربت دار المقتدر من القصر الحسنى ومن الدار التى كان فيها ابن المعتز ، واستمرت الحال كذلك الى صلاة العشاء ، وشغل محمد بن داود عن احكام التدبير بانفاذ الكتب الى البلاد بخلع المقتدر وخلافة المنتصف بالله أبى العباس عبد الله بن المعتز ؛ ووجه محمدبن داود الى صاحب الكسوة ليبعث بخلع يلبسها أمير المؤمنين وبالبرد ، فرد الرسول بأن المقتدر قد لبسها .

وصلى ابن المعتز بالناس الصبح يوم الأحد ، ثم التفت الى القضاة والعدول وقال : قد آن للحق أن يتضح وللباطل أن يفتضح ، وقام محمد بن خلف المعروف بوكيع بين يديه وقال : أمير المؤمنين كما قال أبو العتاهية لجده :

أتته الخلافة منقادة ... إليه تجرر أذيالها
فلم تك تصلح إلا له ... ولم يك يصلح إلا لها

فرد عليه ردا جميلا وقال ؛ لنسأل الله عونا وتوفيقا [١] .

وذهب الحسين بن حمدان وابن عمرويه صاحب الشرطة صباح الأحد إلى دار الخلافة التى فيها المقتدر فخرج اليهما الغلمان [٢] ووقعت حرب شديد بين الفريقين استمرت الى منتصف النهار .

وركب ابن المعتز ومعه محمد بن داود وابن عمرويه وكثير من الجند قاصدا قصر « الحسنى » ، ولكن غلمان المقتدر كانوا قد فكوا الحصار المضروب على دار الخلافة وانصرف عنهم ابن حمدون ، ثم حالوا بين ابن المعتز وبين الوصول الى « الحسنى » ، ووجه المقتدر بغلمانه ومعهم خاله غريب فى الزوارق فلما قاربوا الدار التى فيها ابن المعتز بالحرم ضجوا ورشقوا الدار بالنشاب ففزع أنصار ابن المعتز واضطربوا وضعفت عزيمتهم وهالهم كثرة المهاجمين ، فأخذوا يتفرقون ويفرون .

---

(١) ورقة ٢٥ الاوراق قسم المقتدر
(٢) كان عند المقتدر من الخدم أحد عشر ألفا من الروم والسودان

رأى ابن المعتز هذه الحال وشاهد آثار الهزيمة فركب فرسا ومعه وزيره وحاجبه يمن وهو شاهر سيفه ينادى : يا معشر العامة أدعوا لخليفتكم السنى (١) ؛ وأرادوا السير إلى سامرا لتثبيت عرش ابن المعتز وخلافته فيها ، فساروا نحو الصحراء ولكن لم يتبعهم أحد ، ففكروا فى الهرب والاختفاء ، وانتهى أمر ابن المعتز بهذه الهزيمة الساحقة .

كان السبب فى ذلك كله المؤامرة التى قام بها الحسين بن حمدان فى آخر جولة فى المعركة . حيث انسحب من الميدان وفك الحصار عن دار المقتدر فلما جنه الليل سار عن بغداد بأهله وماله إلى الموصل وكان هذا مواطأة بينه وبين المقتدر (٢) ، وأتاح بها فرصة العمل وحرية الدفاع والهجوم لجيش المقتدر ، على أن من الأسباب الجوهرية فى ذلك عدم رضاء الأتراك عن الثورة التى قام بها أنصار ابن المعتز وتصميمهم على القضاء عليها فضلا عن أنصار ابن المعتز وأعوانه لم يحكموا التدبير ولم يتبعوا خطة ناجحة مما ساعد خصومهم مساعدة كبيرة ، فوق ما كان يذيعه هؤلاء عن ابن المعتز من أنباء وروايات تغضب الرأى العام وتجعله ينفر من ابن المعتز ولا يرضى بخلافته ، وكانت هذه الأسباب وسواها من العوامل فى تلك الهزيمة الساحقة التى منى بها ابن المعتز بعد أن سار به القدر نحو آماله المنشودة العظيمة .

اختفى محمد بن داود وسواه من زعماء هذه الثورة ، ونزل ابن المعتز عن دابته ومعه غلامه وانحدر إلى دار ابن الجصاص (٢) .

قلد المقتدر من بدء الهزيمة مؤنسا الخازن الشرطة ، وأحضر ابن الفرات فاتخذه وزيرا وخلع عليه يوم الاثنين الثانى والعشرين من ربيع الاول ، وأخذ مؤنس يجد فى القبض على زعماء الثورة ؛ ونودى فى بغداد على محمد بن داود

---

(١) ١٣١٠/ معاهد التنصيص

(٢) هو أبو عبدالله الحسين بن الجصاص الجوهرى ، سعى فى زواج المعتضد بقطر الندى عام ٢٨٢ هـ وكب من وراء ذلك مالا كثيرا وحبس فى فتنة ابن المعتز وأخذ منه المقتدر ألفي الف دينار وأطلق سراحه ثم مات عام ٣١٥ هـ

وجعل لمن يرشد اليه عشرة آلاف دينار ، كما نودى على يمن ، وعزل يوسف ابن يعقوب وابنه محمد عن القضاء ، ووجه بعض القواد والجند فى طلب الحسين ابن حمدان فطلب الحسين الأمان فأعطى له ودخل بعد أشهر بغداد فخلع عليه وعقد له على ولاية « قم » ، وقبض على كثير من زعماء الثورة وسلموا إلى مؤنس يوم الاثنين ٢٩ ربيع الاول فترك القاضى أبا المثنى فى دار السلطان وأخذ الآخرين الى منزله فافتدى بعضهم نفسه وشفع فى البعض فأطلق وقتل الآخرون (١) ، كما قبض على محمد بن داود وحبس هو وأبو المثنى وابن الجصاص فى ثلاثة حجر مثلا صقة من دار واحدة ، وفى ليلة فتح على محمد بن داود فأخرج وذبحوه واخذوا رأسه وجردوا جثته وطرحت فى بئر الدار وبعد ساعة فتح على أبى المثنى فقتل كذلك أيضا (٢) ، وأبو المثنى أول قاض قتل فى الاسلام ، وكان ممن قتل فى فتنة ابن المعتز محمد بن عبدون ووصيف ويمن (٣) ، ونفى على بن عيسى بن داود بن الجراح الى واسط وصودر القاضى ابو عمرو على مائة الف دينار (٤)

وبذلك انتهت هذة الثورة السياسية بالفشل والهزيمة وكان القضاء عليها يوم الأحد ٢١ ربيع الأول ٢٩٦ ﻫ = ١٨ ديسمبر ٩٠٨م م ، ولم يتم الأمر لابن المعتز غير يوم وليلة ولذلك لم يعده المؤرخون من الخلفاء (٢) ،

القبض على ابن المعتز وقتله

علم بعض غلمان ابن الجصاص بأمر ابن المعتز فسعى به الى صافى الحرمى ، وقيل ان سيده أمره بذلك فقبض على ابن المعتز ولاقى الذى لاقاه والده من قبل

ولا نعلم متى قبض على ابن المعتز على وجه اليقين ويمكننا ان نلخص الآراء فى ذلك فيما يلى :

---

(١) ٤٠٥ / ١١ الطبرى (٢) راجع ١٠٧ و ١٠٨ / ١ الفرج بعد الشدة
(٣) ورقة ٢٤ الاوراق قسم المقتدر
(٤) ٧ – ٨ ابن الاثير

١ — أنه قبض عليه يوم الاثنين لثمان بقين من ربيع الأول ٢٩٦ هـ

٢ — أنه قبض عليه فى اليوم الذى قتل فيــه — أى يوم ٢ ربيع الثانى ٢٩٦ هـ — (١)

٣ — أنه قبض عليـه قبل قتله بأيام قلائل (٢)، والراجح الذى نؤيده أنه قبض عليه يوم الأحد ٢٨ ربيع الأول عام ٢٩٦ هـ

أخذ ابن المعتز من دار ابن الجصاص ووضع فى زورق إلى باب الخاصة بدار الخليفة فلما بلغه أخرج حافيا وعليه غلالة قصب فوقها مبطنة إلى الصفرة قليلا، فلاقاه سوسن عند باب الخـاصة ولطمه فانكب على وجهه فقال جماعة : ما معنى هذا ؟ الذى يراد به أعظم ولكنه عم الخليفة وابن عمه وابن أخيــه لا نحب أن يستخف به أحد والله لو كان المعتضد حيا وبلغه هذا لقطع يد سوسن، ثم أدخل إلى الحبس (٣)

عذب ابن المعتز فى حبسه ثم قتل بأن عصرت خصيتاه كما يقول ابن الاثير (٤) وقيل قتل خنقا وقيل أخذ ليلا فطرح على الثلج عريانا وحشى سراويله ثلجا فلم يزل كذلك والمقتدر يشرب حتى مات (٥)

أظهر المقتدر أن ابن المعتز مات حتف أنفه، ثم وجه به إلى دار التى با لصراة فغسل وكفن وصلى عليه أبو الحسين محمد ابن الحسن العلوى المعروف بابن البصرى، وكان جاره وصديقه وصلى عليـه خلق من جيرانه وأخواته ودفن فى

( ) ١٩٣ الادب العباسى للاسكندرى ،

(٢) راجع ١٦ ذيل الطبرى، ورقة ٢٨ الاوراق قسم المقتدر ، ٢٨٠ دائرة المعارف الاسلامية المجلد الاول

(٣) ورقة ٢٧ و ٢٨ الاوراق قسم المقتدر (٤) ٧ ج ٨ الكامل

(٥) ٨٣ / ١ الدميرى ، ويذكر بعض المصادر أنه سلم إلى مؤنس الخادم فقتله (٩٩ / ١٠ تاريخ بغداد ، ٢٤١ / ١ فوات الوفيات) ، ولما أقاموه فى الجهة التى قتل فيها أنشأ قائلا

فقل للشامتين بنا رويدا أمامكم المصائب والخطوب

الخ (١٠٠ / ١٠ تاريخ بغداد)

داره [١] ؛ أو فى خربة بازاء داره [٢] ؛ فلما صلح أمر أخيه حمزة بن المعتز وأقطع ما كان لأخيه نبشه وحوله من الدار [٣]

والصحيح أن قتله كان يوم الخميس ٢ ربيع الثانى عام ٢٩٦ هـ [٤] وذلك يوافق ٢٩ ديسمبر ٩٠٨ م

— ٤ —

مراثى الشعراء : ـــــ

وقد رثا ابن المعتز كثير من الشعراء :

١ ــ فقال ابن بسام الشاعر :

لله درك من ميت بمضيعة ... ناهيك ناهيك من علم ومن أدب
مافيه لو ولا ليت فتنفعه ... وإنما أدركته حرفة الأدب

٢ ــ ورثاه بعض الأدباء فقال :

لايبعد الله عبد الله من ملك ... سام الى المجد والعلياء مذ خلقا
قد كان زين بنى العباس كلهم ... بل كان زين بنى الدنيا حجا وتقى
أشعاره زيفت بالشعر أجمعه ... فكل شعر سواه بهرج ولق [٥]

٣ ــ ورثاه أبو بكر الحسن بن على بن بشار الشاعر المشهور م ٣١٨ هـ وكان ينادم المعتضد ، وكان بينه وبين ابن المعتز صحبة اكيدة بقصيدة دالية رائعة

---

(١) ورقة ٢٨ الاوراق (٢) ٢٤١ / ١ فوات

(٣) ورقة ٢٨ الاوراق قسم المقتدر

(٤) ٤٦١ / ١ وفيات ، ٢٨٠ دائرة المعارف الاسلامية المجلد الاول حيث جاء فيها أنه قتل فى ٢ ربيع الثانى ــ ٩ ديسمبر ، وهذا صحيح فى التاريخ العربى دون الافرنجى إذ صحته ٢٩ ديسمبر ولعل ذلك خطأ مطبعى لا غير

(٥) ٢٤٢ / ١ فوات

جعلها فى رثاه هر له إخفاء على المقتدر وخوفا منه ، وأولها :

يا هــر فار قتـــا ولم تعـــد ... وكــنت عندى بمنزل الولد
فـكيف ننفك عن هواك وقد ... كنت لنا عدة من العدد (١)

٤ — ورثاه يحيى بن على المنجم بمرثية يقول فيها عبيد الله بن عبد الله بن طاهر : مارأيت مرثية موشحة بالعيوب مطرزة بالهجاء مسداة بالتعنيف ، إلا هذه ، وهى بأن تسمى مثلبة أولى ، وهى :

أسيت لفقد الصديق الذى ... استحال عدوا فمن مسعدى ؟
تجنى الذنوب وخان العهود ... وأصبح فى صورة المعتدى
وعمى عليه الصواب الهوى ... فــأورده شرما مــورد
ولو كان ثم سداد لمــا ... أطاع الغواة فــلم يرشـــد
ومن لم يعر سمعه ناصحيه ... تردى وضـــل ولم يهتــدى
فأرداه ذلك حتى مضى ... صريعا وأصبــح فى ملحد
فان أبكه الآن لا أبــكه ... لحسن وفــاء ولا ســؤدد
ولـكن لشعر له رائق ... لسمـــع البصـــير وللمنشد
كثير البديع ولـــكنه ... يزيغ عن الـكلم الشرد
وفيه نوادر قول أخـــذن ... بطرف الشعر والمتــــلد (٢)

✡ ✡ ✡

وبعد فقد مات ابن المعتز ، وفجعت فيه دولة الأدب والقريض ، وترك وراءه دويا استمر صداه واضحا على مر القرون ، وخلد اسمه فى صفحات التاريخ والمجد

---

(١) راجع القصيدة كلها فى (١٤٠ و ١٤١ نكت الهميان ، ٣٣٦ و ٣٣٧ / ٢ الدميرى ، ٢٤٦ و ٢٤٧ / ١ وفيات) : وهى من أحسن الشعر وأبدعه كما يقول ابن خلكان : وتسمى القصيدة الهرية أيضا ولغيرها ولكن هذه أشهرها وقد استحسن الشعراء بعده هذا المذهب وعارضوه فيه (٩٠ ، /٣ الرافعى

(١) راجع الاوراق للصولى قسم أخبار المقتدر وتحامل ابن المنجم على ابن المعتز سببه معروف مما سبق

مع أدباء العربية الخالدين وشعرائها المعدودين رغم أنه لم يزد سنة عن ثمانية واربعين عاما وبضعة شهور ،

وبذلك انتهت حياة حافلة بالعظمة والكبرياء والمجد والخلود : فرحمه الله وجزاه عن الادب والشعر خير الجزاء

* * *

الفصل السادس

شخصية ابن المعتز

صفته وأخلاقه :

كان ابن المعتز شديد السمرة مسنون الوجه يخضب بالسواد [1] ، ووصف نفسه فى شبابه فقال :

وشباب كان يعجبنى ... وبه قد كنت لعابا
جاه حسن ما رددت به ... وشفيع قط ما خابا

ويقول : ملء العيون الغانيات الحور

وكان شريف الهيئة حسن الأخلاق حسن المذاكرة كثير الاستعمال للطيب لايفتر عن الشطرنج ولا يخرج أحد من عنده الا بصلة أو طيب وكان كثير الفرح والسرور [2]

وكان بيته مراحا ومغدى للعظماء والعلماء والأدباء والخاصة من الناس ؛ وكان فيه فكاهة وتنادر

وقد نشأ نبيل النفس دقيق الحس قوى الشعور بالجمال تلمح فيه وفى أدبه لطف الشعور ودقة الطبع وصفاء الخاطر وسلامة الذوق ، وكان ذوقه يجارى أذواق الملوك ولا بدع فهو من بيت الخلافة وسلالة المجد ، وله فى ذلك قصص كثير [3]

وكان يجيد ركوب الخيل ويخرج بها للصيد والنزهة واللهو والحرب ، والمعانى

---

(١) ٤٦٣ / وفيات ، ١ ، ٢ / ١ فوات ، ٢٢٤ / ٢ شذارت الذهب

(٢) ٢٣٧ تاريخ الشهابى الغرر الحسان

(٣) راجع ١١٦ الاوراق للصولى قسم أشعار أولاد الخلفاء ، والاغانى ٢ ١٤ / ٩ وما بعدها

التى تدور حول ذلك كثيرة جدا فى شعره كثرة أوصافه لها ، وقد ألف فى الصيد كتابا سماه الجوارح والصيد (١)

وكان ابن المعتز متمرنا على أعمال الفروسية وحياة البطولة ومعارك القتال ، ويذكر كثيرا فى شعره اشتراكه فى المعارك وانتصاره على الاعداء :

وجررت الجيش أسحبه ... لعدو كان من شانى

ولا غرو فى ذلك فقد كان مهيأ لولاية الخلافة « ولم يقم أحد من بنى العباس بالملك إلا وهو جامع لأسباب الفروسية » (٢)

وكان كريما جوادا ممدحا ؛ ويذكر كثيرا فى شعره وعلى الأخص فى فخره هذا اللون الاجتماعى والانسانى من ألوان حياته الخلقية ، كما يقول :

سلى فديتك هل عريت من منى ... خلقا وهل رحت فى أثواب منان

ويقول :

وسقيت بالجود الفقير وذالغنى ... والغيث يسقى مجدبا ومريعا

وكان محسدا فى حياته معرضا لخصومات كثير من الناس من اقاربه وغير أقاربه مما يصوره كثيرا فى شعره

وكان معتدا بنفسه وكرامته وكفاءته ولا غروفهو ابن خليفةومن سلالة الخلفاء وكما يقول عن نفسه :

عزمت فما اعطى الحوادث طاعة ... وليس يطيع الحادثات فتى مثلى
إذ انا لم اجز الزمان بفعله ... تقلب منى الدهر فى جانب سهل

وكان حنفى المذهب يدل على ذلك قوله فى الخمر المطبوخة :

وقتنى من نار الجحيم بنفسها ... وذلك من إحسانها ليس يجحد (٣)

(١) للسرخسى م ٢٨٦ هـ تلميذ الكندى كتاب بهذا الاسم أيضا (٣٦٦ فهرست)
(٢) ١٣ /٣ البيان والتبين
(٣) ٤٦٣/١ وفيات ، ٢٢٤/٢ شذرات ، ٢٤٢/١ فوات

ويقول من قصيدة له فى اول عهده بالشعر :

وإن أشأ فكر يد فى فرائضه ... أو مثل نعمان لما ضاقت الحيل(١)

وكان سنيا يدعو للعباسيين ويرد على الشيعة (٢) والمعتزلة ، كأبيه وجده وعصره الذى نشأ فيه والذى كان يحارب الاعتزال والتشيع ، ولما هرب وأراد السير إلى سامرا نادى حاجبه فى الناس : يامعشر العامة ادعوا لخليفتكم السنى (٣)

وكان ابن المعتز مطلعا على مبادىء المعتزلة من مخالطته لعلمائهم وقراءته لكتبهم وتأثر منهم ببعض آرائهم ، فتراه يقول :

رب أمـــر تتقيــه ... جر أمـــر ترتجيــه
فاترك الدهر وسلمه ... إلى عــدل يليــه

ولكن إيمانه بهذا لم يجعله معتزليا ينافى رأيه حتى لنراه يهجو اسمـاعيل بن بلبل الوزير ويذمه بالاعتزال فى أرجوزته فى المعتضد فيقول :

وذكر التعديل والأقامة ... وقدم النظام أو ثمامة

وكرهه للشيعة ونقمته عليهم واضح فى شعره ، ولقد جرد من شاعريته ولسانه سيفا يناضلهم به أشد نضال ، وكان يعتقد أنهم يعملون على محو الخلافة العباسية ، ويسخط على ما يقومون به من ثورات واضطراب لأن التشيع كان ستارا يعمل من ورائه ذوو الأغراض ليبلغوا هدفهم المنشود ؛ وسنعود إلى ذلك إن شاء الله عند الكلام على شعره

وبعد فهذه ألوان وسمات لشخصية ابن المعتز رسمناها فى ايجاز بالغ وإجمال شديد لتكون صورة صحيحة لهذا الشاعر العظيم وسلوكه فى الحياة

(١) ٢٦٧ /٢ زهر ، ١٣٣ /١ معجم الادباء ، وذيل رسائل ابن المعتز
(٢) ٢١٢ /١ ظهر ، ٢٤٢ /١ فوات
(٣) ٣٧٧ /٣ خضرى بك ، ١٤٨ /١ معاهد التنصيص

مجونه ولهوه :

-١-

أثر البيئة فى الشاعر :

عاش ابن المعتز فى بيت الملك ، وربى فى ظلال الترف والنعيم، وشاهده مالم يشاهده إنسان من ألوان الحياة فى قصور الخلفاء والأمراء والوزراء والعظماء فى سامرا وبغداد والتى كان تموج بألوان اللهو والترف ، من قيان وندامى ومغنين وآلات طرب ومجالس راح ، وجوار متعددة الألوان والأجناس ، وغلمان عليهم شارة الظرف والجمال ؛ ونساء كانوا مثلا فى الذوق والسحر ، ولاشك أن ابن المعتز ورث شيئا من اللهو من أمه الرومية ، وكان اللهو فى القرن الثالث سمة النبل ودليل الظرف والترف والذوق

وكان لهذه البيئة الخاصة والعامة أثر واضح فى جنوح الشاعر الشاب الى اللهو وحياته حياة المرح والسرور واللذة

وضاعف من آثار البيئة حبه لتذوق الحياة وأنسه بمباهجها ولذاتها واضطرام عواطف الشباب المتأججة فى صدره ؛ فشهر ابن المعتز بحب الصيد وبتذوق الغناء وتلحين الألحان وبشرب الراح ووصف مجالس الندامى وكل مايتصل بها ؛ كما تفوق فى الابداع فى وصف عواطف الحب ولذاته وخلاعاته وسوى ذلك مما يعده الناس لهوا ومجونا

-٢-

ابن المعتز ولذات الراح :

نعم شرب الشاعر الراح :

شربنـــا بالصغير وبالكبير ‏ ‏ ولم نحفل بأحــداث الدهور
وقـد ركضت بنا خيل الملاهى ‏ ‏ وقد طرنا بأجنحـة السرور

ولام من عذله فيها :

يامن يفنـدنى فى اللهو والطرب ‏ ‏ دع ماتراه فخذ رأيى فحسبك بى

لأن لـكل إنسان رأيه وسلوكه فى الحياة :

اذا كان يومى ليس يوم مدامة ‏ ‏ ولا يوم فتيان فما هو من عمرى
وان كان معمورا بعود وقينة ‏ ‏ فذلك مسروق لعمرى من الدهر

الى غير ذلك مما سنبسط الحديث فيه ان شاء الله فى دراستنا لخمريات ابن المعتز . وللشاعر فوق ذلك أرجوزة طويلة فى ذم الصبوح [١] ؛ وله باب خاص بالخمريات وهو من المجيـدين فى وصف الراح ومجالسها وندماها حتى عده النقـاد فى هذا الباب كأبى نواس ؛ وله فوق ذلك كتاب فى الراح ومجالسها وندماها وسقاتها وما قاله الشعراء فى شتى معانيهـا سماه فصول التماثيل فى تباشير السرور [٢] ؛ وفيه جدة ومتعة واحتذاه كشاجم فى « أدب النـديم » والنواجى م ٨٥٩ هـ فى حلبـة الـكميت ؛ ولابن المعتز فوق ذلك كتاب الشراب وهو يحتوى على شعر ونثر حول هذا الموضوع ويوجد بمكتبة باريس [٣] ، وهو كتـاب ما كان أحوجنا الى الاطلاع عليـه ونحن نكتب هـــذا البحث ، ولاشك ان ابن المعتز فيـه قد احتـــذى حذو اســـحاق فى كتابه الشراب [٤] وابن خردا ذبة فى كتابه الشراب أيضا [٥] والجـاحظ فى رســـالته فى مدح النبيذ التى أهداها

---

(١) راجعها فى : ١٠ — ١١٤ رسائل ابن المعتز ، ٣٠٦ ‏ ‏ ٣١٢ ديوان ابن المعتز ، ٢٥١ — ٢٥٨ الاوراق

(٢) هو كتاب طريف ممتع تحدث فيه ابن المعتز حديثا يجمع بين اللهو والجد والادب والنقد والتهذيب والتسلية والهزل والبحث وقصد بتأليفه غرضين : غرضا فنيا وهو جمع التشبيهات المتصلة بالخمر من الشعر والنثر وغرضا اجتماعيا وهو : السلوى بهذا الكتاب عن منادمة الناس الذين فسدت أخلاقهم وسقطت حالهم (راجع ص ٢ فصول)

(٣) ١٦٣ ج ٢ زيدان ‏ ‏ (٤) ٢٠١ فهرست

(٥) ٢١٣ فهرست

للحسن بن وهب [١] وابن قتيبة فى كتابه الاشربه [٢] »

ولكن صلته بالراح لم تكن إلا فى عهد الشباب كما يقول الشاعر للائميه فى الشراب

ولوما مشيبى إن كبرت فان لى　　شبابا أصم الاذن لايسمع العذلا

وكما يقول :

وجهلت ماجهل الفتى زمن الصبا　　والآن قد وعظ المشيب وفوها

ويقول :

سل المشيب سيوفه　　فسطا على اللذات سطوا

والشراب والعكوف عليه عادة نقلت الى المجتمع الاسلامى بتاثير الفرس فقد كانوا من قديم يعرفون بالأفراط فى حب النبيذ وكانت الديانة الزرالشتية تبيح شربه بل تجعله من شعائرها فلما قوى نفوذهم فى الدولة العباسية نشروا حياة الأكاسرة وماكان فيها من حضارات ولهو ونقلوا ما كان لهم من نبيذ وغناء وغزل بالمذكر وما الى ذلك [٣] فتفنن العباسيون فى انواعه ومجاله وفى المنادمة عليه [٤] ، وإن كان قد كثر الشراب عند العرب وتعددت انواعه وأخذوا عمن جاورهن من الامم انواعا منه والوانا من عاداته وكان بعض الامويين يشربون كيزيد بن معاوية ويزيد بن عبد الملك والوليد بن يزيد الذى كان اول من هام بوصفها ولكن العباسيين هم الذين أفرطوا فى ذلك إفراطا شديدا

وبعد فهل كان ابن المعتز فى شرب الراح الا واحدا من أبناء عصره .

---

(١) وهى مطبوعة مع رسائل الجاحظ

(٢) مخطوط بدار الكتب الملكية ضمن مجموعة مخطوطة (١٦٦ مجامع) ويليه قصيدة صفى الدين الحلى م ٧٥٠ هـ فى الرد على ابن المعتز فى مفاخرته للعلويين وأول معارضته :

ألا قل لشر عباد الاله　　وباغى قريش وكذابها

ويلى ذلك موشحة ابن المعتز ومنه نسخة أخرى خطية (٤٧٩ مجاميع) معها فصول التماثيل لابن المعتز ومراجع أخرى وقد نشره كرد على فى مجلة القبس

(٣) ١١١ و١١٢ /١ ضحى الاسلام　　(٤) ١١٩ /١ المرجع

وخلفاء دهره وشعراء قرنه الذين أطالوا فى الراح ولهوها ووصف نشوتها ولذاتها وأولى بنا أن لا نحمل لهو خلفاء بنى العباس الا على الوجه الذى يليق بكرامتهم ومجد الخلافة التى يجلسون على عرشها ، فهل نحكم على ابن المعتز بغير مانحكم به على هؤلاء الخلفاء

وقد رأيت فى الاغانى ما يثبت ما سبق أن ذكرناه وهو أن ابن المعتز كان يشرب وهو حدث وكان الذى يشربه هو النبيذ كما سبق أن رجحناه ، فقد روى عن ابن المعتز : « كانت جارية الضبط المغنى تنادمنى وأنا حدث ، ثم تركت النبيذ ، فتأخرت عنى فكتبت اليها :

رأيتك قد أظهرت زهدا وتوبة فقد سمجت من بعد توبتك الخمر [١]

ويقول ابن المعتز : لا فضيلة أعلمها من السكر إلا فقدان الهموم وذلك عندى لا يفى بفقدان العقل [٢] ، وهذا هو رأى ابن المعتز فى الراح بعد ما ترك حداثته وشبابه [٣] .

٢

ابن المعتز والغناء :

واشتهر ابن المعتز بصوغ الالحان ، « وكان حسن العلم بصناعة الموسيقى

---

(١) ٥ ، ١٤ / ٩ الاغانى

(٢) ١٦ فصول التماثيل

(٣) ويروى المعرى لابن المعتز (١٨١ رسالة الغفران) :

لا تطل بالكؤوس مطلى وحبسى ليس يومى يا صاحبى مثل أمسى

لا تسلنى وصال شيبى عنى مذ عرفت الخمسين أنكرت نفسى

ثم يقول : فهذا حثته كثرة سنيه على أن يستكثر من السلافة وما حفظ حق الخلافة والعجب طمعه فى أن بلى كأنه فى العبادة شحب وبلى .

والبيتان ليسا فى ديوانه ، وهو لم يبلغ الخمسين وإنما قاربها ، والبيت الثانى يناقض الاول ففى الاول لهو وفى الثانى روح الزهد والرشاد

والكلام على النغم وله فى ذلك وفى غيره من الآداب كتب مشهورة ومراسلات جرت بينه وبين عبيد الله وغيرهم تدل على فضله وغزارة علمه وأدبه (١) ، وكان « ممن صنع من أولاد الخلفاء فأجاد وأحسن وتقدم جميع أهل عصره فضلا وشرفا وأدبا وشعرا وظرفا وتصرفا فى سائر الآداب (٢) » ، ويعد صاحب الأغانى الحانه التى صنعها فى أبيات من شعره والتى ذكر منها تسعة الحان (٣) ، ومما استجاده صاحب الأغانى منها صنعته فى شعره :

زاحم كمى كمه فالتويا وافق قلبي قلبه فاستويا
وطالما ذاقا الهوى فاكتويا يا قرة العين ويا همى ويا (٤)

وكان ابن المعتز يغنيه المغنون والمغنيات ، ويأمرهم هو كثيراً فيغنون ، وكان له غلمان يسمع منهم الغناء ، ومن المغنيات اللاتى له معهن أخبار : هزار وزرياب وبنت الكراعة وخزامى وشريره (٥) ؛ ومن الغلمان : نشوان وأحمد ابن أبى العلاء وسواهما ، وله مع هؤلاء وأولئك كثير من الأخبار (٦) ؛ وكان له مجالس حظ يطلب اليها الفتيان ويستدعيهم (٧)

على أنه ليس فى الألحان وسماعها وتلحينها ولا فى الموسيقى والطرب بها شىء يعاب به شاعرنا ابن المعتز

(١) ١٤١ / ٩ الاغانى
(٢) ١٤٠ /٩ الاغانى
(٣) راجع ١٤٢ /٩ الاغانى
(٤) ١٤٢ /٩ الاغانى ، ويقول ابو الفرج : أراد هنا بقوله « ويا » ما يقوله الناس فى حكاية الشىء الذى يخاطبون به الانسان من جميل وقبيح فيقولون قلت له ياسيدى ويا مولاى ويا ويا ، وكذلك ضده ليستغنى بهذا النداء عن الشرح
(٥) كان كما يقول صاحب الاغانى يحبها ويهيم بها وكانت جارية له (١٤٢ /٩ الاغانى) ، وشبب بها كثيرا فى شعره ، وله فيها لما تزوجت بابن البقال المغنى :

لئن صرت للبقا ياشر زوجة فلا عجب قد يربض الكلب فى الشمس

(٦) راجع ١٤٢ — ١٤٥ /٩ الاغانى
(٧) ٣٠ / ٤ وهر

فقد كان الغناء فى عصر ابن المعتز من ضروريات الحياة ؛ وكان فى الصدر الأول من أقسام فن الأدب

وكان الكتاب والفضلاء والخواص فى الدولة العباسية يأخذون أنفسهم به حرصاً على تحصيل أساليب الشعر وفنونه » [١] ، واشتغل جماعة من الخلفاء من بنى العباس بصناعة الألحان والتلحين وأشهرهم الواثق والمنتصر والمعتز والمعتضد أما أنباء الخلفاء فأول من دونت لهم صنعة منهم ابراهيم بن المهدى ثم أبو عيسى[٢] ابن الرشيد وعبد الله بن موسى الهادى وعبد الله بن محمد الأمين [٣] وأبو عيسى ابن المتوكل وعبد الله بن المعتز وغيرهم [٤] .

فلابراهيم بن المهدى صنعة فى الغناء يتقدم بها كل أحد وكان اسحاق وابراهيم يأخذان عنه ويتحاكم المغنون اليه فى صناعته وله كتاب الغناء [٥] ، وكان الواثق م ٢٣٢ ه أعلم الناس بالغناء وكان يصنع الألحان العجيبة ويغنى بها [٦] ، وفى الأغانى كثير من صنعته [٧] وللخلفاء بعد المتوكل صنعة وألحان ذكرها أبو الفرج فى أغانيه . وكانت عناية الخلفاء وأهله شديدة واتخذوا من المغنين ندماءهم وأغدقوا عليهم العطاء بل ساروا اليهم فى منازلهم كالرشيد اذ زار ابراهيم الموصلى فى داره ليسمع الغناء [٨] ، وإذا كان الترف منذ العصر العباسى قد بلغ أقصى الغايات فلا بد

---

(١) ٥٥٤ مقدمة ابن خلدون

(٢) فى رسالة الغفران (ص ١٤٦) حديث عن مجونه ؛ وكان يستحسن شعره فى البيتين والثلاثة (١٤٧ رسالة الغفران) ، وله ترجمة فى الاوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء (٨٨ — ٩٤) ، وتوفى عام ٢٠٩ ه

(٣) راجع ترجمته فى ٩٧ — ١٠١ الاوراق

(٤) ٣٧ /٥ التمدن ؛ ٢٩٤ الادب العباسى للسباعى بيومى ، ٥٤٣ الادب العباسى لمحمود مصطفى

(٥) ١٦٨ فهرست

(٦) ١٣٥ /٢ المستطرف

(٧) ١٦٢ — ١٧٥ /٨ الاغانى

(٨) راجع ٥٤٣ الادب العباسى لمحمود مصطفى

أن يكون الغناء فيه قد بلغ مثل ذلك وأثر فى النهوض بالشعر أوضح تأثير فالغناء دعا الى رقة الشعر وأشاعه بين الناس [١]

وقد ألفت فى الغناء كتب كثيرة ، والخليل أول من ألف فيه وتبعه اسحاق الموصلى [٢] (١٥٠ - ٢٣٥ هـ). وكتاب النغم للخليل ، وكتاب أخبار المغنين لاسحاق مشهوران ، كما ألف فيه جحظة وابراهيم بن المهدى ، ولعبيد الله بن عبد الله بن طاهر م ٣٠٠ هـ كتاب الآداب الرفيعة فى الغناء والمنادمات ، ولابن المعتز كتاب الجامع فى الغناء وهو مفقود ، وقد استقصى هؤلاء المؤلفون الفن وقواعد النغم وأخبار المغنين ومجالسهم وأخبار الشعراء منهم ، ثم ألف أبو الفرج كتابه الأغانى فى الأصوات المائة التى اختيرت للرشيد ، وهذبت فى عهد الواثق ، ويشيد به ابن خلدون [٣] .

* * *

وبعد : فقد شارك ابن المعتز فى هذا الباب عصره وبيئته والمجتمع الذى يعيش فيه ، فكيف نؤاخذه بما رأى بعض الناس وهو الغناء وسماعه .

---

(١) ٣٩٢ العصر العباسى للسباعى بيومى

(٢) ١٨٧ رسائل الجاحظ ؛ ولاسحاق ترجمة طويلة فى الفهرست (٢٠١ — ٢٠٤)

(٣) ٥٥٤ و ٥٦٦ المقدمة

الفصل السابع

مؤلفات ابن المعتز وثقافته

— ١ —

ألف ابن المعتز كتبا كثيرة منها :

١ — كتاب الزهر والرياض
٢ — « البديع
٣ — « مكاتبات الأخوان بالشعر
٤ — « الجوارح والصيد
٥ — « السرقات
٦ — « أشعار الملوك
٧ — « الآداب
٨ — « حلى الأخبار
٩ — « طبقات الشعراء
١٠ — « الجامع فى الغناء
١١ — « أرجوزته فى ذم الصبوح (١)

وهذه الكتب أكثرها مفقود ونشير الى الموجود منها :

١ — كتاب البديع طبع بأوروبا عام ١٩٣٥ وطبعناه بشرح واسع عام ١٩٤٥ ؛ وقد ألفه ابن المعتز عام ٢٧٤ ه

---

(١) ١٦٩ فهرست ، شذرات ، ٢٦٢ ٤ /١ وفيات ، ١٩٤ العصر العباسى للاسكندري ، ١٦٣ / ٢ زيدان ، ٤ مقدمة ديوانه طبع بيروت

٢ — طبقات الشعراء [١] نشره عباس إقبال بارربا عام ١٩٤٢ . وكنت عازماً على نشره من جديد لولا أنى علمت أن بعض الأدباء يقوم بهذا العبء الآن

٣ — أرجوزته فى ذم الصبوح [٢] .

٤ — وكتابه أشعار الملوك يوجد فى مكتبة المستشرق اهلورات [٣] .

٥ — وكتاب الآداب منه نسخة خطية فى المتحف البريطانى [٣] .

هذا ولابن المعتز كتب أخرى نشير اليها .

١ — ديوان شعره ، طبع بمصر عام ١٨٩١ فى جزءين ثم طبع ببيروت عام ١٣٣٢ ﻫ مرة أخرى بشرح لغوى موجز فى جزء واحد ، والديوان المطبوع لا يحتوى على كل شعره ، وبدار الكتب الملكية نسختان مخطوطتان كاملتان من ديوانه ، وأدعو الله أن يوفقنا لنشره وشرحه فى الغد القريب .

٢ — رسائل ابن المعتز لم يجمعها أحد من قبل ، وقد قمت بجمعها من شتى المصادر ونشرتها فى هذا العام .

وتشمل ما يأتى :

ا — آثاره فى النقـــد الأدبى ومنها رسالته فى محاسن ومساوىء شعر ابى تمـام [٤] .

---

(١) ورد ذكره فى كشف الظنون (٨ ج ٢ ، وفى دائرة المعارف الاسلامية « طبقات الشعراء المحدثين » ولم يبق منه غير جزء واحد (٢٨٠ المجلد الاول) ، ومنه نسخة خطية بالاسكوريال رقم ٢٧٩ بعنوان المختار من طبقات الشعراء لابن المعتز (راجع معجم المخطوطات العربية) ، واسمه فى آداب اللغة لزيدان (١٦٣ / ٢) مختصر طبقات الشعراء ، واسمه فى النسخة التى نشرت بأوربا « طبقات الشعراء فى مدح الخلفاء والوزراء »

(٢) راجعها فى : ٣٠٦ — ٣١٢ ديوانه ، ٢٥١ — ٢٥٨ الاوراق ، ١٠٧ — ١١٤ رسائل ابن المعتز

(٣) ١٦٣ / ٢ زيدان ، وللعتابى كتاب بهذا الاسم (٤٣٩ الفهرست) وكذلك لابن الحرون (٢١٢ فهرست)

(٤) راجعها فى ٣٠٧ — ٣١٩ الموشح ، ويشير اليها ابن رشيق إشارة عابرة (٢٥٥ / ١ العمدة)

ب — رسائله الأدبية ونثره الفنى .

جـ — حكم وآداب ومنها جزء كبير من كتابه الفصول القصول [١] ؛

د — ارجوزته فى ذم الصوح وشرح لأرجوزته فى الخليفة المعتضد ٢٨٩هـ [٢]

هـ — ثم الفهارس وبعدها جزء كبير من شعره الذى لم ينشر من قبل فى ديوانه المطبوع .

وقد عنيت بذكر المراجع التى نقلت منها ، وباخراجه فى أجمل ثوب وأدق ترتيب بفضل الله وتوفيقه .

٣ — فصول التماثيل فى تباشير السرور ، ومنه نسختان مخطوطتان بدار الكتب (١٦٦ و ٤٧٩ مجاميع) ، والنسخة الأولى بخط عبد الحليم بن أحمد وكتبت عام ١٢٠٥ هـ ، والنسخة الثانية حديثة بخط محمود صالح ، ومن الكتاب نسخة خطية بمكتبة برلين [٣] ، وقد طبع الكتاب عام ١٩٢٥ بالقاهرة : وينقل عنه صاحب سدرة الأدب فى متشابهات العرب كثيراً دون إشارة إليه إلا قليلا .

٤ — ولابن المعتز كتاب من جمعه وتأليفه فى أخبار عريب المغنية [٤] ، وينقل عنه أبو الفرج كثيرا فى ترجمته لعريب [٥] .

(١) إشار إليه ابن المعتز فى كتابه البديع (ص ٩٠) وأشار إليه الشهاب الخفاجى ونسج على منواله فى كتابه « الفصول القصار فى نتائج الاعمار (٨١ ريحانة الالبا) ، وذكر الشهاب كتابه فى الريحانه (٢٨١ و ٢٨٥ الريحانه) ؛ وينقل الحصرى فى زهر الآداب والصولى فى الاوراق كثيرا من الفصول القصار لابن المعتز ، كما تنقل عنه كثيرا من المراجع الاخرى

(٢) تقع فى ٤١٨ بيتا وهى فى ديوانه ونشرت وحدها عام ١٩١٣ وقد ترجمها إلى الالمانيه وشرحها لانغ الالمانى عام ١٨٨٦ م ، وهى صورة مصغرة لشعر الملاحم كالالياذة والشاهنامة وسواهما

(٣) ١٦٣ / ٢ زيدان (٤) ١٧٠ / ١٠ الاغانى ،

(٥) ١٧٥ — ١٩٤ / ١٨ الاغانى . وكانت عريب من أحسن النساء وجها وأفصحهن لسانا وكانت شاعرة مغلقة (٢٠٠ طبقات الشعراء لابن المعتز) وكان المأمون يعشقها

٥ — كتاب الشراب شعر ونثر وهو فى مكتبة (١) باريس .

٦ — وترجم جزءا من شعره وحياته الى الألمانية لانغ الألمانى وطبعه فى المجلة الألمانية الشرقية عام ١٨٨٦ م (١) ، ونشر لانغ أرجوزته فى تاريخ المعتضد وشرحها وترجمها الى الألمانية (٢) ، ولعل الجزء الذى نشره من شعره كما يقول زيدان هو ترجمته لأرجوزته فى المعتضد التى تذكرها دائرة المعارف ؛ وقد فعل مثل ذلك لوث ، وطبعه فى ليبسك عام ١٨٨٢ م . ولابن المعتز قصائد متفرقة فى مكاتب برلين وغوطه .

وبعد فمؤلفات ابن المعتز ثروة أدبية رائعة تنم من أدب واسع وثقافة كبيرة واحاطة تامة وانصراف الى العلم والأدب والشعر جد كبير .

— ٣ —

حول فصول التماثيل :

ورد فى الفهرست أن حمزة بن الحسن الاصفهانى كتبا منها : كتاب التشبيهات وكتاب التماثيل فى تباشير السرور (٣) ، وكتاب ابن المعتز اسمه فصول التماثيل فى تباشير السرور ، ولم يرد ذكره فى الكتب التى أشارت إلى مؤلفات ابن المعتز .

وأسلوب الكتاب أسلوب قد يحمل القارىء على الشك فيما إذا كان عصر ابن المعتز يألف مثله ، ففيه ألوان من السجع المنمق تطالعك فى مقدمة الكتاب وشىء فصوله من .

(١) ١٦٣ /٢ زيدان

(٢) ٢٨٠ المجلد الاول من دائرة المعارف الاسلامية

(٣) ١٩١ فهرست ، وابو الحسين حمزة الاصفهانى هو الذى جمع شعر أبى نواس ونقده (٦٥ /٢ زيدان) وهو من أهل العصر العباسى الثانى (١٧٧ /٢ زيدان) ، وله كتاب سنى ملوك الارض والانبياء طبعه غوتوالدمع ترجمة لاتينية فى ليبسك ١٨٤٤ — ٨ : ٨ م

ولكننا مع ذلك نؤمن بأن الكتاب المطبوع صحيح النسبة لابن المعتز؛ والادلة على ذلك كثيرة :

١ — ليس فى وجود كتاب بهذا الاسم أو قريب منه لحمزة الاصفهانى ما ينفى وجود كتاب آخر بالاسم نفسه لابن المعتز .

فقد رأينا أن لكثير من المؤلفين كتبا باسم « الشراب » و « الآداب » و « الصيد والجوارح » ولكثير من العلماء كتب باسم « معانى القرآن » و « معانى الشعر » وغير ذلك .

٢ — وليس فى عدم ذكر الكتاب فى المصادر التى أشارت الى كتب ابن المعتز ما ينفى نسبته عنه ، فالفصول القصار مثلا من مؤلفاته قطعا ولم يرد ذكره فى هذه المصادر ، وكذلك كتابه فى عريب ورسالته فى أبى تمام ، على أن المصادر التى عنيت بذكر مؤلفات ابن المعتز تصرح بأن له كتبا كثيره وأن ما ذكرته هو بعض كتبه ، ونص عبارة ابن النديم التى نقلها كل الباحثين بعده هو « وألف ابن المعتز كتبا كثيرة منها »(١) .

٣ — وليس فى السجع الموجود فى مقدمة الكتاب وفصوله ما ينفى نسبته لابن المعتز ، فان أسلوب ابن المعتز كان يزدان كثيرا بالسجع ، وروح السجع فى فصول التماثيل هى نفس الروح التى نجدها فى كتابه « طبقات الشعراء » الذى لا يشك أحد فى نسبته إليه ، وقد تكون مقدمتا الكتابين من أسلوب بعض الرواة أو النساخ الذين عنوا بالكتابين ، فقد كانوا يبدأون نسخ الكتب أو روايتها بمقدمة فى حمد الله يكتبونها ثم تمر الايام فتدمج هذه المقدمة فى الكتاب المروى وتنسب على أنها من أسلوب المؤلف نفسه ؛ على أن السجع لم يكن بدعة فى القرن الثالث فقد كان بعض الكتاب يسجعون ولكنه كان سجع الفطرة والجمال والطبع وقوة الملكة فى البيان والذى يرمى إلى الحقائق القريبة لا إلى تصوير

(١) ١٦٩ فهرست

النزعات الفكرية والعقلية وكان قصير الفقرات يتخلله ألفاظ يترك فيها السجع إلى الازدواج وفى وصية أبى تمام للبحترى [١] شاهد على ظهور السجع واضحا فى القرن الثالث سواء قلنا إنها نفس أسلوب أبى تمام أو انها بأسلوب البحترى تصويرا لفكرة أبى تمام؛ واذا ذهبنا الى أن الكتاب لحمزة الاصفهانى فالمسألة كما هى من ناحية ظهور السجع فى أسلوب الكتاب لأن الحسن ممن عاشوا فى القرن الثالث الذى عاش ابن المعتز أيضا فيه؛ على أن السجع لا يملأ الكتاب كله، بل إنما تجده فى الموضوعات الفنية التى تثير روح الفن فى نفس ابن المعتز، فيقف أمامها كالفنان ليعادل بين جمالها وجمال الأسلوب الذى يتحدث عنها ويصفها، وفيما عدا هذه الموضوعات تجد أسلوبا علميا يسير وراء العقل ويبعد عن السجع الذى تحوكه العاطفة وأيدى الفن الذى يشيع فى نفس الكاتب، وتجد أمثلة لذلك فى شتى فصول الكتاب [٢]، وهذا الاسلوب المرسل أكثر بكثير مما فى الكتاب من أسلوب مسجوع.

٤ — وفى الكتاب أدلة كثيرة تثبت أنه لابن المعتز:

ا — يذكر عقب كلام له ما نصه: «وقد ذكرنا ذلك فى كتابنا البديع» [٣]

ب — ويروى كثيراً من شعره الذى ينسبه ابن المعتز لنفسه مصرحا باسمه [٤]

ج — ويذكر فيه اسمه ولقبه كثيراً [٥] مما لا يدع مجالا للشك فى نسبته إليه

د — والكتاب يتحدث عن التشبيهات التى قالتها العرب فى الراح وكل ما يتعلق بها، فموضوعه الأول ذكر التشبيهات الرائعة الواردة فى باب الخمريات وأسلوبه فيه يكثر فيه التشبيه: وهذه هى روح ابن المعتز وسمة من سماته التى

( ) راجعها فى: ١٥١ / ١ زهر، ١٠٩ / ٢ العمدة،

(٢) راجع ص ٧ و ٩٦ فصول التماثيل مثلا

(٣) ٩ فصول التماثيل

(٤) راجع ص ٨ و ١٢ و ٣١ و ٣٢ من الكتاب

(٥) راجع ص ٩ و ١٥ و ٢٠ و ٢٢ و ٢٨ و ٢٩ و ١٠ و ٣٥ و ٥٦ و ٧٠ و ٨٥ من الكتاب

يعرف بها وتميزه وحده عمن سواه ، وهى العناية بالتشبيه والأكثار منه وقصده فى الأسلوب .

هـ — وجميع الأعلام الواردة فى الكتاب لا تتجاوز عصر ابن المعتز، ويشير فيه أحيانا إلى المعتضد (١)

و — ويقول النواجى م ٨٥٩ هـ فى حلبة الكميت : قال ابن المعتز ومن خاصة الشراب جودة الهضم (٢) الخ ، وهذه العبارة تجدها فى فصول التماثيل (٣)

وبعد فلا نشك فى نسبة هذا الكتاب لابن المعتز ، وابن المعتز يذكر فيه اسم المعتضد ويلقبه أمير المؤمنين (٤) ، وذلك مما يدل على أنه ألف فى عهد الخليفة المعتضد بالله م ٢٨٩ هـ أو بعد عهده بقليل .

ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى أنه كان لابن المعتز وراق يكتب له كل ما يريد (٥) ؛ والوراق يعدل (السكرتير) اليوم ؛ ولاشك أن ذلك كان مما يساعد ابن المعتز على الانتاج وكثرة التأليف .

— ٣ —

ثقافة ابن المعتز : —

١ — كان ابن المعتز واسع الثقافة غزير الاطلاع كثير البحث والكتابة والتآليف وأجمع على ذلك جميع الباحثين :

---

(١) ص ١٥ و ٤٥ و ٤٦ و ٤٧ من الكتاب

(٢) ص ١٣ حلبة الكميت للنواجى

(٣) ص ١٢ فصول

(٤) ١٥ و ٢٠ و ٤٦ فصول

(٥) راجع ٦ مقدمة ديوان البحترى

فقد كان مخالطا للعلماء والادباء معدودا في جملتهم [١] ، تأدب على شيوخ العربية في عصره فنشأ ولوعا بالادب [٢] بارعا فيه غزير الفضل [٣] ، ونشأ في الرواية والسماع فكان يكثر في مجالسه من حدثنا وأخبرنا [٤] وكان يقدم أهل العلم ويؤثرهم [٥] وكان يلازم كبار العلماء والشعراء وأعلام الادب في بغداد وأخذت مصنفاته الادبية تلفت اليه الانظار يوما بعد يوم [٦] ، ولا غرو فقد ولد في بيت الخلافة وربى تربية الملوك وشغف من صغره العربية والادب وأخذ عن المبرد وثعلب والدمشقي وغيرهم [٧] ، وكان متعلقا بقراءة الكتب وتواريخ من سلف حاويا زبدة العلوم والفنون والادب [٨] ، إلى غير ذلك مما وصفه به الباحثون .

٢ — نبغ ابن المعتز في الشعر وأجاد فيه ، وكان مترسلا وكاتبا بليغا ، يقر له العلماء بالبيان والبلاغة ، وكان ناقدا واقفا على خصائص الأدب والشعر والبيان وله آثار كثيرة في الشعر والكتابة والنقد ، وذلك كله دليل على سعة ثقافته الأدبية والعربية التي كان من أساتذته فيها المبرد وثعلب ،

وكان حسن العلم بصناعة الموسيقى والكلام على النغم وله كتب مشهورة [٩] ، وله صنعة في الغناء أجاد فيها وأحسن وبرع وتقدم جميع عصره [١٠] .

وله ثقافة في التاريخ يشهد بها شعره وأرجوزته في تاريخ المعتضد وكل الباحثين الذين وفوا ابن المعتز حقه من البحث .

---

(١) ٢٢٢ /٢ شذرات ، ٤٦١ / وفيات ، ٨٣ /١ دميرى ، وراجع ١٦٢ و١٦٣ / ٢ زيدان

(٢) ٢٧٥ الادب العربي للزيات (٣) راجع ٥٩٩ نزهة الالبا

(٤) كان راوية للأدب وفي أصول الأدب كثير من الروايات له (راجع مثلا : ٩٤ /٥ و١٠٩ /٦ معجم الادباء و٩٧ و١٠١ – ١٠٤ و١٢٣ /٩ الاغاني ، ١٩٠ /١ و ١٨٧ /٢ زهر الآداب)

(٥) ١٠٧ الأوراق

(٦) ٢٧٩ و٢٨٠ المجلد الاول من دائرة المعارف الاسلامية

(٧) ١٩١ الاسكندرى (٨) ٢٣٧ الغرر الحسان للشهابى

(٩) ١٤١ /٩ الاغانى (١٠) ١٣٩ /٩ الاغانى

وله ثقافة فى علوم الدين تثقف بها من صغره على يد أستاذه أحمد بن سعيد الدمشقى وسواه كما تشهد بذلك قصيدته التى بعث بها الى استاذه[١] :

وله ثقافة فى علم الكلام يشهد بها كثرة اقتباسه فى شعره من مصطلحات المتكلمين فتراه يقول :

هواى هوى باطن ظاهر ⁂ قديم حديث لطيف جليل [٢]

ويقول فى الراح :

من كل جسم كأنه عرض ⁂ يكاد لطفا باللحظ ينتهب

ويقول فى أبى الصقر :

وذكر السعود والنحوسا ⁂ والجوهر المعقول والمحسوسا
والعرض الظاهر التجسيم ⁂ والقول فى طلائع النجوم
وقدم النظام أو ثمامة ⁂ وذكر التعديل والاقامة

وله إلمام بعلم النجوم يشهد بذلك كثرة أوصافه للكواكب والنجوم والسماء ومظاهر الطبيعة فى شعره كثرة غير مألوفة عند الشعراء ، وكان العلم بالنجوم سمة الأدباء والنبلاء فى عصر ابن المعتز .

٣ — وبعد ، فهل كانت ثقافة ابن المعتز ثقافة عربية خالصة أم ثقافة تجمع الى الثقافة العربية الاسلامية الثقافات الأخرى المترجمة ؟

اختلف فى ذلك الباحثون :

ا — ففريق يرى أنه درس شتى العلوم والثقافات ومنها الفلسفة ، فقد شارك فى أكثر العلوم النقلية والعقلية [٣] » ، ولم يكن علم يعرفه أئمة عصره وفلاسفة دهره الا مهر فيه وألم به حتى هابه وزراء الدولة وشيوخ كتابها [٤] ، فقد قرأ

---

(١) ١٣٣ / ١ معجم الادباء

(٢) ويروى لابن المعذل أيضا (٧ / ٢ العمدة)

(٣) ٢٧٥ تاريخ الآدب العربى للزيات

(٤) ١٩١ ، تاريخ آداب اللغة فى العصر العباسى للاسكندرى ، ٢٧٠ الوسيط

الأدب وعلوم الاوائل على على مؤدبه أحمد بن سعيد الدمشق [١] وكان ابن سعيد متفلسفا [٢] ، وهكذا تثقف ثقافة جمعت فيها علوم الأوائل والاواخر فاقتطف من كل فن ما اشتهى » [٣]

ب — وفريق يخالف هؤلاء فى الرأى ، فيقول باحث منهم : ويظهر أنه لم يكن يأخذ نفسه بحظ واسع من الفلسفه والثقافة الأجنبية ، إنما انحصرت ثقافته أو كادت فى حدود الثقافة العربية » واستدل على ذلك بقصيدة ابن المعتز التى أرسلها إلى أستاذه ابن سعيد والتى يقول منها :

سر بلتنى حكمة قد هذبت شيمى ... وأججت نار ذهنى فهى تشتعل
أكون إن شئت قسا فى خطابته ... أو حارثا وهو يوم الحفل مرتجل
وأن أشأ فكزيد فى فرائضه ... أو مثل نعمان لما ضاقت الحيل [٤]
أو الخليل عروضيا أخا فطن ... أو الكسائى نحويا له علل [٥]

وفى كلام هذا الكاتب قلق واضطراب وعدم استقرار فى الفكرة التى يريد أن يؤيدها كما يراه من يرجع إلى كلامه ، وفيه خطأ فى الاستدلال بهذه القصيدة على لون ثقافة ابن المعتز ، فان المرجع الذى روى هذه القصيدة والذى نقل عنه هذا الكاتب يذكر أنها لابن المعتز وهو فى الثالثة عشرة من عمره [٦] ، فكيف يستدل بها على ثقافة الشاعر . ويجعل باحث آخر ابن المعتز من أظهر الأمثلة لطائفة الشعراء والادباء الذين درسوا الادب قديمه وحديثه فأخذوا القديم عن اللغويين ولكنهم عنوا بالمحدث وحفلوا به [١] وأذواقهم تنحدر من أصول عربية محضة

---

(١) ٧٤ تاريخ الآدب العربى للمدارس الثانوية

(٢) ٢٠٠ الوسيط (٣) ١٩ تراجم الشعراء والكتاب

(٤) حكيم جاهلى مشهور ، والحارث هو الحارث بن حلزة اليشكرى الشاعر المشهور ، وزيد هو زيد بن ثابت كاتب الوحى لرسول الله والمتوفى عام ٤٣ هـ ، ونعمان هو أبو حنيفة النعمان م ١٥٠ هـ وإمام فى الفقه والتشريع

(٥) راجع ١٤١ و ١٤٢ : الفن ومذاهبه فى الشعر العربى

(٦) ١٣٣ / ١ معجم الآدباء

(٧) ١١٦ تاريخ النقد الادبى عند العرب

أو عربية خالطها شيء مما جاء به الموالى ولم تبهرها كالمغربين المعارف الأجنبية ولم تقبل فى الدراسة الا على ما هو عربى [١] .

حـ — ونحن لا يعجبنا من الرأى الأول إسرافه ودعواه بأن ابن المعتز أحاط بكل علم من علوم الفلسفة ، ولا يرضينا من الثانى دعواه بأن ثقافته عربية خالصة مع عجزه عن إقامة الدليل على ما يقول .

وسأحاول أن أوضح هذه الناحية الغامضة فى حياة وشخصية شاعرنا عبد الله ابن المعتز .

لقد عرفنا مما سبق أن والدة ابن المعتز من عنصر رومى ، ولا شك فى أن لهذا العنصر خصائصه فى الاتجاه والتفكير .

وفى طفولة الشاعر عكف على دراسة القرآن والدين والأدب مما يصوره بوضوح قصيدة التى بعث بها الى أستاذ ابن سعيد .

وفى بدء شبابه اتصل الشاعر ببيآت اللهو وعاش عيشة حرة من كثير من القيود فنادم الظرفاء الذين لا يعنون إلا باللهو دون ما سواه من مقومات التفكير :

ولا حاسبا تقوم شمس وكواكب ليعرف أخبار العلو من أسفل
يقوم كحرباء الظهيرة ماثلا يقلب فى أسطرلابه عين أحول

وشغل بالأدب والعربية مع علوم الدين ؛

شغلى اذا ماكان الناس شغل دفتر فقه أو حديث أو غزل

وبعد ذلك نجد الشاعر مهتما بالنجوم ومظاهر الطبيعة البعيدة وبوصفها فى شعرها ، مما يدل على انه قرأ كثيرا وتأثر بما قرأ الى حد كبير .

ثم نجده يتصل بالعلماء والأدباء ويختلط برجال الفكر ويصادق المشتغلين

---

(١) ١١٧ المرجع

بالعلوم العقلية كعلي ابن المنجم وابنه يحي بن علي وكعبيد الله بن طاهر ، وكجعفر ابن قدامة وسواهم ؛ ونجده يتصل بحنين بن اسحاق ويسأله عن أشياء ويكتب رأيه فيها في كتابه فصول[١] التماثيل كما أنه لا شك قد اتصل بالسرخسي الفيلسوف تلميذ الكندى وأستاذ المعتضد ونديمه ؛ ونجده فوق ذلك يخرج كتابه الفصول القصار ، وفيه حكم اجتماعية وسياسية وخلقية تشبه حكم ابن المقفع ويظهر فيها أثر الثقافة الفارسية ، ونجد في شعره في هذه الفترة آثاراً كثيرة واضحة من الحكم العميقة ، وأساليب التفكير البعيدة ، ونزعات العقل الحر الواسع الأفق والاتجاه ؛ المتأثر بفلسفة الحياة وأسباب الثقافات المترجمة ؛ كما نجده يخرج كتابه « فصول التماثيل » صورة لعقله الناضجة المتأثرة بالثقافة اليونانية ؛ المترجمة بعد عصر الشباب ؛ حيث ينقل فيه عن أهل الحكمة والحكماء[٢] وعن الاطباء[٣] وعن جالينوس[٤] ، ويعرض آراءه فيها دقة وعمق وتأثر كبير واضح بالعلوم الحديثة ؛ ثم نجده ينظم أرجوزة في تاريخ المعتضد مما يدل على عقلية خصبة جديدة استطاعت أن تنظم التاريخ وأحداثه وتخضعهما لصيغة الفن وذوقه .

كل ذلك يدلنا على أن ابن المعتز إذا كان قد اقتصر على الثقافة الأدبية وحدها في بدء شبابه فقد أكمل ثقافته وقرأ شتى الثقافات وخالط رجالها وأفاد منها وتأثر بها إلى حد كبير بعد صبوة الشباب وعهد لذاته حتى أشاد أبو الفرج بأدبه وشعره وفضله وحسن أخباره وتصرفه في كل فن من العلوم[٥] ، ففي عقلية ابن المعتز وثقافته ألوان ثلاثة : عربي مستمد من الأصل والبيئة والاتجاه ، وفارسي مستمد من شيوع الثقافة الفارسية في عصر ابن المعتز وكثرة العناصر الفارسية التي كانت تعمل على تلوين الفكر الأسلامي بصيغتها ، ويوناني مستمد من أثر الوراثة عن

(١) راجع ٢٤ و٢٥ فصول

(٢) ١٥ و ١٩ و ٢٠ و ٢٣ و ٦٧ فصول

(٣) ١٧ و ٢٤ و ٣٦ و ٧٠ فصول

(٤) ٢٧ و ٤٠ و ٨٦ و ٨٨ — ٩٠ فصول

(٥) ١٤١ /٩ الاغاني

والدته ، ومن العلماء والفلاسفة الذين خالطهم الشاعر وتأثر بهم ومن ذيوع الثقافة اليونانية وانتشار موجة الفلسفة فى عصره وخاصة فى عهد المعتضد بالله ؛ ولكن ابن المعتز على أى حال لم يعش فيلسوفا ولا حكيما وإنما عاش أديبا وشاعرا قبل كل شيء .

٤ — وبعد فانتاج ابن المعتز الأدبى بعد عصر الشباب مفعم بالنزعات الجديدة فى تفكير الشاعر وعقليته وثقافته وتقرأ أمثال قصيدته :

يا غزال الوادى بنفسى أنتا   لا كما بت ليلة الهجر بتا

فتجد نفسك أمام صورة كاملة من الفن تنم عن روح قوية وملكات خصبة وعقلية من طراز خاص .

ويطول بنا البحث لو عرضنا أمامك آثار التفكير العقلى فى إنتاج الشاعر الأدبى بعد عصر الشباب ، فلنكتف بذلك الآن فى هذا الموضوع .

وبعد فان لنشأة الشاعر وبيئته وحياته وصلاته بأجواء الحياة الأدبية والعلمية والاجتماعية فى عصره إتصالا وثيقا ولخبرته العامة وتجاربه الواسعة ، لكل ذلك أثره البعيد فى عقلية الشاعر وثقافته ؛ ولكن مهما قيل عن ابن المعتز فهو شاعر أولا وعالم ممتاز فى الصف الأول من علماء عصره أخيرا .

* * *

الباب الثانى

شعر ابن المعتز

الفصل الاول

شـــــعر ابن المعتز

رواته والمجموعات التي ألفت فيه

— ١ —

ابن المعتز أحد الشعراء الخالدين ، الذين حملوا مشعل النور ، وغردوا فى أيكة الفن أناشيد ساحرة ، وحولوا الشعور الانسانى بمعانى الحياة الى ما يشبه الصوفية المتبتلة الناطقة بمعانى الجمال ، واستحدثوا لهذه المشاعر كلها لغة فيها خصب وتجديد وقدرة وابتكار ، وشعور دافق فياض نبيل بكل شيء فى الحياة .

— ٢ —

رواة شعر ابن المعـــتز :

شغل شعر ابن المعتز النـاس والعلماء والأدباء فى عصره فقرأوه وتداولوه وعكفوا على دراسته وقراءته وأصبح جزءا كبيرا من تراث العربية الأدبى وعنصرا من عناصر الثقافة الأدبية للمتأدبين .

كان لابن المعتز وراق [١] لاشك أنه قام برواية كثير من شعره ، وكان أصدقاء الشاعر من العظماء والعلماء والادباء رواة لشعره ، يتسابقون على روايته واشتهر من رواة شعر ابن المعتز اثنان ، هما : أستاذه أحمد بن سعيد الدمشقى الذى رواه عنه شعره وآدابه وأخباره ، وصديقه وزميله فى التلمذة على ثعلب أبو بكر محمد بن يحي الصولى م ٣٣٦هـ ؛ وقد روى شعره وآدابه [٢] ، وبفضلهما حفظ شعر

---

(١) ٦ مقدمة ديوان البحترى .

(٢) راجع ٣٠١ نزهة الالبا ، ٩٥ / ١٠ تاريخ بغداد .

ابن المعتز من الضياع ، وبعد وفاته تدوولت نسخ شعره فى الاقطار : كأصبهان [١] والاندلس حيث كان الناس ينشدون شعره كما ذكر ابن عبد ربه فى العقد ، وسواهما من البلدان .

— ٢ —

مجموعات شعر ابن المعتز :

وقد جمع شعره فى كثير من المجموعات ، ونشير إليها الآن :

١ — ديوانه وقد طبع بمصر عام ١٨٩١ — ١٢٠٧ هـ ، فى جزءين : الأول نحو خمسين ومائة صفحة ويشمل أبواب الفخر والغزل والمدح ، والثانى فى ١٢٤ صفحة ، ويشمل الهجاء والخمريات والمعاتبات والطرديات والاوصاف والمراثى والزهد . ثم طبع ببيروت عام ١٣٣٢ هـ : بمطبعة الاقبال فى جزء واحد بشرح لغوى لبعض ألفاظه لمحيي الدين الخياط ، ومن ديوان الشاعر رواية الصولى نسخة مخطوطة بدار الكتب الملكية فى مجلد بقلم فارسى بخط ابن القطان كتبها سنة ١٠٩٦ هـ فى ١٤٠ ورقة بخط دقيق [٢] ، ومنه نسخة أخرى مخطوطة بقلم معتاد كتبت سنة ١٢٨٥ هـ [٣] . والديوان المطبوع ناقص كثيرا جدا عن الاصل المخطوط ، وهو عشرة أبواب كل باب مرتب حسب حروف الهجاء ، وبذيل كتابنا رسائل ابن المعتز طائفة من شعره لم تنشر من قبل فى ديوانه المطبوع [٤] .

٢ — الاوراق للصولى قسم أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم نشره ج هيورث المدرس بمعهد الدراسات الشرقية بلندن ، بمساعدة أوصياء جب عام ١٣٥٥ هـ — ١٩٣٦ م ، وطبع بمطبعة الصاوى بالقاهرة . وفيه مختارات من شعر ابن المعتز فى

(١) ٢٨٥ / ٦ معجم الادباء

(٢) ٦٦١٠ أدب مخطوط بدار الكتب

(٣) ٥٢٤ أدب — مخطوط بدار الكتب

(٤) ١٢٦ - ١٤٣ رسائل ابن المعتز

جميع أبواب شعره عدا الرثاء [١]، ومنها أرجوزته فى ذم الصبوح [٢]، وفيه بعض آثار من نثره الادبى [٣]، ويسبق ذلك كله كلمة فيها ذكر لبعض أخبار الشاعر [٤]

ومن الاوراق مصور شمسى فى أشعار ابن المعتز وأخباره، فى ٦٨ لوحة بدار الكتب الملكية [٥].

٣ — وفى دار الكتب مخطوط [٦] بعنوان جملة من شعر ابن المعتز (فى الغزل والخمريات) ضمن مجموعة مخطوطة مكتوبة عام ١٣٢٤ هـ، وقد اطلعت عليها فوجدت أن ما فيها من شعر لابن المعتز قليل جداً مما لا يستدعى أن يسمى بهذا الاسم.

٤ — فحول البلاغة للسيد محمد البكرى م ١٣٥١ هـ وهو فى المختار من شعر ثمانية من فحول الشعراء: مسلم - أبو نواس - أبو تمام - البحترى - ابن الرومى ابن المعتز - المتنبى - المعرى. وقد طبع بالقاهرة عام ١٣١٣ هـ فى ٢٧٩ صفحة.

٥ — مختارات البارودى وهى مختارات من شعر ثلاثين شاعراً من فحول شعراء العربية من بينهم ابن المعتز الذى اختار له فيها ٧٥٢ بيتا منها: ١٢٠ بيتا فى المدح و ١٩ فى الادب [٧]، ١٨ فى الرثاء [٨] و ٨٤ فى النسيب و ٤٨ فى الهجاء و ١٦ فى الزهد و ٤٦٧ فى الصفات [٩]

٦ — هذا غير كثير من كتب الادب القديمة والحديثة حفلت بشعر ابن المعتز وذكرت منه كثيراً.

---

(١) ١١٧ — ٢٨٧ الاوراق

(٢) ٢٥١ ومابعدها «

(٣) ٢٨٧ — ٢٩٦ «

(٤) ١٠٧ — ١١٧ «

(٥) ١٣٠٠٢ ز

(٦) ٤٠٨ مجاميع

(٧) الجزء الاول من مختارات البارودى

(٨) « الثالث « « «

(٩) « الرابع « « «

الفصل الثانى

شاعرية ابن المعتز
وآراء علماء الادب فيها

- ١ -

وبعد فابن المعتز يتسم بالشاعرية ، والشاعرية سمة غالبة عليه واضحة فيه متصلة بأعماق نفسه وخلجات صدره وهمسات عواطفه وآثار وجدانه وعقله .

ومهما قيل عن شخصية هذا الأمير العباسى ، وحفيد خلفاء بنى العباس ، وابن المعتز بالله وولى عهده طول حياته ، والناشىء المعذب الشقى بعد وفاته ، والشاب الطامح النبيل النفس العظيم الخلق الجد فى تحصيل العلوم والاحاطة بألوان الثقافات فى صدر شبابه ؛ والاديب الممتاز والبليغ الساحر والعالم المحصل والمؤلف المجيد فى عنفوان شبابه وطول عصر رجولته ، وصديق رجالات الدولة وعظمائها وكتابها وعمالها وابن عمومة الخلفاء من بعد عمه المعتمد بالله ، والذى نودى به خليفة فى آخر أيام حياته والذى فشل فى سبيل آماله بالكبار التى كانت تجيش بنفسه وصدره ، نعم مهما قيل فى هذه الشخصية الكبيرة وفى شتى نواحى نشاطها وتفوقها فى الحياة ؛ فهو أولا وقبل كل شىء الشاعر الساحر ، ورب الشاعرية الثرة ، ووارث مجد القريض بعد أميريه : أبى تمام وأبى عبادة البحترى ستين طوالا ؛ ولئن حرم ابن المعتز مجد الخلافة فقد منح مجد الشاعرية والأدب وكان فى هذا المجد غنى له وعن كل شىء بعده :

وشبعت من أمر ومملكة   وحكمت بالملكات والسنن

أرهقت نفسية ابن المعتز وحياته وبيئته وثقافته وآماله وآلامه عواطفه وقلبه

فنشأ ملهم الشاعرية قوى الملكات ، ونظم الشعر يرضى به عواطفه ويصور فيه مشاعره وما يختلج فى صدره من إحساسات ، وما تزخر به حياته من مظاهر الترف والنعيم والعظمة ؛ فكان شعره صورة لحياته الخاصة أولا ولحياة الطبقة المترفة ثانيا ، وللاتجاهات العامة فى السياسة والاجتماع والآداب فى بيئته أخيرا ، وهو فوق ذلك صورة صادقة للفن فلم يكن ينظم الشعر لمجد أو لمال أو لغرض آخر بعيد عن أغراض الفن ، إنما كان ينظمه لنفسه ، ليرضى به نفسه وذوقه وإحساسه المرهف بمعنى الجمال فى الحياة ، ويمكننا أن نقول إن بواعث الشاعرية فى نفسه ترجع إلى :

١ — بيئة الشاعر : فقد عاش ابن المعتز فى بغداد وسر من رأى ، أى فى البيئة العامة التى امتاز بها القرن الثالث ، والتى حفلت بألوان الحضارة وشتى العلوم والفنون والآداب ، والثقافات ؛ كما عاش فى بيئته الخاصة الحافلة بأنواع البذخ ومظاهر المجد ، فى قصور الخلفاء والأمراء ؛ فألهمه الجمال الذى شاع فى بيئته الخاصة والعامة وجمال الفن وسحر الشعر ، وكان لذلك أثره الواضح فى شاعريته بل وفى شخصيته .

٢ — أسرته : كانت أسرة والد ابن المعتز عربية هاشمية تتصل ببيت النبوة إتصالا وثيقا ويتدفق فى عروقها ودمائها روح العروبة الأولى بما تمتاز به من خلق وآداب ومشاعر ووجدانات ، وبما تختص به من بلاغة القول وسلامة الملكة وقوة الطبع وتدفق البيان وغزارة الشاعرية ، وبما نبغ منها من أعلام فى الادب والخطابة والبلاغة والحكمة والشعر حتى وصف بعضهم الجاحظ بأنهم لم يكن لهم نظراء فى أصالة الرأى وفى الكمال والجلالة والعلم بقريش والدولة وبرجال الدعوة مع البيان العجيب والغور البعيد والنفوس الشريفة والاقدار الرفيعة وكانوا فوقا لخطباء وفوق أصحاب الاخبار وكان يجلون عن هذه الاسماء (١)

(١) ٢١٧/١ البيان والتبيين

وورث ابن المعتز مجد أسرته فى الادب والشعر كما ورث مجدها فى الملك والسياسة، فنشأ شاعراً بطبعه ، أديبا بليغا ؛ فى الصف الاول من العلماء والادباء والشعراء فى عصره ، كما أمده عنصر والدته الرومى بالخيال الواسع الذى يمد الشعر فى نفس الشاعر بشتى أسباب القوة والنضوج .

٣ — نشأته وثقافته : كان لها أثر بعيد فى اشعال روح الشاعرية بين جوانحه ، فالآلام القاسية التى لاقاها فى حياته ، والآمال الناضرة التى كان يموج بها فؤاده ، وثقافته اللغوية والادبية والعقلية الواسعة ، وتلمذته على شيوخ العربية والادب فى عصره ، مع الاحاطة بآثار الادب العربى القديم والمحدث ؛ كل ذلك كان له أثره البعيد فى نضوج شاعريته وإحكام ملكاته .

٤ — ذيوع الادب والشعر فى عصره : فقد كان عصر ابن المعتز حافلا بالادب والشعر ، والادباء والشعراء : كالجاحظ وابن سلام وابن قتيبة وكأبى تمام والبحترى وابن الرومى والناشىء وسواهم ؛ وعاش ابن المعتز فى هذا الجو واتصل به اتصالا وثيقا ، واتخذ له من رجال الادب والشعر أصدقاء واخوانا يطارحهم الشعر ويناظرهم فى فهمه ونقده وفى نظمه ؛ فكان ذلك أحد الاسباب فى ظهور شاعريته وقوة أسبابها

٥ — ذوق الشاعر واحساسه : على أن أسباب الشاعرية فى نفس ابن المعتز لم تكن كلها بعيدة عن قلبه وعقله وعواطفه وإحساسه ؛ بل لقد كان من أهم بواعثها وأظهر أسبابها ابن المعتز نفسه ، كان يتذوق الحياة تذوق الفنان ، وينظر إليها نظرة الشاعر الملهم ، ويفهمها على أنها جمال فنى خالص ، ويحس بها إحساس المستغرق فى تخيلاته وشتى تصوراته الفنية الجميلة ، ثم كانت أخلاقه وآدابه فيها أخلاق الشاعر وآدابه ، كان كريم النفس ، نبيل العواطف كثير الاعتزاز بنفسه وشخصيته ، يتأثر لكل صغيرة وكبيرة من آلام الحياة ، ويشمل بروح الأمل الباسم وبارقة الرجاء اللطيف ، ويتعشق لهو الحياة ولذاتها البريئة ، ويقف متبتلا فى محراب الجمال الشائع فى شتى مظاهرها البديعة : كل ذلك مع الذكاء والفطنة وثقوب الذهن

وخصب التفكير وحضور البديهة وقوة الطبع والملكات ؛ ومع الحياة المترفة والنعيم المتدفق ، ومع ما يبعثان في صدر صاحبهما من أحاسيس وعاطفة وشعور ؛ فكان ذلك كله مما أخذ بيد شاعريته إلى الكمال والحياة .

وكانت هذه البواعث كلها مجتمعة كفيلة بخلق شاعرية موهوبة ملهمة ، تتناول كل غرض في إجادة وتستوعب كل فن في إحسان .

ولقد كان النقاد والعلماء يعجبون من نفوذ ابن المعتز وتفوقه في الشعر وفطنته به ، « وهذا - كما يقول الصولي - في الملوك قليل ، فاذا برع منهم الواحد بعد الواحد تقدم الناس ، وخاصة بنو هاشم ، فانهم أرق الناس أفهاما وأدقهم أذهانا وأحسنهم طبعا »[١] .

- ٢ -

رأى علماء الادب في شاعريته وشعره : —

ا — آراء المتقدمين :

١ — كان أبو العباس أحمد بن يحيى - ثعلب م ٢٩١ هـ - يقدمه ويقول هو أشعر أهل زمانه[٢] .

وكان عبيد الله بن عبد الله بن طاهر م ٣٠٠ هـ يقول : هو أشعر قريش لأنه ليس فيهم من له مثل فنونه ؛ لأنه قال في الخمر والطرد والغزل والمديح والهجاء ، والمذكر والمؤنث والمعاتبات والزهد والأوصاف والمراثي ، فأحسن في جميعها ، وهو حسن التشبيه مليح الألفاظ واسع الفكر[٢] .

وكان أحمد بن اسماعيل الكاتب الملقب نطاحة يقول ؛ هو أشعر بني هاشم ؛ وكان آل وهب يقدمونه ويقولون فيه مثل هذا القول[٢] .

---

(١) ورقة ٣٦ الاوراق قسم المقتدر مخطوط ، ٤٢ رسائل ابن المعتز
(٢) ١٣ ، الاوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء

ويقول فيه الصولى م ٣٣٦ ﻫ : ابن المعتز شاعر مفلق محسن حسن الطبع واسع الفكر كثير الحفظ والعلم يحسن فى النظم والنثر ومن شعراء بنى هاشم المتقدمين وعلمائهم [١] ، ومنزلته فى الشعر منزلة شريفة وقد وقع من قوم إفراط فى أمره وتقديمه [٢] .

٢ — ويقول فيه المسعودى م ٣٤٦ م : كان عبد الله بن المعتز أديبا بليغا شاعرا مطبوعا مجودا مقتدرا على الشعر قريب المآخذ سهل اللفظ جيد القريحة حسن الاختراع للمعانى [٣]

٣ — ويشيد به أبو الفرج م ٣٥٦ م طويلا [٤] وسيأتى كلامه فى بحث أسلوب ابن المعتز إن شاء الله .

٤ — ويقول فيه ابن النديم م ٣٨٧ ﻫ : هو واحد دهره فى الأدب والشعر [٥] ،

٥ — ويقول فيه ابن رشيق م ٤٦٠ ﻫ : وليس فى المولدين أشهر اسما من أبى نواس ثم حبيب والبحترى ثم يتبعهما فى الاشتهار ابن الرومى وابن المعتز فطار اسم ابن المعتز حتى صار كالحسن فى المولدين وامرىء القيس فى القدماء فان هؤلاء الثلاثة لا يكاد يجهلهم أحد من الناس [٦] .

٦ — ويقول عمر بن على المطوعى فى كتابه فى شعر الميكالى ومنثوره والشعراء: ومنهم ـ أى من الشعراء ـ من أخذ بحبل الجودة من طرفيه ، وجمع رداء الحسن من حاشيتيه ، كامرىء القيس فى المتقدمين وهو أمير الشعراء غير منازع ، وسيدهم غير مجاذب ؛ وعبدالله بن المعتز أمير المؤمنين فى المولدين ، وهو أشعر أبناء الخلافة الهاشمية ، وأبرع منشئ الدولة العباسية ، ومن جل كلامه فى التشبيه عن أن يمثل بنظير أو شبيه ، وعلت أشعاره فى الأوصاف على أن تتعاطاها ألسنة الأوصاف :

---

(١) ١٠٧ المرجع
(٢) ١١٣ المرجع
(٣) ٢٢٣ / ٤ المسعودى
(٤) ١٤٠ و ١٤١ / ٩ الاغانى
(٥) ١٦٨ الفهرست
(٦) ٨٢ / ١ العمدة

والأمير أبى فراس بن حمدان فارس البلاغة ورجل الفصاحة ومن حكمت له شعراء العصر بالسيادة واعترفت لـكلامه بالاجادة ، حتى قال الصاحب . بدىء الشعر بملك وختم بملك ، وهذه الطائفة أشهر الثلاثة تقدما ؛ وأثبتها فى مواطن الفخر ومواطىء الشرف قدما ، وأسبق الشعراء فى ميدان البلاغة ، وأجحمهم فى ميزان البراعة (١) .

٧ — ويقول الحصرى م ٤٥٣ هـ : كان أبو العباس عبد الله بن المعتز فى المنصب العالى من الشعر والنثر وفى النهاية فى إشراق ديباجة البيان والغاية من رقة حاشية اللسان ، وكان كما قال ابن المرزبان : إذا انصرف من بديع الشعر الى رقيق النثر أتى بجلال السحر (٢) .

٨ — ويعده ابن شرف م ٤٥٦ هـ فى رسائل الانتقاد من الشعراء المشهورين المذكورين (٣) . ويقول فيه أيضاً : وأما ابن المعتز فملك النظام كما هو ملك الانام له التشبيهات الملية والاستعارات الشكلية والاشارات السحرية والطرائق الفنونية والافتخارات الملكية والهمات العلوية والغزل الرائق والعتاب الشائق ووصف الحسن الفائق .

وخير الشعر أكرمه رجالا　　　وشر الشعر ما قال العبيد(٤)

٩ — ويقول فيه ابن الانبارى م ٤٢٨ هـ : وأما عبد الله بن المعتز ويقال له أمير المؤمنين ـ فانه كان غزير الفضل بارعا فى الادب حسن الشعر كثيره (٥) ، ثم ذكر شعرا له وقال : ومحاسن شعره كثيرة جدا (٦) .

---

(١) ١٧٤ و ١١٥ / ١ زهر الآداب　　(٢) ٢١٩ / ١ زهر ، وهى فى ٢٠٨ مجموعة النظم دون إشارة المرجع الذى نقلت منه

(٣) ٢٤٣ رسائل البلغاء حيث جمع فيها صاحبها كثيرا من الرسائل التى من بينها ، رسائل الانتقاد لابن شرف (ص ٢٤١　　٢٦٨ رسائل البلغاء)

(٤) البيت للفرزدق فى نصيب الشاعر　　(٥) ٢٩٩ نزهة الالبا

(٦) ٣٠١ المرجع

١٠ — ويقول فيه صاحب تاريخ بغداد م ٤٠٦ هـ : كان متقدماً فى الادب غزير العلم بارع الفضل حسن الشعر [١] وكان غزير الادب كثير الشعر [٢] .

١١ — ويقول فيه ابن خلكان م ٦٨١ هـ : كان أديباً بليغا شاعرا مطبوعا مقتدرا على الشعر قريب المأخذ سهل اللفظ جيد القريحة حسن الابداع للمعانى [٣] .

١٢ — ويقول فيه ابن شاكر م ٧٦٤ هـ : ابن المعتز صاحب الشعر البديع والنثر الفائق .[٤] .

١٣ — ويقول فيه العباسى : هو الأمير الأديب صاحب النظم البديع والنثر الفائق وهـو أشعر بنى هاشم على الاطلاق وأشعر النـاس فى الأوصاف والتشبيهات [٥] .

١٤ — ويقول فيه الدميرى م ٨٠٥ هـ : كان شاعرا ماهرا فصيحا وهـو صاحب التشبيهات التى أبدع فيها ولم يتقدمه من شق غباره [٦] .

١٥ — ويقول فيه ابن حجة م ٨٣٧ هـ : من خلفاء بنى العباس كان مع كماله وغزارة فضله لم يزل منغصا فى مدة حياته ومحله من الأدب لا يخفى [١] .

١٦ — ويقـول فيه أبو الفـداء م ٧٣٢ هـ : كان ابن المعتز فاضلا شاعرا وتشبيهاته وأشعاره معروفه وله الـكلام البديع [٨] .

١٧ — ويقول فيه الشهاب الخفاجى : قال الأدباء بدىء الشعر بملك وختم بملك ، والاول امرؤ القيس ، والثانى ابن المعتز ، فانه ممن أوتى جوامع الـكلم

---

(١) ٩٥ / ١٠ تاريخ بغداد (٢) ١٠٠ / ١٠ المرجع

(٣) ٤٦١ / ١ وفيات الاعيان ، ٢٢٢ / ٢ شذرات الذهب

(٤) ٢٤١ / ١ فوات الوفيات

(٥) ١٤٦ / ١ معاهد التنصيص ، ٦٩٣ / ١ دائرة المعارف للبستانى

(٦) ٨٣ / ١ حياة الحيوان الكبرى للدميرى (٨) ١٢ / ١ ثمرات الاوراق

(٨) تاريخ أبى الفداء أخبار عام ٢٩٦ هـ

نظما ونثرا وإنشاء وشعرا ، والعامة تقول كلام الملوك ملوك الكلام ؛ وقيل أبو فراس والاول أقرب الى القياس ؛ وابن المعتز كما فى الاوراق للصولى شاعر مغلق واسع الفكر فى العلم والنظم والنثر من شعراء بنى هاشم وعلمائهم ؛ كان إماما فى الأدب ومعرفة كلام العرب ، وكان المبرد يجله ويسعى اليه ويستفيد منه ، إلا أنه كان له هنات فى حب بنى هاشم والغلو فى تقديمهم وله فى ذلك قصائد ثم رجع عن ذلك وقال ما يناقضه وكان ثعلب يقدمه ويقول هو أشعر أهل عصره (١) .

ب — آراء المحدثين : —

ا — فى دائرة المعارف الاسلامية :

ابن المعتز شاعر من أهم شعراء العصر العباسى جمع الى موهبته الطبيعية وابتكاره الذى كان من الطراز الاول العلم الصحيح والذوق السليم ، فلم يقلد شعراء العرب الاقدمين ، وإنما كان يعادلهم فى حسن طريقة انتقاء ألفاظه ، كما أن أسلوبه يمتاز بالبساطة والسلاسة الى حد كبير وتناول شعره جميع الفنون التى كانت تدخل فى باب الشعر وقتذاك ، وجل شعره فى وصف حياة الترف ، تستشف منه كل ما فى تلك الحياة من ألوان البذخ وبعض ما فيها من التكلف والتظاهر ؛ وقد عنى عناية خاصة بالاغانى التى تصف الخمر وتشيد بذكر مجالس الشراب ، يشهد بذلك كتابه « فصول التماثيل » الذى لأشعاره فيه المكان الاول (٢) .

٢ — ويقول فيه الاسكندرى م ١٩٣٦ : هو صاحب النظم البديع والنثر الفائق وأبرع الناس فى الأوصاف والتشبيهات ، وكان ابن المعتز سهل العبارة كثير مراعاة البديع فى قوله مع رشاقة وقلة تلطف وتصنع ، وقل فن المدح فى كلامه إلا فى أهل بيته من الخلفاء ، وزاد فى الأوصاف الطبيعية والتشبيهات البديعة ووصف محاسن الطبيعة ومجالس الأنس ومراسلة الاخوان ودعوتهم ووصف

---

(١) ٣٢٠ ريحانة الالبا للشهاب الخفاجى

(٢) ٢٧٩ و ٢٨٠ المجلد الاول من دائرة المعارف الاسلامية

الصيد وكلابه وفهوده والقلم والقرطاس ونحو ذلك والمتأمل فى شعره يعرف فيه نضرة النعيم وترف الملك ورقة الخيال ولطف الوجدان (١) .

٣ — ويقول فيه جورجى زيدان : كان ابن المعتز شاعراً مطبوعا مقتدرا على الشعر قريب المأخذ سهل اللفظ جيد القريحة ومن مزاياه الابداع للمعانى وميزته على الخصوص ما فى شعره من البديع ومن شعره قصيدة من نوع الشعر القصصى مدح بها المعتضد (٢) .

٤ — ويقول فيه الزيات : ولد فى بيت الملك وموئل الخلافة وربى فى باحة النعيم وموطن الجلالة ، وكان لنشأته أثر ظاهر فى شعره فهو رقيق اللفظ سهل العبارة صافى الأسلوب لرقة طبعه وسهولة خلقه وصفاء خاطره وهو بليغ الاستعارة رائع التشبيه دقيق الوصف لرقة حسه ولطف شعوره وإمتلاء ذهنه بروائع الجمال وبدائع الخيال ورونق الحضارة وكان يقول الشعر إرضاء لنفسه وتصويرا لحسه فبرىء من كاذب المدح ولؤم الهجاء وانصرف إلى وصف الطبيعة ومجالس الأنس ومطاردة الصيد ومراسلة الأخوان وله ولع بالبديع فى حسن صوغ وقلة تكلف ونثره لا يقل عن شعره فى نقاء الأسلوب وجودته ودقة التخيل (٣) .

٥ — وكتب عنه الأستاذ ابراهيم البديوى كلمة فى السياسة الأسبوعية ، كما كتب عنه الآستاذ مصطفى عبد الغنى (٤) وأصحاب المفصل (٥) ؛ وله ترجمة فى سطور

---

(١) ١٩١ وما بعدها آداب اللغة فى العصر العباسى للاسكندرى ، ٢٠٤ وما بعدها الوسيط . ويعتمد الكتاب إعتمادا كبيرا على رأى الاسكندرى فى كتابته عن ابن المعتز

(٢) ١٦٢ /٢ تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان

(٣) ٢٧٥ وما بعدها تاريخ الآدب العربى للزيات

(٤) ص ٩ وما بعدها تراجم الشعراء والكتاب لمصطفى عبد الغنى لتلاميذ المدارس الثانوية

(٥) ١٩٣ /٠ المفصل للمدارس الثانوية طبعة ١٩٣٦ . والكلمة بعينها فى ٧٤ وما بعدها تاريخ الادب العربى للمدارس الثانوية طبعة ١٩٢٦

فى هامش المنتخب [١] ؛ وفى هامش العصر العباسى للسباعى بيومى [٢] .

وبعد فلابن المعتز مكانته فى الأدب والقريض وقد أشاد به جميع نقاد الادب وعلمائه على شتى العصور مما سبق ذكره ، ومما سيأتى الكثير منه ؛ وحسبنا ذلك الآن ؛ وفى الفصول الآتية ستعرف إلى أى مدى كانت منزلة ابن المعتز فى الشعر وامارته فى القرن الثالث الهجرى

(١) هامش ٢٨٠ / ٢ المنتخب من أدب العرب لتلاميذ المدارس الثانوية طبعة ١٩٣٦

(٢) هامش ٢٨٤ من تاريخ الادب العربى فى العصر العباسى للسباعى بيومى طبعة ١٩٣٦

الفصل الثالث

أعراض الشعر عند ابن المعتز

— ١ —

أغراض الشعر هى فنونه وموضوعاته التى يقول فيها الشعراء من مدح وهجاء ونخر ورثاء ، وغزل وحكمة ، وما شاكل هـذه الموضوعات التى عرفهـا الشعر والشعراء من قديم .

وأغراض الشعر طرقها الشعراء فنـا ولـكن لم يصطلحوا عليها اصطـلاحا ، وكانت أقسام الشعر فى الجاهلية ـ كما يقول أبو هلال ـ خمسة : المديح ، والهجاء ، والتبشيب ، والمراثى حتى زاد فيها النابغة سادساً هو الاعتذار فأحسن فيه ولا أعرف أحدا من المحدثين بلغ مبلغه فيه إلا البحـترى [1] ، وليس للعرب شىء ينسب الى التهانى ، وما جاء عنهم من شكلها فهو فى جملة المدح [2] .

وقالو : بنى الشعر على المدح والهجاء والنسيب والرثاء ، وقالوا قواعد الشعر : الرغبة ومنها يكون المدح والشكر ، والرهبة ومعها يـكون الاعتذار والاستعطاف ، والطرب ومعه يكون الشوق ورقة النسيب ، والغضب ومعه يكون الهجاء والعتاب . وقال الرمانى أكثر أغراض الشعر خمسة : النسيب ، والمدح ، والهجاء ، والفخر والوصف [3] .

---

(١) ٩١ /١ ديوان المعانى

(٢) ٩٢ / ١ المرجع .

(٣) ١٠٠ / ١ العمدة .

وقالوا : للشعراء فنون كثيرة تجمعها أربعة المديح والهجاء والحكمة واللهو ، ثم يتفرع من كل صنف من ذلك فنون : فمن المديح : المراثى والافتخار والشكر واللطف فى المسألة وغير ذلك مما أشبه وقارب معناه ، ومن الهجاء الذم والعتب والاستبطاء والتأنيب وما أشبه ذلك وجانسه ، ومن الحكمة الأمثال والتزهيد والمواعظ وما شاكل ذلك » ، ومن اللهو الغزل والطرد وصفة الخمر وما أشبه ذلك وقاربه (١) .

وأول من عد فنون الشعر وميز بينها تمييزاً هو أبو تمام فانه رتب كتابه الحماسة فى عشرة أبواب : الحماسة ، والمراثى ، والأدب ، والتشبيب ، والهجاء ، والاضياف والمديح ، والصفات ، والسير » والملح ، وخدمة النساء .

أما البحترى فقد خالف أبا تمام فى ذلك وجعل حماسته التى عارض بها حماسة أستاذه أبى تمام ١٧٤ بابا وأهداها للفتح بن خاقان . ونجد الحماسة البصرية (٢) لأبى الحسن البصرى اثنى عشر بابا : الحماسه والمديح ، الرثاء . الأدب . الغزل . الاضياف . الهجاء . مذمة النساء . الصفات . النعوت . السير . الأكاذيب الخرافات . الزهد .

ويجعل عبد العزيز بن أبى الأصبع أغراض الشعر ثمانية عشر (٣)

ورواة الشعر العربى فى العصور الاولى كان لهم أثر كبير فى تقسيم الشعر الى فنون وأبواب .

فجامع ديوان أبى نواس (٤) يقسمه الى فنون ثمان : المديح . المراثى . العتاب الهجاء . الزهد . الطرد . الخمريات . الغزل . والمجون .

---

(١) ٨١ نقد النثر

(٢) ٢٠ ٥ أدب مخطوط بدار الكتب الملكية

(٣) ٧١ / ٣ تاريخ آداب العرب للرافعى

(٤) اعتنى بجمع شعره جماعة منهم الصولى وعلى بن حمزة الاصفهانى وابراهيم بن أحمد الطبرى

وديوان أبي تمام [١] قسم الى أبواب : المديح . المراثى . المعاتبات . الاوصاف الغزل . الفخر . الهجاء .

وديوان ابن المعتز رواية الصولى مقسم الى عشرة أبواب : الفخر . الغزل . المديح . الهجاء . الخمريات . المعاتبات . الطرد . الاوصاف . الرثاء . الزهد .

وكان كثير من دواوين الشعر ترتب بحسب الحروف الهجائية للقوافى لا بحسب الاغراض ومنها ديوان البحترى [٢] ، أما ديوان ابن الرومى فلم يطبع إلا مختارات منه ولا نعلم على أى نهج صنع جامعة فى ترتيب شعره [٣] .

على أن ليس من السهل تقسيم الشعر العربى الى أبواب شاملة تستوعب جميع ما جادت به قرائح الشعراء لأنها تختلف باختلاف العصور و باختلاف شخصيات الشعراء

وبعض العلماء والنقاد يدخل بعض هذه الفنون فى بعض ، فقدامة يرجع فى نقد الشعر الرثاء إلى المدح ويرى أن لا فرق بينهما إلا فى اللفظ دون المعنى [٤] وإن كان هذا لم يحل بينه وبين أن يجعل أغراض الشعر ستة : المديح والهجاء والرثاء والتشبيه والوصف والنسيب .

ثم جاء البارودى فى العصر الحديث فسار قريبا من نهج أبى تمام فى تقسيم الشعر الى فنونه المختلفة وهى عنده سبعة : الادب . والمديح . والرثاء . والصفات والنسيب . والهجاء والزهد .

هذا وأدباء الغرب يجعلون أبواب الشعر عامة ثلاثة : الشعر القصصى أو شعر الملاحم ، والشعر الغنائى أو الانشادى ، والشعر التمثيلى أو المسرحى .

---

(١) جمعه الصولى ورتبه على الحروف وجمعه على بن حمزة الاصفهانى ورتبه على الانواع (٣٨٣ / ١ كشف الظنون) (٢) جمعه الصولى ورتبه على الحروف وجمعه على بن حمزة الاصفهانى ورتبه على الانواع (٣٧٨ / ١ كشف الظنون)

(٣) عمل شعره ورتبه على الحروف الصولى وجمعه أبو الطيب ورواق ابن عبدون من جميع النسخ فزاد فيه نحو ألف بيت وابن سينا انتخبه وشرح مشكلات شعره (٣٨٢ / ١ كشف)

(٤) ٦١ نقد الشعر

وهذه الأقسام الثلاثة قد ظهرت للمرة الأولى فى الأدب اليونانى ثم أخذ الرومان يقلدون اليونان فى فنونهم وسار الأدب اللاتينى فى الطريق التى سار فيها الادب اليونانى، وفى عهد النهضة أخذ الاوربيون يدرسون الاصول اليونانية فتأثرت بها آدابهم تأثرا مباشرا، وبنى الشعر الأوربى الحديث على الاصول اليونانية اللاتينية من حيث الاقسام الثلاثة المعروفة [١] ، والعرب مع اطلاعهم على علوم اليونان وفلسفتهم لم يهتموا بالانتاج الادبى اليونانى فلم يصل فن التمثيل الى البلاد العربية إلا فى العصر الحديث عن طريق الغربيين ، كذلك لم ينشىء شعراء العربية قصصا منظومة كالالياذة [٢] ؛ والشعر العربى الذى بأيدينا اليوم كلمة من الشعر الغنائى [٣] .

وبعد فانى أرى أن يقسم الشعر الى أقسام يكون من أهمها .

١ — الشعر الوجدانى وهو الذى يصف عواطف النفس ومشاعرها وآمالها وآلامها وأحزانها ومسراتها وحبها ولهوها .

٢ — الشعر الاجتماعى وهو الذى يحدثك عن المجتمع وحالته والبيئة والمؤثرات فيها والشخصيات وأثرها الأجتماعى فى حياة المجموعة العامة .

٣ — الشعر السياسى ويتناول وصف الحياة السياسية وأحداثها والرجال الذين بيدهم زمام الامور فى الدولة ممن تربطهم بالشاعر صلات خاصة أو عامة :

٤ — شعر الآداب والحكم والاخلاق .

٥ — الشعر الفنى ، هو الذى يصور الحياة و مظاهر الطبيعة والاحياء ويرسم لك صورا فنية لكل ما فى الوجود من كائنات .

هذا وقد نظم ابن المعتز فى كثير من فنون الشعر وأغراضه التى تلائم حياته

---

(١) ٢٥٨ التوجيه الأدبى

(٢) ٢٢٠ المرجع . ويمكننا اعتبار أرجوزة ابن المعتز فى المعتضد وتاريخه من شعر الملاحم والقصص

(٣) ٢٢١ التوجيه

وبيئته ونفسيته وشخصيته ، فافتخر وتغزل ، ومدح وهجاء ورثى ، ونظم فى العتاب والخمريات والطرد والأوصاف والزهد مما ينطق به ديوانه ، ومما سنأخذ فى الـكلام عليه .

— ٢ —

الشعر الوجـــدانى فى فن ابن المعتز : —

ونقصد به ما يترجم عن عواطف الشاعر وشعوره وآماله وآلامه ؛ وما يختلج فى صـدره من سرور وحزن وأمل ويأس ، وما يفيض به قلبه من حب وحنين وهوى ولذة وتفاؤل وتشاؤم بالحياة . فهو يطلق على الأشعار التى ليست من الشعر القصصى ولا التمثيلى والتى يعبر فيها الشاعر عن خواطره وآرائه وتأملاته ومشاعره

وهذا الفن فى تراث ابن المعتز الأدبى يشمل كثيرا من باب الفخر كما يتناول باب الغزل كله وآثارا قليلة من شتى أبواب الشعر فى ديوانه مما صور فيه الشاعر أمانيه ولذاته ونفسه وأخلاقه وأهـدافه فى الحياة ، وسنفيض فى تحليله ذلك كله

الغزل والحب فى شعر ابن المعـتز (١) :

١ — الغزل فن من فنون الشعر الأولى ، وقل أن يخلو منه شعر شاعر من

---

(١) النغزل والتنسيب والتشبيب بمعنى واحد . وأما الغزل فهو إلف النساء والتخلق بما يوافقهن وليس فيما ذكرته فى شىء وقد نبه على ذلك قدامة فى نقد الشعر (١١١ / ٢ العمدة) ؛ كالغزل التصابى والاستهتار بمودات النساء (٧٣ نقد الشعر) وإن لم يتعلق القائل منهم بهوى أو صبابة (١١٠ الأدب العربى وتاريخه فى العصر الجاهلى لمحمد هاشم) ؛ والنسيب ذكر خلق النساء وأخلاقهن وتصرف أحوال الهوى به معهن (٧٣ نقد الشعر) فهو أثر الحب وتبريح الصبابة (١١٠ محمد هاشم) ؛ والتشبيب يجوز أن يكون من ذكر الشبيبة وأصله من الارتفاع ويجوز أن يكون من الجلاء يقال شب الخمار وجه الجارية إذا جلاها ووصف ماتحته من محاسنه (٢٢١ / ٢ العمدة) وهو ما يقصد إليه الشاعر من ذكر المرأة فى مطالع الكلام وما يضاف الى ذلك من ذكر الرسوم والاطلال (١١٠ محمد هاشم)

وفى رأيى أن الغزل والنسيب والتشبيب ثلاثتها بمعنى واحد هو وصف الجمال والحب وأثرهما فى النفوس وتصوير عواطف الشاعر أمامهما وآماله وآلامه التى يتناسمها فى سبيلهما ، ويسير على ذلك الرأى الاستاذ محمود مصطفى (٢٧٥ الادب العربى فى العصر الاسلامى)

الغزلين والمقلدين على السواء ، حتى لقد كان ابن المولى . وهو من مخضرمي الدولتين يشبب بمحبوبته ليلى ، فلما سئل عنها قال : امرأتى طالق إن كانت الاقوسى هذه سميتها ليلى لأذكرها فى شعرى [1] .

وقد بدئت بالغزل أكثر القصائد فى الجاهلية والاسلام ، ولم يشذ عن ذلك إلا القليل ، كعمرو بن كلثوم فى معلقته التى بدأها بوصف الراح ؛ وكأبى نواس الذى دعا الى افتتاح القصائد بذكر الراح .

صفة الطلول بلاغة القدم　　فاجعل صفاتك لابنة الكرم

وتبعه فى ذلك ابن المعتز فقال :

أف من وصف فنزل　　بعكاظ فحومل
غير الريح رسمه　　بجنوب وشمأل

شهر امرؤ القيس فى العصر الجاهلى بغزله واستهتاره ودبيبه . وفى العصر الأموى عاش شعراء وقفوا حياتهم وشعرهم على الغزل وحده ؛ فهم موكلون بالجمال يتبعونه ويصفونه ويتغزلون به ؛ كعمر (٢٣ — ٩٣) وجميل وقيس بن ذريح وسواهم . وفى العصر العباسى اشتهر بشار بالغزل ، وكذلك العباس بن الاحنف [2] ولحمدان بن أبان اللاحقى قصيدة طويله فى وصف الحب [3] ، وكان البحترى أرق الناس نسيبا وأملحهم طريقة لاسيما إن ذكر الطيف وهو الباب الذى اشتهر به ؛

---

(١) ٨٨ / ٣ الاغانى ، ٤١١ معجم الشعراء

(٢) قصر شعره على الغزل من بين فنون الشعر (١١٧/٣ الرافعى) . وكان شاعرا ظريفا مفوها منطيقا مطبوعا وكان صاحب غزل ، رقيق الشعر ولم يكن يمدح ولايهجو انما كان شعره كله فى الغزل والوصف (١١٩ طبقات ابن المعتز) ويشبه بابن أبى ربيعة (١١٩ المرجع ، ٨٣ / ٤ زهر ، ٣٣٥ الشعر والشعراء ، ٦٧ / ١ العمدة) وكان شاعرا مجيدا غزلا (٩٢ خاص الخاص) وأشاد به بشار وابو نواس والعلاف (٨٣ / ٤ زهر) ، وهو من أوائل الشعراء المجيدين (٦٧ المثل السائر) ونوه دعبل بقوله : هى الشمس مسكنها فى السماء (٢٦٩ / ١ ديوان المعانى

(٣) ٥٧ — ٦٢ الاوراق قسم شعار اولاد الخلفاء

ولم يكن لأبى تمام حلاوة توجب له حسن التغزل وانما يقع له من ذلك التافه اليسير فى خلال القصائد [١]

وأسلوب الغزل يمتاز بجماله وسلاسته وعذوبته مما لا يصلح شيء منه فى مواقف الجد وأوصاف الحرب وان كان المتنبي يستعمل ألفاظ النسيب والغزل فى ذلك وهو مما لم يسبق اليه وتفرد به [٢] ؛ ويشيع فيه التهالك وإظهار الصبابة .

٢ — ولابن المعتز مجال كبير فى الغزل ، والغزل فى شعره فن تسرى الجودة والحياة والدماثة والرقة والعذوبة فى أعطافه ، وهو فيه مجيد صاحب طبع مطبوع وملكة موهوبة ؛ ولا بدع فى ذلك فقد أفعمت نفسه بألوان الجمال ، وأشربت حبه ، وغذيت بمتعه وصباباته ولهوه ولذاذاته ؛ وكان لطيف الحس رقيق العاطفة ملتهب الاحساس والشعور يسق شبابه الظامىء من ينبوع الحب المتفجر ، ويجد من بيئته وعصره حرية تسمح له بالهيام بالجمال والتبتل فى معابد السحر والفتنة فشدا بألحانه الساحره أناشيد ناطقة بما فى نفسه وعواطفه من حب ووفاء وما امتزج بروحه وسرى فى دمه من هيام وشغف بألوان الجمال . وفن ابن المعتز فى الغزل يقف بجانب فن امرىء القيس وابن أبى ربيعة والعباس ابن الاحنف وسواهم من المجيدين فى هذا الباب .

ويقول الصولى: «وهو متقدم فى الغزل لأن الشعراء الذين أحسنوا فى الغزل حتى تفردوا به وكان الغزل قطعة من شعرهم قليلون وخاصة من عمل فى المذكر والمؤنث ، وهو أول من حصل هذا وجعله فنين ، وأضاف إليه فنا ثالثا سماه مجونا وكثره حتى تقدم فيه من سبقه وتبعه الناس » [٣]

٣ — وتغزل ابن المعتز كثيراً بشريرة وهى جارية كان يحبها ويهيم بها وله معها أخبار [٤] ويجد فى تحريف اسمها لذة وجمالا ، فيقول :

---

(١) ٢/١١٣ العمدة

(٢) ١/١٦٤ اليتيمة

(٣) ١١٤ الاوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء

(٤) ٩/١٤٢ الاغانى

عصيت فى شر فما أنساها

ويقول :

ما رأينا لشرير قط فى الناس شبيها

ويقول :

وقلت تعالى يا شريرة نمتزج كمثل امتزاج الماء والخمر نصفين

كما تغزل بهند :

يا هند حسبك من مصارمتى لا تحكمى فى الحب بالظن

وببثنى :

فدع ذكر بثنى قد مضى ليس راجعا فذلك دهر قد تولى وذا دهر

وبأسماء : ألا انتظرونى ساعة عند أسماء .

وبسلمى :

آل سلمى غضاب فلماذا على ما ؟

ولعلها سليمى التى يقول فيها وذكر الريح :

هل أصابت بعدنا من سليمى منزلا

وبأم مالك :

وقلت لأصحابى انظروا هل بدا لكم ضمير بلاد غيبت أم مالك

وبعباس ـ ولعله تصغير ترخيم لعباسة ـ :

عباس لا تستعجلى لمنيتى .

وبالياسرية : والياسرية موسم العشاق .

وهذه الأسماء كلها ما عدا شريرة لا نعرف عنها شيئا ، ولعلها أسماء مستعارة كما يقول ابن المعتز :

قالت تبدلت أخرى قلت أفديك من كل سوء ومكروه وأحميك

قالت وسميتها فى الشعر قلت لها سميت غيرك لكن كنت أعنيك

ويقول ابن المعتز :

ما تبدلت ما حييت ولا حد ... ثت نفسي من بعد حبي بحب

ولكنه بعد أن أكد إخلاصه لحبيبه ينقض ذلك فى قوله :

ألم تكن قد منيتي أيها القلب ... إذا فارقت شرا فانك لا تصبو

فقال ظننت الحب يغلبه الفتى ... هو الموت لكن قيل لى إنه الحب

وهو مع ذلك يتغزل بكثير من الغلمان ولعلهم من سقاة الراح .

ومنهم أحمد ويعقوب ويوسف ويحي ومكتوم وهم الذين ذكرهم فى شعره ، وقد كان لابن المعتز إجادة ذائعة فى الغزل بنوعيه : المؤنث والمذكر ، أو حب المرأة وحب الجمال فى الغلمان .

٤ — وفن ابن المعتز فى الغزل قسمان : فن تقليدى ، وفن جديد يتصل بنفسه وأعماق عواطفه ومشاعره ، ويأتى فيه بكل رائع مبتكر .

ا — فهو فى غزله التقليدى ينهج نهج القدامى فى مذاهبهم وأساليبهم ، فيقول :

لما ظننت فراقهم لم أرقد ... وهلكت إن صح التظنن أوقد

ما أسرع التفريق إن عزموا غدا ... لا شك أن غدا قريب الموعد

الخ مما تأثر فيه تأثرا واضحا بدالية النابغة « من آل مية رائح أو مغتدى » .

ويقول :

بان الخليط ولم تطق صبرا ... ووجدت طعم فراقهم مرا

وكأنما الأمطار بعدهم ... كست الطلول غلائلا خضرا

هل تذكرين وأنت ذاكرة ... مشى الرسول إليكم سرا

إن يغفلوا يسرع لحاجته ... وإذا رأوه أحسن العذرا

فطن يؤدى ما يقال له ... ويزيد بعض حديثنا سحرا

قالت لأتراب خلون بها ... وبكت فبلل دمعها النحرا

ما باله قطع الوصال ولم ... يسمح زيارة بيتنا شهرا

حتى طرقت على مخـــاطرة ⠀⠀ أطأ الصوارم والقنـا السحرا
ياليـــلة ما كانـــ أقصرها ⠀⠀ لا زلت أشكو بعدها الدهرا

فتجد روح ابن أبي ربيعة في الغزل والحوار ، والتهالك من المرأة على حبه ، وان كان ذلك مما يذمه التماد في فن الغزل ، فالعادة عند العرب أن الشاعر هو المتغازل المتماوت (١) « وانما توصف المرأة بالحياء (٢) » ولكنك مع ذلك تجد في القطعة جمالا لا يعد له جمال في وصف الرسول .

ويقول :

لا تلوموني على حب هند ⠀⠀ سحرتني انما الحب سحر
تلمع الأسياف من دون هند ⠀⠀ ولهـا عنـــدي هوى مستمر
غصن بان قد مضت بعد عشر ⠀⠀ أربع حتى استوى وهو بدر

فتجده يمزج حلاوة المحدثين بروح البداوة في الغزل

ب — وأما فن ابن المعتز الجديد في الغزل فهو ما نظمه بعيداً عن روح التقليد وساير فيه عواطفه وحياته ولذاته فأتى فيـــه بكل معنى طريف وبكل مبتكر جديد .

وإن شئت فاقرأ قصيدته :

يا غزال الوادي بنفسي آنتـا ⠀⠀ لا كما بت ليـلة الهجر بتـا

واقرأ قوله :

تعاهدتك العهاد يا طلـل ⠀⠀ حدث عن الطاعنين ما فعلوا
فقال لم أدر غـير أنهم ⠀⠀ صاح غراب بالبين فاحتملوا
فلا تحليت بالرياض ولا ⠀⠀ الور ومغناى منهم عطـل
على هذا فما عليك لهم ⠀⠀ قلت زفير ودمعـة همـل

---

(١) ١١٨ / ٢ العمدة

(٢) ٤٠٢ ديوان ابن أبي ربيعة والنقاد كثيرا ما نقدوا ابن أبي ربيعة وصفه لتهالك المرأة على حبه (١١١ / ٢ عمدة ، ٢٥٢ ديوان ابن أبي ربيعة)

وأنى مقفل الضمائر من حب سواهم ما حنت الابل
فقال هلا تبعتهم أبدا إن نزلوا منزلا وإن رحلوا
هيهات أن المحب ليس له هم بغير الهوى ولا شغل
تركت أيدى النوى تعودهم وجئت عن حديثهم تسل !!
فقلت للركب لا قرار لنا من دون سلمى وإن أبى العذل
حتى تبدى فى الفجر ظعنهم وسائق الصبح بالدجى عجل
فلم يكن بيننا سوى اللحظ والدمع كلام لنا ولا رسل

فسيبهرك رقة الأسلوب وجمال الحوار المبتكر وسحر المعانى ولطفها مما يسمو بفن ابن المعتز فى الغزل الى منازل الملهمين العبقريين من الشعراء .

الى غير ذلك من رائع غزله وبديع صبابته التى يبثها فى شعره وتملؤك روعة وسحرا وجمالا .

ولابن المعتز فى الغزل قصيدة مشهورة مطلعها :

بخلا بهذا الدمع لست أراك وإذا سلا أحد فلست كذاك[١]

وهى قصيدة تغلب عليها مسحة التقليد واحتذاها شوقى فى كافيته المشهورة .

٥ — وبعد فغزل ابن المعتز ساحر رائع كثير متعدد الألوان ، فلقد بكى الديار كما بكى الأحباب وتحدث عن عواطف الحب كما تحدث عن سحر الجمال ، ووصف ليالى الهجر كما وصف ليالى الوصال ، وترنم بالشعر يصف به مجالس الأنس كما تبتل به فى هياكل الهوى ومعابد الجمال . ووصف عواطف المرأة ومشاعرها والرجل ووجداناته ، والرسل وساعات اللقاء ومواقف الوداع ، ولم يترك معنى من معانى الحب والغزل الا قال فيه ؛ ولابن المعتز فى الطيف كثير من الأبيات ، قال :

---

(١) راجعها فى ديوانه ، ٢٧٧ الاوراق ، ١٠ / ٢ ديوان المعانى ، ٢٢٨ / ١ زهر فى روايات يكمل بعضها بعضا

أبصرته في المنام معتـــذرا الى مما جنـــاه يقظانا
ولان حتى اذا هممت به نبهت عنـد الصباح ، لا كانا

والبيت الاول شبيه بقول البحترى :

هجرتنـا يقظى وكادت على عا داتهـا فى الصـدود تهجر وسنى (١)

وهو من قول قيس بن الخطيم :

ما تمنعي يقظى فقـد تؤتينه فى النوم غير مصرد محسوب

وقال ابن المعتز :

بعث الخيـــال الى وامتنعا ريم مضت نفسى له تبعـــا
ما زال طول الليل مرتحلا يلق المتيم كلـــا هجعـا

وقال وهو من أجود ما قيل فى الخيال :

لا فرج الله عن عيني برؤيتـه ان كنت أبصرت شيئاً بعده حسنا
ألا خيالا عسى أن نمت يطرقنى وكيف يحلم من لا يعرف الوسنا

ويمتاز غزله مع ذلك بالجمال والعذوبة والرقة غالبا ؛ وبأنه ينبع من قلب عاش فى ملذات الحياة والشباب ،وبأنه صورة واضحة لكثير من المشاعر الانسانية مما يدل على أن الشاعر ذاق الجمال وعرفه ونفـذ الى اسرار الحب وأعماق العاطفة ؛ فيقول :

ما المـــوت الا الهجـر أو كالهجـر

ويقول :

---

(١) نقد الآمدى بيت البحترى وقال انه غلط لان خيالها يتمثل له فى كل أحوالها يقظى كانت أو وسنى والجيد قوله : « نعذب أيقاظا وننعم هجدا » (١٦١ موازنة) ؛ وقول قيس من أجود ما قيل فى الخيال (٢٧٦ / ١ ديوان المعانى) ، ومثله قول عمرو بن قميئة :

خيال يخيل لى نيلها ولو قدرت لم تخيل نوالا

ومنهما أخذ المحدثون أكثر معانيهم فى الخيال (٢٧٧ / ١ ديوان المعانى) . ولاشتهاره به قيل خيال البحترى (١٢٥ / ٣ زهر) ، وراجع فى ذلك ٩٩ ديوان الصبابة و ٢١٣ / ٢ العمدة و ٦ - ٩ / ٢ امالى المرتضى

ويح المحبين ما أشقى جدودهم   ان المحبين أحياء كأموات (١)

ويقول : كذب الهوى متصنع   الحب شيء لايطاق

« : لقد ذل فى الدنيا المحب وعذبا

« : فما الحب الا أنة وبكاء

ويلتهم الحسن التهاما فى ذوى الجمال ويرحم القبح فى ذوى الدمامة :

قلبى وثاب الى ذا وذا   ليس يرى شيئا فيأباه

يهيم بالحسن كما ينبغى   ويرحم القبح فيهواه

ويملأ قلبه الحب والحبيب :

قلبى بكفيك فانظر   هل فيه خلق سواكا

ويمتاز أيضاً غزل الشاعر بكثرة القصص والحوار وبامتلائه بكثير من الابيات الفنية الجميلة والخيالات المبتكرة والمعانى الطريفة، فوق مافيه أيضا من صدق عاطفة وقوة شعور ودقة واحساس وحسن تذوق للجمال ، والغزل على أى حال أحد الفنون التى تفوق فيها ابن المعتز ، ووقف فيها فى الصف الاول مع أمراء النسيب فى الشعر العربى :

٦ — ومع ذلك كله فقد أخطأ ابن المعتز فى بعض معانيه فى الغزل فهو القائل:

فان اردت وصالا فاقبلى صلتى   والا فهجران بهجران

وهو أسلوب بعيد عن الغزل وليس منه فى شيء . ويقول :

تقول : من ذا لست أعرفه   يالصة القلب جئت أطلبه

وهو أسلوب قريب من الهجاء . ويقول

نؤم كعبة حسن خالها حجر   فى الخد أسوده فى أبيض يقق

ففيه تكلف كثير ما كان أغناه عنه ، ويقول :

---

(١) هو من قول العباس بن الاصنف :

ويح المحبين ماأشقى جدودهم   ان كان مثل الذى بى بالمحبينا

و: جاء بجيش الحسن فى عديده وعدئه
فقوسه وسهمه وسيفه فى لحظته الخ

فلست أستحسن تصويره لمحبوبه هذا التصوير الذى أظهره فيه فارسا محاربا وكان الأول أن يجعله غزالا نافرا أو ظبيا شاردا أو ما شاكل ذلك من معانى الغزل .

الشباب والمشيب فى شعر ابن المعتز :

ومن أولى من ابن المعتز بوصف شبابه الناضر وأيام صباه الجميلة وذكريات ربيع حياته المشرق .

ثم من أولى منه بوصف مشيبه الذى قطعه عن ثمر اللهو ومرح الشباب وأثار فى نفسه ذكريات ملؤها الحزن على عهود شبابه الساحرة .

اسمع اليه يصور الشباب وجماله ولذاته والمشيب وآلامه وأسقامه وهمومه :

واها لأيام الصبا   محيت من الأيام محوا
أزمان أبلغ فى المنى   أقطارها مرحا ولهوا
أيام تغفر زلتى   ويظن عمدالذنب سهوا
من كل عيش قد أصبت   لذيذه وسلكت نحوا
سل المشيب سيوفه   فسطا على اللذات سطوا

ويقول يذكر فضل المشيب :

وسع الشيب النهى   فأصاب منزلا
ما على الناصح أن   ينتهى من جهلا
غير أن حذره   وأراه السبلا

ويحاول أن يقنع شرير بفضل المشيب فيقول :

صدت شرير وأزمعت هجرى   وصغت ضمائرها إلى الغدر

قالت كبرت وشبت قلت لها　　هـذا غبـار وقائع الدهر

ويقول لهذا :

أنكرت هند مشيبي وولت　　بدموع فى الرداء سجوم
فاعذرى يا هند شيبى بهمى　　إن شيب الرأس نور الهموم

ولكن يعود فيضجر بمشيبه :

قل لمشيبي قد بدا　　فابيض منى المفرق
يا فضة حليتها　　لكنها لا تتفق
لا مرحبا لا مرحبا　　أنت العدو الأزرق

ويقول :

نور الرؤوس واللحى　　وظلمة القلوب

ويقول :

لهفى على دهر الصبا القصير　　وسكره وذنبه المغفور

ويقول فى ظرف :

وإذا أردت تصابيا فى مجلس　　فالشيب يضحك بى مع الأحباب

ويقول :

لقد ابغضت نفسى فى مشيبي　　فكيف تحبنى الخود الكعاب

وهكذا نعم ابن المعتز بالشباب ثم فارقه وحل به المشيب فسخط عليه وأنكره ثم صافحه وهادنه ثم رضى عنه واحتج له وأخذ يتحايل على بيان فضله حتى وافاه أجله المحتوم.

الفخر فى شعر ابن المعتز :

١ — يرى ابن رشيق أن الفخر هو المديح نفسه ؛ ولكن الشاعر يخص

نفسه وقومه [١] ، ويراه أديب محدث تاريخا لفضيلة الفرد والجماعة [٢] وفى الحق أن الفخر إشادة الشاعر بنفسه أو قومه وتنويهه بأدبه أو حسبه ، ولا يدعو إليه عاطفة الاثرة والأنانية فى كل وقت بل قد يكون الشاعر مضطرا لأن يساجل خصومه ويسجل على أعدائه ما خفى عنهم من صفاته وآدابه ، أو ما جحدوه من مآثره وفضائله ، وليس من شك فى أن حب النفس عاطفة من العواطف ، وأن الشعر مجال للعواطف الشخصية والانسانية جميعا ، والذى نطالب به الشاعر حين يفتخر هو الصدق والتجرد عن مظاهر الكبرياء وتمثيل الحقائق الواقعة التى لاتركن الى الخيال بل الى الواقع نفسه فى تصورها وتصويرها .

٢ — ولابن المعتز من بين المحدثين مجال كبير فى الفخر ، وشعره فيه لايدانيه شعر شاعر منهم ، ويشيد بفخره الأدباء والنقاد جميعا ، فيذكره ابن شرف منوها بافتخاراته الملكية وهماته العلوية [٣] ويقول الباقلانى : وتجد لابن المعتز فى مواقع شعره من القلب فى الفخر وغيره ما لا تجد لغيره لأنه اذا قال :

إذا شئت أوقرت البلاد حوافرا ... وسارت ورائى هاشم ونزار

أو قال :

قد ترديت بالمكارم دهرا ... وكفتنى نفسى من الافتخار
أنا جيش إذا غدوت وحيدا ... ووحيد فى الجحفل الجرار

أو قال :

أيها السائلى عن الحسب الأ ... طيب ما فوقه لخلق مزيد
نحن آل الرسول والعترة ... الحق وأهل القرى فماذا تريد
ولنا ما أضاء صبح عليه ... وأتته رايات ليل سود

ويقول من قصيدة له :

---

(١) ١٣٦ /٢ العمدة
(٢) ٩٩ /٣ الرافعى
(٣) ٢٤٩ رسائل البلغاء

وأسهر للمجد والمكرمات إذا اكتحلت أعين بالكرى

فانظر فى هذه القصيدة كلها ، ثم فى جميع شعره تعلم أنه ملك الشعر ، وأنه يليق به من الفخر خاصة ؛ ثم مما يتبعه مما يتعاطاه ما لا يليق بغيره بل ينفر عن سواه (١) .

٣ — ترجع أسباب اجادة ابن المعتز فى هذا الفن الى مجده فى نسبه ومجده فى أدبه ؛ والى شعوره بهذا وذاك ؛ والى اعتزازه بشخصيته وتقديره لها ، والى رغبته فى اظهار فضائله أمام خصومه وحساده ، فضلا عن ملكته القادرة وشاعريته الصناع .

ومن الحق أن ابن المعتز كان له من جلال المحتد وعظمة الشخصية ومجد الأدب والخلق ما تكاد شاعريته تضيق عنه وتعجز عن تقديره .

٤ — يشيد ابن المعتز بأسرته ويفتخر بفضائله فيقول :

حسبي مكانى من أسرة كرمت من فخرها أحمد وجبريل

ويقول :

ونسب صحيح ينطق عنى جهرا

ويقول فى فخر بليغ وأسلوب ساحر وتعريض بخصومه :

خليلى إن الدهر ما تريانه فصبرا وإلا أى شيء سوى الصبر
سألتكما بالله ماتعلمانني ولا تكتما شيئا فعندكما خبرى
أأرفع نيران القرى لعفاتها وأضرب يوم الروع فى ثغرة الثغر
وأسأل نيلا لا يجاد بمثله فيفتحه بشرى ويختمه عذرى
ويارب يوم لا توارى نجومه مددت الى المظلوم فيه يد النصر
فسبحان ربى مالقوم أرى لهم كوامن أضغان عقاربها تسرى
إذا ما اجتمعنا فى الندى تضاءلوا كما خفيت مرضى الكواكب فى الفجر

---

(١) ٢٠٩ و ٢١٠ إعجاز القرآن

تمتى الى عم النبى خلائف علوا فوق أفلاك الكواكب والبدر

ويقول :

جل امرؤ منفردا وجلا في زمن لم ير فيه مثلا
قد أكل الحمد تلادى أكلا والعضب لا يثنيه أن يفلا

والبيت الأول من قول البحترى :

قد طلبنا فلم نجد لك فى السؤ دد والمجد والمكارم مثلا

وأخذه المتنبي فقال :

وما عز فيها مراد أراده وإن عز إلا أن يكون له مثل

الى غير ذلك من روائع فخره الممتلئة قوة وروعة وسحرا وطلاوة والتى تحتل مكانتها فى باب الفخر فى الشعر العربى ، وحسبها ما تمتاز به من تدفق المعانى واضطرام العاطفة وقوة الأسلوب وجزالته وصدق العاطفة وحرارتها .

- ٣ -

الشعر الاجتماعى فى أدب ابن المعتز

ونقصد بالشعر الاجتماعى هذه الآثار الأدبية التى تتناول المجتمع وحياته بالشرح والتحليل ، وتصور الشخصيات الواضحة فيه وأثرهم فى الحياة وفى نفس الشاعر على الخصوص .

ويتناول ذلك بعض شعر ابن المعتز فى المديح والتهنئة كما يتناول أبواب الهجاء والعتاب والرثاء .

ا — فلابن المعتز قصائد كثيرة من باب المديح ، كقصيدته « سلمت أمير المؤمنين على الدهر » فى تهنئة الخليفة المعتضد بقصر الثريا ، وكأبياته وهو معتقل إلى أستاذه ثعلب يتشوقه :

إنا على البعـــاد والتفرق   لنلتقى بالذكر إن لم نلتـقى

وكأبياته فى أبى الحسين بن ثوابه :

انى رزقت من الأخوان جوهرة   ما ان لها قيمة عندى ولا ثمن

وكغير ذلك من آثار شعره الاجتماعى الكثيرة فى باب المديح

ب ـــ وكذلك من الهجاء كثير من الآثار الاجتماعية فى شعر ابن المعتز مما تناول فيها اخوانه راصدقاءه وبعض رجال المجتمع بالذم والنقد أوالتهكم والسخرية وعلى أى حال ففن ابن المعتز فى الهجاء لاخطر له ، وليس له قيمة فنية خاصة فى شعر ابن المعتز لأنه لم يخلق لمثل هذا الفن الذى يجيده الخطيئة وجرير وبشار ودعبل وابن الرومى وابن بسام مثلا ، ولعل أجود معانيه فى الهجاء قوله :

وأبليت آمالى بوصـل يكدها   ولست بذى ضر ولست بذى نفع

لئيم اذا جاء اللئـام تخلقـا   يحب سؤال القوم شوقا الى المنع

وقوله فى سخرية رائعة :

خلقت لا شـك عندى   من فضـل طينـة قرد

ويقول :

ضحك المشرفات فى يوم عيـد   اذا رأوا جعفراً يحث العنـانا

قلن لمـا رأينـــه حالـكا   أسود جعـــداً يناسب السودانا

ليت هذا لنا فنعمل من   جلدته فى وجوهنا خيلانا

حـ ـــ والعتاب فى شعر ابن المعتز ، فيه ناحية سياسية كعتابه العلويين ، وناحية اجتماعية وهى الغالبة عليه كعتابه اخوانه وأصدقاءه وأهل بيته وحساده وغيرهم ، مما يجيد فيه ابن المعتز إجادة بالغة ، ومما سنتناوله بالتحليل فى باب الاخوانيات ؛ ومن أولى من ابن المعتز بالاجادة فى العتاب وهو الرقيق الاحساس النبيـل الخلق المهذب النفس ، والذى شاهد من أحـداث الزمن وتقلب الاخوان ما لم يشاهده سواه ، والذى عاصر البحترى « شيخ الصناعة وسيد الجماعة وأحسن الناس طريقا

في عتاب الاشراف [١] » ، وعاصر ابن الرومى الذى كان له آثار ممتـــازة فى الهجاء [٢] .

شعر الاخوانيات عند ابن المعتز : —

ولابن المعتز فى باب الاخوانيات شعر كثير جيد ، تتناول فيه الصداقة ، وما فى طبيعة الأخوان من تقلب ووفاء ، وشكا الحسد والحساد ، وآلامه الـكثيرة وضجره بالمجتمع الذى يعيش فيه ، إلى ما سوى ذلك من معانيه الجيدة فى هـذا الفن الحافل بالجودة والطبع والروح والأبداع والحـكمة ، ولا عجب فابن المعتز فى إخوانياته شاعر ينطق عن شعور ، ويسترسل مع الطبع ، ويسير مع أخـلاقه الواضحة ، وعاطفته ووجدانه الرقيق ، وهو وفى حامد لمن رعى عهود الصداقة .

يقول يصف الأخوان وطبيعة الناس فى عصره :

وأفردنى مـن الأخـوان علمى ... بهم فبقيت مهجور النواحى
إذا قـــل مالى قـــل مدحى ... وان أثريت عادوا فى امتداحى

ويقول :

خـــلد الغـــدر ولم يبق وفاء ... ليس الا كاذب العهـد قطوع
كلهم أعمى اذا ما كان خـــير ... ولدى الشر بصير وسميع

ويقول فى صديقه النميرى :

جفانى النميرى فيمن جفا ... وما كان إلا كمن قـــد سرى
وما لى منه سوى الأعتذار ... نصيب وسـائره للعـدى
بأى سلاح تلاقى العـــدو ... وسيفك فى كفه منتضى

---

(١) ١٥٢ /٢ عمده

(٢) كقصيدته فى عتاب أبى القاسم الشطرنجى :

يا أخي أين عهد ذاك اللقاء
أين ما كان بيننا من صفاء

وما جمع الله حب امرىء　　وحبك أعـداءه فى حشا

ويقول :

بلوت أخـلاء هـذا الزمان　　فأقللت بالهجر منهم نصيبى
وكلهم إن تصفحتهم　　صديق العيان عـدو المغيب

ويقول ..

خلقت فى شر عصبة خلقت　　أثكلنيها رب السموات
كلاب حى إذا حضرت فان　　غبت فواقا فأسـد غابات
يلقون دا الفقر القطـوب　　وذا الوفـر بلبيك والتحيـات

ويقول .

كان لنا صاحب زمانا　　فحال عن وده وخانا
تاه علينا فتاه منا　　فـلا نراه ولا يرانا

ويقول .

نبئت أن قومى　　قد دفنوا لى مكرا
طال عليهم عمرى　　فاستعجلوا لى القبرا
هل للاغر ذنب　　ان لم يكونوا غرا

ويقول فى الحسد والحساد .

كم حاسـد حنق على بلا　　جـرم فلم يضررنى الحنق
متضاحك نحـوى كما ضحكت　　نار الذبالة وهى تحـترق

ويقول .

يامن عانى حسده　　يقيمـه ويقعـده
سهرت ليلا أرقده　　حظرا الحسود كمدة

ويقول .

اصـبر على مضض الحسود　　فان صـبرك قاتـله
فالنـار تأكل بعضها　　ان لم تجـد ما تأكله

ويقول فى طلب العفو وهو فى نهاية الحسن والروعة .

سيدى قد عثرت خذ بيدى ولا تدعنى ولا تقل تعسا
واعف فان عدت فاعف ثانية فقد يداوى الطبيب من نكسا

إلى غير ذلك من شتى معانيه الجيدة وأساليبه الساحرة فى هذا الباب .

الرثاء فى شعر ابن المعتز .

الرثاء من أهم موضوعات الشعر العربى ، واشتهر بالأجادة فيه أوس [١] والأعشى وأبو زبيد الطائى ولبيد م ٤١ ه : ومتمم بن نويرة وأبو ذؤيب ومالك ابن الريب وكعب بن سعد [٢] ، وانفردت به الخنساء ، ثم اشتهر بعد ذلك حسين ابن مطير والكميت فى مراثيه للعلويين ودعبل فى مرثيته معاهد العلويين ، ثم أبو تمام « وهو من المعدودين فى ذلك » [٣] ، ومثله ديك الجن وهو فى هذا أشهر من حبيب [٣] ، وللبحترى فى الرثاء آيات رائعة ومنها مرثيته فى المتوكل ، وكذلك ابن الرومى كما فى مرثيته لولديه « بكاؤكما يشفى وإن كان لا يجدى » .

ولابن المعتز فى الرثاء آثار كثيرة تطالعها فى ديوانه المخطوط وفى شتى كتب الأدب العربى وقد شوه ناشر ديوانه آثاره الأدبية فى الرثاء فلم ينشر منها عشر شعره فى هذا الباب .

كانت حياة ابن المعتز والنكبات التى نزلت به وبأسرته والآلام النفسية التى كانت تملأ صدره تدعوه الى نظم القصائد ، يرثى بها أهله وأسرته وأصدقاءه الذين أخلصوا له المودة ، ويرثى بها كل عزيز عليه مكين عنده من رجالات الدولة وعظمائها . ومراثيه يظهر فيها بوضوح أثر هذه الآلام والنكبات ، ويمتزج ما فيها من حزن بحكم الحياة الاجتماعية وعبرها ومواعظها وبروح الشكوى والأنين ،

(١) ومرثيته : « أيتها النفس أجلى جزعا » عند الاصمعى لم يبتدىء أحد من الشعراء مرثية أحسن من ابتدائها (٣/ ٣٤ الامالى)

(٢) وقالوا ليس للعرب مرثية أجود من بائيته فى أخيه أبى المغوار (٢/ ١٧٨ ديوان المعانى)

(٣) ٢/١٤١ العمدة

وبعاطفة الوفاء البعيد الذى يشيع فى نفس الشاعر ووجدانه .

فهو يرثى أهله بقصيدته :

أنحى عليك الدهر مقتدراً والدهر ألام غالب ظفرا [١]

ويرثى أباه بقصيدته :

رب حتف بين أثناء الأمل وحياة المرء ظل ينتقل [٢]

ويرثى أبا الحسين بن ثوابة بقصيدته :

ليس شىء لصحة ودوام علب الدهر حيلة الأقوام [٣]

ويرثى المعتضد بقصيدته :

قالت شريرة ما لجفنك ساهرا قلقاً وقد هدأت عيون النوم [٤]

وفى تعزيته للموفق بابنه هارون م ٢٧٠ ﻫ :

يا ناصر الدين اذ هدت قواعده وأصدق الناس فى بؤس وانعام [٥]

تكلف وتقليد وصنعة لأن الشاعر نظمها فى طور التقليد الذى عاش فيه فى أول شبابه قبل أن يبلغ مرحلة الاستقلال فى حياته الفنية . وله قصيدة طويلة يرثى فيها الحسين بن على ومطلعها :

كم قتيل لك فى الطف غالى أرخصته غفلات الموالى [٦]

ويقول فى عبيد الله بن سليمان الوزير م ٢٨٨ ﻫ :

---

(١) ديوان ابن المعتز المخطوط ، ١١٤ /٤ زهر ، ١٣٢ رسائل ابن المعتز ، والقصيدة طويلة جدا

(٢) ديوان ابن المعتز المخطوط ، ١٢٦ رسائل ابن المعتز ، وقد جارى فيها قصائد الرثاء فى الشعر العربى القديم فذكر فى أولها ما ذكره أبو ذؤيب فى عينيته وسواه من الشعراء ؛ من أن الموت لا ينجو منه حيوان ولو كان فى ذرى الجبال ، ويشير إلى ذلك ابن رشيق فى عمدته (١٤٣/٢ العمدة) ، ومن القصيدة :

ونرى القتل بقاء ثانيا ونرى الموت قبيحا بالرجل

إن يكن خضبه أعداؤه بدم فالدم حناء البطل

(٣) ٨٨ /٣ زهر ، ١٣٠ رسائل ابن المعتز

(٤) ١٩٩ /٣ زهر ، ١٣١ رسائل ابن المعتز

(٥) ٢٠٠ /٣ زهر ، ١٣٢ رسائل ابن المعتز

(٦) ديوانه المخطوط

لم تمت أنت إنما مات من لم ... يبق فى المجد والمحامد ذكرا
لست مستسقيا لقبرك غيثا ... كيف يظما وقد تضمن بحرا ؟ (١)

ويقول فى رثاء الموفق م ٢٧٨ هـ .

ألست ترى موت العلا و المحامد ... وكيف دفنا الخالق فى قبر واحد (٢)
وللدهر أيام تسىء عوامدا ... وتحسن ان أحسن غير عوامد

وله قصائد طويلة جيدة فى الرثاء تجدها فى ديوانه المخطوط

وبعد فانتاج ابن المعتز فى الرثاء كثير جيد ، وهو بمراثيه الجيدة وألحانه الحزينة ومعانيه الطريفة وأساليبه التى يشيع فيها الوفاء فى الرثاء لا يصعد على أى حال الى مكانة أبى تمام وابن الرومى فى هذا الباب .

– ٤ –

الشعر السياسى

ونقصد به ما يمس الدولة وسياستها والشخصيات الحاكمة فيها ، وما يوضح أهداف الشاعر السياسية ، وآراءه فى هذه الناحية ؛ وهو يتناول باب المديح والتهنئة فى شعر ابن المعتز وبعض أبواب العتاب والفخر والهجاء .

ولقد كان لابد لابن المعتز – مهما أظهر بعده عن السياسة وانصرافه الى الأدب – أن يتأثر بالحياة السياسية تأثراً خاصاً : وأن يظهر آثار هذا التأثر فى شعره وانتاجه .

---

(١) من قول أبى تمام :

وكيف احتمالى للسحاب صنيعه ... باسقائها قبرا وفى لحده البحر

(٢) من قول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم ... رأيت الناس كلهم غضابا

وقول أبى نواس :

ليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم فى واحد

كان يعيش فى ظروف قاسية حتمت عليه الوفاء للخلفاء الحاكمين من أسرته ، وكثيرا ما كان يندفع بعاطفته كعباسى متحمس الى الاشادة بأعمالهم فى سبيل دعم صرح الخلافة وتوطيد مكانتها كما فعل مع المعتضد ومع وزيره عبيد الله .

وابن المعتز من أسرة الخلافة ؛ وممن تجرى فى عروقه روح الرغبة الصادقة فى أن تكون الخلافة فى حاضرها قوية قوتها فى ماضيها كما كانت فى عهد المنصور والرشيد والمأمون ؛ ولكن حالة الخلافة فى عهده كانت حالة ضعف وانحلال ؛ فكان لا بد له أن يدعو الخلفاء من أهل بيته الى اليقظة والحزم والقوة والى العمل المجدى لاعادة مجد الخلافة الخالد وماضيها التليد ؛ ونازل ابن المعتز بدافع هذه الحماسة جميع الثائرين على الدولة والطامعين فيها من خارجيين وعلويين وقرامطة وسواهم ، فناضلهم نضال الأبطال بلسانه وروائع بيانه ، ثم أحس ابن المعتز بأن موجة من الشعوبية تريد أن تكتسح الدولة وتعمل فى الخفاء لتدبير الدسائس والمكائد لها فخاصمها وحاربها بشدة وعنف لا يخشى فى الحق شيئاً ، وذلك كله هو عناصر شعره السياسى الذى ألم به ونظم فيه .

وتبعا لهذا الرأى الذى آمن به الشاعر ، ولظروف خاصة أخرى ، نظم ابن المعتز قصائده فى المدح وفى كثير من أبواب العتاب والهجاء ؛ مدح الخلفاء وزاد اتصاله بالمعتضد والمكتفى خاصة ، ومدح كثيرا من الوزراء وعلى الأخص عبيد الله بن سليمان وابنه القاسم ، ومدح سواهم من رجالات الدولة وأصدقائه فيها ، وقصائده فى هذا كله إنما هى من صميم شعره السياسى ، فأما أن نعدها مدائح فهذا قد يستساغ إذا فهمنا أن المدح غير التكسب بالشعر وأنه تقدير الرجال والأعمال والأشادة بها فى أشخاص بعض الشخصيات ؛ ذلك أن ابن المعتز لم يقف أمام هؤلاء جميعا موقف المادح ، بل موقف المؤرخ الصادق ، فقدر من أعمالهم ما كان يجب أن يقدره ، ونوه به حين كان الواجب يحتم عليه ذلك ، واستبشر بما نالوه فى الحياة من توفيق فى سبيل عظمة الخلافة ومجد الدولة ؛ فشتان بين مدائحه ومدائح المتكسبين بالشعر كالاعشى والنابغة وكالاخطل وجرير وكأبى

العتاهية والبحترى وسواهم من الشعراء ، وكذلك كان الجانب السياسى فى هجائه وعتابه دعاية قوية لآرائه السياسية وأهدافه العامة ، وصورة لما يختلج فى صدره من حب للخلافة ونقمة على الخارجين عليها ، فهجا أبا الصقر الوزير ، وعاتب الذين كان لا بد له أن يعاتبهم من الرجال ونقد ما كان لا بد له أن ينقده من اهمال .

وقد مضى ذكر ألوان من مدائحه فى الخلفاء والوزراء فى الكلام على حياة الشاعر ، ومن أروع مدائحه قصيدته فى المعتضد .

عرف الدار فحيا وناحا   بعد ما كان صحا واستراحا

ومنها :

جمع الحق لنا فى إمام   قتل البخل وأحيا السماحا
فرح الأعداء بالسلم منه   وهو فى السلم يعد السلاحا
فرقت أيديهم المال كرها   ولقد كانوا عليها شحاحا
خاط أفواههم وقديما   مزقوها ضحكا ومراحا

وقصيدته فيه « هذا الفراق وكنت أفرقه » :

وقصيدته التى مدحه بها عام ٢٨٧ ﻫ حين قضى على ثورة صالح بن مدرك الطائى : « يا قاتلا لا يبالى بالذى صنعا » .

وقصيدته فى المكتفى :

لا ورمان النهود   فوق أغصان القدود

والتى يقول فيها الحصرى انها من الشعر الذى يجرى فى النفس مجرى النفس[1] الى غير ذلك من جيد قصائده فى المدح .

ويقول ابن المعتز يرسم للخلفاء السياسية التى يجب أن يعملوا لها :

يا قوم — بل لا قوم لى — هبوا من الرقدات

---

(١) ٣/٢٦٦ زهر

إذ أرى ريب الزاما ن موليـا بشتات
هبـوا إفاقـة حازم ثم اسكروا سكرت
فالشر بعـد وقوعـه فى النـاس ذو وثبات

ويقول :

شدوا أكفكم على ميراثكم فالحق أعطاكم خلافة أحمد
ومتى يرمها الرائمون فبادروا هاماتهم حصداً بكل مهند
طورا مجاهرة وطوراً غيلة كم قاتل بغرار كيد مغمد

وكان ألد أعداء الخلافة العباسية القرامطة والعلويون والخارجون عليها باسم الملك حينا وباسم الدين أحيانا ، وقد حاربهم ابن المعتز بشعره حربا لا هوادة فيها مما تجده واضحا فى ديوانه ؛ وكان العلويون من ألد خصوم الدولة إذ كانوا لا يزالون يطمحون الى الخلافة ويدافعون عن حقهم فيها بالسيف كما يدافعون عنه باللسان : وقد ملأ ابن المعتز شعره ثورة عليهم ، وغضبا لسوء صنيعهم ، ودعوة للانتقام منهم ، والقضاء على ثوراتهم ؛ وكان الشاعر يذهب إلى ذلك حرصا منه على مجد أسرته وكرامتها ، وهناك قطعة صغيرة فى هذا الباب :

بنى عمنا الأدنين من آل طالب تعالوا الى الأدنى وعودوا الى الحسنى
أليس ابن عباس مجن أبيكم وموضع نجواه وصاحب الأدنى
وأعطاكم المأمون عهد خلافة لنا حقها لكنه جاد بالدنيا
ليعلم أن التى قد حرصتم عليها وغودرتم من أجلها صرعى
يسير عليه فقدها غير مكثر كما يبغى للصالحين ذوى التقوى
فمات (الرضا) من بعد ما قدعلمتم ولاذت بنا من بعده مرة أخرى
وعادت الينا مثل ما عاد عاشق الى وطن له فيه كل ما يهوى
دعونا ودنيانا التى كلفت بنا كما قد تركناكم ودنياكم الأولى

ويقول :

يا بنى عمنـا الى كم وحتى ليس ما تطلبونه يستقيم

فدعوا الملك نحن بالملك أولى ... قد أقرت لنا بذاك الخصوم (١)

وهو حوار قوى طريف .

وله قصيدة مشهورة رائعة فى ذلك أكد فيها حق العباسيين فى الخلافة وزاد العلويين عن حياضها وتراثها الموروث .

ومطلعها :

ألا من لعين وتسكابها ... تشكى القذى وبكاها بها

ومنها :

نصحت بنى رحمى لو وعوا ... نصيحة بر بأنسابها
قتلنا أمية فى دارها ... ونحن أحق بأسلابها
ونحن ورثنا ثياب النبي ... فلم تجذبون بأهدابها
لكم رحم يا بنى بنته ... ولكن بنوا العم أولى بها
وأقسم أنكم تعلمون ... بأنا لها خير أربابها

وهى قصيدة طويلة جيدة كان لها أثرها البعيد فى نفوس العلويين وأنصارهم ، وعارضها كثير منهم بقصائد على وزنها وقافيتها ؛ ورد عليها القاضى أبو القاسم التنوخى (٢٧٨ — ٣٤٢ ه) بقصيدة نحلها بعض العلويين .

أولها :

من ابن رسول الله وابن وصيه ... إلى مدغل فى عقدة الدين ناصب
نشا بين طنبور وزق ومزهر ... وفى حجر شاد أو على رأس ضارب
ومن ظهر سكران إلى بطن قينة ... على شبه فى ملكها وشوائب

الى آخر هذه القصيدة (٢) ؛ وعارضها تميم بن المعز الفاطمى م ٣٧٤ ه بقصيدة أولها :

---

(١) ٦٣ وما بعدها ديوانه ، ١٤١ وما بعدها الاوراق

(٢) ٣٤١ / ٥ وما بعدها معجم الادباء

إذا فزع الشوق حب القلوب   كواها بشدة تلهابها
ومنها :
ألا قل لمن ضل من هاشم   ورام اللحوق بأربابها
أعباسها كأبي حربها   على وقاتل نصابها
بنى هاشم قد تعاميتم   تخلوا المعالى لأصحابها
أعباسكم كان سيف النبي   إذا أبدت الحرب عن نابها
عجبت لمرتكب بغيه   غوى المقالة كذابها
يقول فينظم زور الكلام   ويحكم تنميق أذهابها
لقد جار فى القول عبد الاله   وقاس المطايا بركابها

وعارضها صفى الدين الحلى م ٧٥٠ هـ بقصيدة طويلة [١] أولها :

إلا قل لشر عباد الاله   وطاغى قريش وكذابها
أأنت تفاخر آل النبي   وتجحدها فضل أحسابها ؟

وكان لهذه القصائد التى نظمها ابن المعتز فى العلويين آثارها السياسية البعيدة وكانت محور أحاديث ودعايات سيئة أحيطت بها شخصية ابن المعتز وحكم على ضوئها على أدب ابن المعتز كثير من الناس « فعدلوا عن ثلبه فى الآداب الى التشنيع عليه بأمر الدين وهجاء على ابن أبى طالب [٢] » .

وهذه القصائد كلها لم تكن بغضا لعلى ولا للعلويين ، فقد صرح بأنه يهوى عليا ، « وكان ابن المعتز يسلم عليه أصحاب رسول الله لا يذكر أحد منهم إلا عدد فضائله وناضل عنه ونصره وما سمع فى حال من الأحوال ينقص أحدا ولا عرض بذلك ولا أومأ إليه [٣] » « وكان يحلف بالله لئن ملك من هذا الأمر شيئا ليجعلن البطنين بطنا واحدا وليزوجن هؤلاء من هؤلاء وهؤلاء من هؤلاء حتى يصيرا

---

(١) راجعها فى ٢٤٣ / ١ وما بعدها فوات
(٢) ١٤١ / ٩ الاغانى
(٣) ١٠٧ ، الاوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء

شيئا واحدا [١] » ؛ إلا أنه كان يقدم بنى هاشم ويفضلهم ونظم فى آخر حياته قصائد فيها مفاخرة لأهله وبنى عمه الطالبيين وكان يرى أنهم يناقضونه فاجتمع اليه جماعة من الطالبيين منهم ابن البصرى العلوى وكان يجالسه على قديم الأيام والقاسم ابن اسماعيل فحلفوا له ما يقول هذه الأشعار أحد منهم فندم على ما كان من قوله ، وكان يقول : من عذيرى من الناس ؟ تأتينى مثل هذه الأشعار فأجيب بتعريض عن مائه كلمة قد صرح بها كلمة فأنسب الى ما أنسب اليه ، ثم عمل أشعارا يعتذر فيها ويمدح عليا وولده وأعطى الله عهدا ليقولن باقى عمره فى هذا الفن [٢] .

فالداعى اذا لابن المعتز على نظم هذه الأشعار هو دعايات العلويين وتعصبهم عليه لتقديمه لبنى هاشم وتفضيله لهم كما يقول الصولى فى الاوراق ؛ ونضيف الى ذلك : حب الشاعر لمجد الخلافة العباسية ، وكثرة ثورات العلويين ومن يدعون أنهم علويون على الخلافة والخلفاء . وقد كانت هذه الخصومة ضررا على ابن المعتز ومكانته عند كثير من الجماهير وكانت مجال دعاية تنشر حوله فى كل مكان ، ولكن ابن المعتز قد خفف فى آخر أيامه من حدة هذه الخصومة ونظم قصائد كثيرة يعتذر فيها للعلويين ويبين أنه إنما كان يهجو المدعين الذين يحتالون الملك تحت ستار أنهم علويون ومنها قصيدته :

رثيت الحجج فقال العدا ة سب عليا وبيت النبى
أآكل لحمى وأحسو دمى فياقوم للعجب الاعجب
على يظنون بى بغضه فهلا سوى الكفر ظنوه بى
بلى قرمطيين متوا إليه بالنسب الاخجر الاكذب

الى آخر هذه القصيدة الرائعة [٣] .

وهكذا كان ابن المعتز قويا أيضا فى جدله للشعوبيين قوته فى جدله للعلويين

---

(١) ١٠٩ المرجع (٢) ١٠٧ الأوراق وما بعدها
(٣) ١٠٩ الاوراق وما بعدها ، ١٢٩ ديوانه

والقرمطيين ؛ كان الشعوبيون ينادون بمساواة الاجناس وتمادى كثير منهم ففضل العجم وتنقص من العرب وقد أبلى كثير من العلماء فى الرد عليهم كالجاحظ وسواه ؛ وكان ابن المعتز يبغض الشعوبية والشعوبيين ، وله فى ذلك آثار كثيرة منها قصيدته :

أسمع قولا ولا أرى أحـــدا من ذا الشقى الذى أباح دمه ؟

وهى فى الرد على يحى بن المنجم فى قصيدة له افتخر فيها بالفرس على العرب (١) وله يهجو الفرس قصيدة طويلة جدا مطلعها :

قـــد حال دون الرجاء تعليـل فالوعـد كل والـكل مأمول (٢)

وبعـد ففن ابن المعتز فى شعره السياسى يمثل عصره وسياسة الدولة فيه تمام التمثيل ، وتتمشى الجودة وقوة العاطفة وسلامة الأسلوب فى أعطافه وفيه روح وطبع وشاعرية وهو فن نبغ ابن المعتز وأجاد فيه ونظمه بروح شاعرة وأسلوب قوى جزل فى أكثر الأحيان ، وهو على أى حال من أجود شعره وأطبعه ويمتاز ما فيه من مـدح بصدق العاطفة ومجافاة الأغراق وتصوير الواقع الذى يعرف الشاعر أنه واقع وحق كما يمتاز بأسلوبه وخياله ومعانيه المخترعة الجميلة ؛ وفى عهد تقليـده الفنى شاع فى قصائده فى المـدح التقليد لأسلوب الجاهلية وجزالتهم كما فى مدحته للموفق :

بكاه على ما فى الضمير دليـل ولـكن مولاه عليه بخيل

ثم أخـذت الرقة والعذوبة تسرى فى أعطاف مدائحه مع ظهور التـكلف فيها كما فى مدحته للمعتضد :

وحـلو الدلال مليح الغضب يشوب مواعيـده بالـــكذب

والتى وصف فيهـا لذاته ولهوه ومجالس الأنس ثم أفاض فى مـــدح الخليفة

---

(١) راجع ورقة ٣٣ من الأوراق قسم المقتدر وما بعدها مخطوط ، وديوانه المخطوط

(٢) راجع الأوراق قسم المقتدر وفى ص ١٩٩ ديوانه ثلاثة أبيات منها

وإعلان سروره بولايته إلى غير ذلك مما ضمنه هذه القصيدة ، وبعد هذا الطور الفنى أخذ أسلوب الشاعر يفيض قوة وطبعا وجمالا مع الجزالة حينا والرقة أحيانا مما تراه فى مدائحه فى المعتضد والمكتفى بالله وقصيدته فى القاسم بن عبيد الله الوزير

يا قلب ويحك خنتنى وفعلتها   وحللت عقدة توبتى ونقضتها

والله تعالى ولى التوفيق :

— ٥ —

الحكمة فى شعر ابن المعتز

الحكمة هى آثار التفكير فى الأنسان والمجتمع والوجود والحقائق والأشياء وهى ثمرات العقل الانسانى والاحساس الفكرى بالحياة .

والحكمة قديمة فى الشعر العربى تجدها فى الجاهلية فى شعر زهير وأضرابه وفى الاسلام فى شعر كعب الغنوى(١) وكثير من الشعراء ، وكان الحارث بن كلدة طبيب العرب المشهور شاعرا ذا حكمة فى شعره (٢)

وكان عمران بن حطان أشعر الناس فى الزهد(٣) ، وكان القطامى كثير الأمثال فى شعره (٤) ، وكان أبو بكر محمد بن عبيد الله الكوفى جل أشعاره آداب وأمثال وأدرك الدولتين . (٥) . ثم جاء عصر المحدثين ، فأكثروا من الحكمة كصالح ابن عبد القدوس وأبى العتاهية ومحمود الوراق ، كان صالح من الشعراء الفلاسفة وجميع شعره فى الحكمة والأمثال ، وكان مذهبه مذهب السوفسطائيه الذين يزعمون أن الأشياء لا حقيقة لها ، وله كتاب سماه الشكوك (٦) وكان أبو العتاهية

---

(١) كان يقال له كعب الامثال لكثرة مافى شعره من الامثال (٣٤١ معجم الشعراء)

(٢) ١٧٢ المؤتلف للآمدى

(٣) ٩١ المرجع   (٤) ٢٤٤ معجم الشعراء

(٥) ٧ ٤ المرجع   (٦) ١٣٢ و ١٣٣ /٣ الرافعى

لا يكاد يخلى شعره مما تقدم من الأخبار والآثار [١] ؛ وأكثر شعره فى الزهد والأمثال [٢] ، وكان أكثر شعر محمود الوراق أمثال وحكم ومواعظ ، وليس يقصر بهذا الفن عن صالح بن عبد القدوس [٣] . ولأبى تمام كثير من الحكم الاجتماعية فى شعره .

وكانت الحكمة فى العصر الجاهلى مستمدة من تجارب الشاعر وآرائه الخاصة فى الحياة ، وفى العصر الاسلامى كثرت الحكمة وتنوعت بما دخلها فوق ذلك من أثر القرآن والحديث وعلومهما فى التفكير والاخلاق والاجتماع ، وفى بدء عصر المحدثين أضيف الى تلك العناصر الحكمة الفارسية التى احتذاها الشعراء ونظموا كثيرا من معانيها ، ثم جاءت الفلسفة والحكمة اليونانية ؛ فلقحت العقول بلقاح جديد ظهر أثره فى هذا الفن فى العصر الثانى على يد أبى تمام م ٢٣١ هـ وابن الرومى م ٢٨٣ هـ والناشىء الأكبر م ٢٩٣ هـ وسواهم من الشعراء .

ولابن المعتز مجال كبير فى الحكمة التى سنعرض ألوانا منها من شعره فى الآداب والاخلاق والاجتماع والسياسة ؛ لنرى الى أى حد كان ابن المعتز يفكر ويحكم على الاشياء .

(ا) المال : ابن المعتز جواد متلاف ؛ ويعلل جوده فى فلسفة هادئة :

إذا لم أجد بالمال جاد به الدهر
على وارثى والكف فى قبرها صفر
وكيف أخاف الفقر والله ضامن
لرزقى وهل فى البخل من بعد ذا عذر ؟

وهو يعرف قيمة المال وأثره فى حياة الناس حيث يقول :

إذا كنت ذا ثروة من غنى فأنت المسود فى العالم

---

(١) ٢٣٨ / ١ الكامل للمبرد
(٢) ١٢٢ / ٣ الاغانى
(٣) ١٧٤ طبقات الشعراء لابن المعتز

وحسبك من نسب صورة تخبر أنك من آدم

ويرى أن الاسترسال فى الانفاق يقود الى الفقر والهوان :

يارب جود جر فقر امرىء فقام للناس مقام الذليل

فاشدد عرا مالك واستبقه فالبخل خير من سؤال البخيل (١)

ولذلك فهو يرى استثمار المال ليعين على المكرمات .

ونصلح ما أبقى لنا منه جودنا لتجرى ما عشنا على عادة الفضل

ومع ذلك فهو يدعو الى ترك الحرص :

فيابنى الدهر كم والجهد والتعب الله يرزق ليس الحرص والنصب

فليس مستغنيا ما عاش انسان :

وفى الممات غنى للمرء يستره وليس مستغنيا ماعاش انسان

والرزق مقدور :

قل للطالب قد أنضى ركائبه لا تعجلن فان الرزق مقدور

وفلسفته فى هذا الباب بسيطة غير معقدة وأساسها المصدر الدينى والاجتماعى دون ما سواها من نظريات وآراء ، وله كثير من الشعر يدور حوله ما بسطناه .

(ب) الأخلاق : وابن المعتز فى شبابه رجل مستهتر يدعو الى ملذات الحياة :

صاح ان أمكنك لذ ة عيش فلا تذر

لأنها هى سعادة الحياة :

وما الملك فى الدنيا بهم وحسرة ولكنما ملك السرور هو الملك

ولا يبالى فى ذلك بالناس :

---

(١) من قول علقمة :

والجود نافية للمال مهلكة والبخل مبق لأهليه ومذموم

(١٩١ مفضليات) ، ومنه قول مسلم :

ما أعلم الناس أن الجود مدفعة للذم لكنه يأتى على النشب

(١١٤ / ٤ زهر) .

وما خفنا من الناس وهل فى الناس إنسان ؟

ثم عاد يدعو الى الرشاد :

خل الذنوب كبيرها وصغيرها فهو التق

ويعاقب نفسه لتباطؤها فى التوبة الى الله :

جد الزمان وأنت تلعب العمر فى لا شىء يذهب
كم قد تقول غدا أتوب غدا غدا والموت أقرب

وهو يدعو الى القوة وعدم الجبن والهوان :

الارب حلم عاد رقاو ذلة وجهل بهيعطيك ذو الجهل ماترضى

وتردد فى شبابه فى قيمة الصبر :

لو أطعنا الصبر عند الرزايا ما عرفنا شدة من رخاء

ولكنه يعود فيدعو اليه بعد تجارب الحياة :

عليك بحسن الصبر فى كل مورد من الأمر كى تحظى بحسن المصادر

وابن المعتز لا يؤمن بالقرابة ولا بالأقارب لأنه ذاق منهم كثيرا من الآلام :

لحومهم لحمى وهم يأكلونه وما داهيات المرء إلا أقاربه

ويقول :

وما نسب الأقوام إلا عداوة وأكثر ما يشقى به من يناسبه

وكذلك رأيه فى كثير من الصداقات والأصدقاء :

بلوت أخلاء هذا الزمان فأقللت بالهجر منهم نصيبى
وكلهم ان تصفحتهم صديق العيان عدو المغيب

ويدعو الى المكيدة للقضاء على الشر : كم قاتل بغرار كيد مغمد ،

وقد يكون السيف أحسم للداء المستفحل :

والسيف أحسم للداء الذى امتنعا

ويدعو الى انتهاز الفرص فى الأعداء :

فان فرصة أمكنت فى العدو فلا تبد فعلك الا بها
فان لم تلج بابها مسرعا أتاك عدوك من بابها
وإياك من ندم بعدها وتأميل أخرى فأنى بها ؟

ويرى قبول عذر من اعتذر كاذبا كان أو صادقا :

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا ان بر عندك فيما قال أو فجرا
فقد أطاعك من يرضيك ظاهره وقد أجلك من يعصيك مستترا

حذر الحياة والمجتمع وقد جرب ابن المعتز الحياة
وحيرها وذاق حلاوتها ومرها وعرف شرها وخيرها

ودعا الى الحذر منها .

يا من تبجح بالدنيا وزخرفها كن من صروف لياليها على حذر

ويقول فى روعة وبلاغة .

يا آمنا لا تبق من حذر ان المخافة جانب الامن

فالدهر يهدم ما بنى .

والدهر يهدم .ما بنى بيد فيه وان زرع السرور حصد
والدهر من أخلاقه استرجاع ما قد سلفا

وهو مقسم بين الصفو والكدر :

إن الزمان إذا جربت خلقته مقسم الامرين الصفو والكدر

وهو يحسن ويسيء :

وعند كمال الحظ يخشى زواله كما لغريق اللجة الرى والقحط

ولا يغالب الدهر إنسان :

ومبرم أمره والدهر ينقضه هل غالب الدهر ياللناس من أحد ؟

والحياة مصيرها الى الفناء :

راح فراق أو غدا لست بباق أبدا
لا تخدعن إنما كوالد من ولدا
من سار كل ساعة نحو المنايا وردا

ويقول فى حكمة وبلاغة :

وما العيش إلا مدة سوف تنقضى وما المال إلا هالك عند هالك

ويقول :

رأيت الدهر ينقص كل يوم قوى حبل البقاء وكل عام
يقتل بعضنا بأكف بعض ويشحذ بيننا سيف الحمام

ولكنه يذم الموت كما يذم الحياة :

الموت مر والعيش هم وأى هذين لا أذم

ثم يعود فيؤثر الموت .

من أحب البقاء دام عليه مع طول البقاء هم طويل

ويحسد سكان القبور .

لقد حبب الموت البقاء الذى أرى فياحسدا منى لمن سكن القبرا

لأن الزمان لئيم على الكريم : إن الزمان على الكريم لئيم

ولأنه مقلوب الأوضاع :

قد ملىء الزمان بالعجائب وارتفع المنسم فوق الغارب

ولكنه يدعو إلى الصبر والهدوء :

قرى للزمان الصعب ويحك واصبرى

فما ناصحات المرء إلا تجاربه

ويقول : وكم نعمة لله فى صرف نقمة ترجى ومكروه حلا بعد امرار

ويقول :

رب أمر تتقيــــه جر أمرا ترتجيه
خفى المحبوب منه وبدا المكروه فيه
فاترك الدهر وسلمه الى عـــدل يليه

والحياة على أى حال لا تستحق شيئا عنده فهو يعيش فيه مكرهاً :

سكنتك يادنيا برغمى مكرها وما كان لى فى ذاك صنع ولا أمر

وهو يعيش فيها وكأنه غريب عنها :

إنى غريب بدار لا كرام بها كغربة الشعرة السوداء فى الشمط
ما أطلق العين فى شىء أسر به ولست أبدى الرضا إلا على السخط

والموت أولى من هذه الحياة :

الموت أولى للفتى من أن يرى ظالع دهر كلما شاء انقلب

لأن الناس فيها قد ركبوا مطايا باطل جموح :

والناس قد ركبوا مطايا باطل والحق وسطهم برحل فارغ

وللجهل فيهم دولة :

كن جاهلا أو فتجاهل تفز للجهل فى ذا الدهر جاه عريض

ويقول .

وحلاوة الدنيا لجاهلها ومرارة الدنيا لمن عقـــلا (١)

وهو من قول البحترى .

أرى الحلم بؤسا للمعيشة للفتى ولا عيش إلا ما حباك به الجهل

وقول الشاعر :

---

(١) يشيد الثعالبي بهذا البيت (٣٥٢ / ٣ اليتيمة)

إنى رأيت الحظ حظ الجاهل   ولم أر المغبون غــير العاقل

ويقول المتنبي :

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله   وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعم

وأخلاق الناس قد مسخت أخلاق ذئاب :

لست من بعدهم أرى صورة الانس يقيناً إلا خلائق ذيب

ويقول لنفسه :

لا تظنى النــاس ناسا أى أسـد فى الثياب [1]

وهو لذلك حكيم فى اموره كل الحـكمة .

إنى إذا فطن الزمان لناطق   وسكت حين رأيت دهرا أبلها [2]

د ـــ حكم أجتماعية أخرى .

ويقول ابن المعتز . والمرء مادام حياخا دم الامل . ويقول

والمـــرء يعشق لذة الدنيـا فتعقره المصائب

ويرى أن العظيم لا يظفر بتقدير أقاربه وحساده .

وإذا ملــكت المجــد لم تملك مودات الاقارب

ويقول .

ما لذة العيش إلا للمجـــانين

ويقول فى بلاغة وسحر تصوير يصور حزم المعتضد .

فرح الأعداء بالسلم منه   وهو فى السلم يعد السلاحا

فرقت أيديهم المـال كرها   ولقـد كانوا عليها شحاحا

ويقول .

---

(١) قريب من قول الشاعر

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى

وصوت إنسان فكدت أطير

ونسبه صاحب الشعر والشعراء للأحيمر السعدى (٣٠٧ الشعر والشعراء)

(٢) هو من قولهم : لا تدل بحجتك حتى تجد قضاة عدولا

من مكرمات الفتى تقديمه الحرما

ويقول .

ومن شر أيام الفتى بذل وجهه الى غير من خفت عليه الصنائع
متى يدرك الاحسان من لم تكن له الى طلب الاحسان نفس تنازع

الى غير ذلك من حكمه المتعددة التى تركنا كثير منها خوف الاطالة

وبعد فالحكمة فى شعر ابن المعتز أكثرها سهل مأخوذة من الثقافة العربية ، والقليل منها صقله التفكير العقلى والثقافات الأجنبية فخرج رائع الأسلوب بعيد المنزع واضح الدلالة على ثقافة صاحبه وعقليته وبعد منزعه فى التفكير .

والحكمة فى شعر ابن المعتز أكثرها يدور حول الأخلاق والاجتماع وشكوى الزمان والناس ، وله فيها معان جيدة وأساليب جميلة ، ولكنه لم يتناول فيها شيئا من الالهيات أو العقائد ، ومع ذلك فهى لا ترفعه الى مكانة شعراء الحكمة فى الادب العربى من مثل أبى تمام والمتنبى والمعرى ، ولكنه يجىء تاليا لهذه الطبقة ومجيدا مع المجيدين فى هذا الباب الذى هو أكثر أبواب الشعر صعوبة وأحوجها الى الشاعرية والطبع والملكة والالهام .

— ٦ —

الشعر الفنى

فى تراث ابن المعتز فى القريض

وهو باب يشمل من تراث ابن المعتز فى الشعر أبواب : الوصف والطرد

والخمريات ووصف الطبيعة [١] ؛ وسنتناول كل فن من هذه الفنون بالبحث والتفصيل .

الوصف فى شعر ابن المعتز : —

١ — الوصف تصوير خواص الأشياء الحسية والمعنوية[٢] ، أو هو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيآت [٣] ، وأحسن الوصف مانعت به الشيء حتى يكاد يمثله عيانا ، [٤] وما استوعب أكثر معانى الموصوف حتى كأنه يصوره لك [٥]

والوصف أكثر أبواب الشعر العربي ؛ وكثير من النقاد يرى أن الشعر الا أقله راجع الى باب الوصف[٦] ، وقد وصف شعراء الجاهلية كل ما وقعت عليه أعينهم من شتى ألوان بيئتهم التى عاشوا فيها ومظاهر الحياة التى ألفوها فى هذه البيئة ، وكان امرؤ القيس وأبو دؤاد وطفيل الغنوى والنابغة الجعدى من وصاف الخيل[٧] كما كان طرفة وأوس بن حجر وكعب بن زهير م ٢٤ هـ والشماخ من وصاف الأبل [٨] ، وكان عبيد بن الأبرص مجيدا فى وصف المطر [٩] ، واستمر الأمر

---

(١) ويعد ابن رشيق الطرد والخمريات من باب الوصف (٢٨٠ / ٢ العمدة) ويتابعه فى ذلك كثير من النقاد ، ويعدون أيضا شعر الطبيعة من باب الوصف (٢٥٢ التوجيه الادبي)

(٢) الاسلوب للشايب

(٣) ٧٠ نقد الشعر

(٤) ٢٧٨ / ٢ العمدة

(٥) ١٢٣ صنا عتين

(٦) ٢٧٨ / ٢ العمدة ، ٢٥١ التوجيه الادبى

(٧) واقرأ وصف الجوارى الخمس لخيل آبائهن (١٨٧ / ١ الامالى) ، ومقصورة أبى صفوان الاسدى فى وصف الخيل (٢٤٠ / ٢ الامالى)

(٨) ٢٨٠ / ٢ العمدة ، ١٢٥ / ٣ الرافعى

(٩) راجع قصيدتيه الحائية والقافية فى وصف المطر (١٧٣ / ١ الامالى ، ١٧٨ / ١ الامالى أيضا) وراجع وصف بعض الاعراب للمطر (١٧١ و ١٧٣ / ١ الامالى)

كذلك فى العصر الاسلامى وانفرد بعض الشعراء بالتفوق فى بعض الأوصاف ، فكان الشماخ من أوصف الناس للقوس والحمر [١] ، وكان ذو الرمة أوصف الناس لرمل وهاجرة وفلاه وقراد وحية [٢] وأحسن الناس وصفا للمطر [٣] ، ويذكر بعض الباحثين أنه يكاد يكون أكبر شعراء الوصف فى العصر المتقدم كله [٤] ، وكان ابن أحمر وهو اسلامى قديم وشاعر مجيد وصافا للحيات وعلى قوله احتذت الشعراء [٥] ، وللتغلبى أجود قصيدة قيلت فى وصف القطاء [٦] ، ولعبيد ابن أيوب العنبرى إجادة وشهرة فى وصف الصحارى والمجاهل وما فيها من حياة وكائنات [٧] ، وكان مزاحم العقيلى ينعت الفلوات فيجيد وشهد له بذلك الفرزدق وجرير والأخطل عند عبد الملك [٨] ، وكان الراعى أوصف الناس للابل [٩] ، كما كان للفرزدق والحطيئه يجيد ان صفات الخيل والقسى والابل [١٠]، وفى العصر العباسى هجر الشعراء الأوصاف التقليدية فى الشعر العربى فدعا مطيع الى وصف الجمال لا الى وصف المهامه والقفار :

لأحسن من بيد تحاربها القطا ... ومن جبلى طى ووصفكما سلعا
تلاحظ عينى عاشقين كلاهما ... له مقلة فى وجه صاحبه ترعى

ودعا أبو نواس الى أن تفتتح القصائد بأوصاف الراح :

---

(١) ١٠٩ للشعر والشعراء لابن قتية ، ٢٨٠ /٢ العمدة
(٢) ٢٧ الشعر والشعراء ... (٣) ٣٥ المرجع
(٤) ٢٥٢ التوجيه الادبى
(٥) ٣٧ المؤتلف
(٦) راجع ١٦٩ /٥ الحيوان
(٧) راجع ٥٠ /٦ الحيوان
(٨) راجع ١٥٥ /٢ ديوان المعانى
(٩) ٢٨٠ /٢ العمدة
(١٠) ٢٨٠ /٢ العمدة

صفة الطلول بلاغة القدم فاجعل صفاتك لابنة الكرم

وقال :

يا ربع شغلك انى عنك فى شغل لا ناقتى فيك لو تدرى ولا جملى

وتابعه فى ذلك ابن المعتز فقال :

أحسن من وقفة على طلل ومن بكاء فى اثر محتمل
كأس مدام أعطتك فضلتها كف حبيب والنقل من قبل

وقال :

لاتبك للظاعنين والعيس ومنزل ظل غير مأنوس

وقال :

أف من وصف منزل بعكاظ فحومل

وقال :

مالى وللباكرات والظعن ومقفرات الطلول والدمن
شغلى عنها بالراح فى غلس ووضع ريحانة على اذن

وقال :

لا تقف بى فى دارس الأطلال شغل فعلى عنها وشغل مقالى
إن دمعى لضائع فى رسوم وسؤالى محيلة من محال

وقال :

خليلى بالله اقعدا نصطبح بلا قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
ويا رب لا تنبت ولا تسقط الحيا يسقط اللوى بين الدخول فحومل
ولكن ديار اللهو يارب فاسقها ودل على خضرائها كل جدول

وكان أبو نواس شعوبيا فى مذهبه كما يقول هو :

عاج الشقى على رسم يسائله وعجت أسأل عن خمارة البلد

تبكى على طلل الماضين من أسد ثكلت أمك قل لى من بنو أسد
ومن تميم ومن قيس ومن يمن ليس الأعاريب عند الله من أحد

ولم يكن يدعو الى فكرة أدبية جديدة بل الى ادخال أنواع من المجون فى الشعر [١] ؛ ولكن ابن المعتز كان ناقدا يبحث فى الصلة بين الأدب والحياة ويحاول أن يلائم بينهما ، وينادى بتحضر الشعر وترك روح البداوة فيه ؛ والنقاد يختلفون فى هذه المناهج ؛ فابن قتيبة يدعو الى المحافظة على سنن العرب فى ابتداء القصائد بذكر الديار والنسيب ثم وصف الرحلة الى الممدوح والتخلص الى المدح [٢] ، ويرى ابن رشيق أنه لا معنى لذكر الحضرى الديار إلا مجازا [٣] وأن ليس بالمحدث من الحاجة الى وصف الابل والقفار لرغبة الناس فى الوقت عن تلك الصفات وعلمهم بأن الشاعر انما يتكلفها والأولى فى هذا الوقت صفات الخمر والقيان [٤].

وقد أجاد الشعراء العباسيون فى الأوصاف إجادة بالغة ، وجاءوا فيها بالتشبيه المفرط البعيد [٥] ، على حين كان من قبلهم يجرون فى أوصافهم على الصدق ويسيرون فى ظل الحقائق الغريبة « وهذا مذهب عام من مذاهب العرب فى أن يصفوا الشىء على ما هو وعلى ما شوهد من غير اعتماد لأغراب ولا إبداع [٦] » ؛ وأشهر قصائد الوصف سينية البحترى التى ليس للعرب مثلها كما يقول ابن المعتز [٧] ، وبرع

---

(١) ١٨٢ مقدمة لدراسة بلاغة العرب لضيف
(٢) ١٤ و ١٥ الشعر والشعراء
(٣) ١٩٩ /١ العمدة
(٤) ٢٧٩ /٢ العمدة
(٥) راجع ١٢٤ /٣ الرافعى — والوصف مناسب للتشبيه ومشتمل عليه وليس به ، والفرق بينهما أن الوصف إخبار عن حقيقة الشىء والتشبيه مجاز وتمثيل (٢٧٨ /٢ العمدة)
(٦) ١١٩ الموازنة
(٧) ٢١٨ /١ و ٦٤ /٢ ديوان المعانى ، ٥٠٢ الادب العباسى لمحمود مصطفى ، ٣٣ رسائل ابن المعتز ، ٧ و ٨ مقدمة ديوان البحترى

ابن الرومى فى التصوير وخاصة فى ما كان يرجع منه إلى باب التهكم والسخرية ، وكان الحمدونى من أصلح الناس شعراً وأقدرهم على الوصف وكان عامة شعره فى طيلسان ابن حرب (١) ، واشتهر بجودة الوصف ابن المعتز (٢) ثم كشاجم بعده (٣) والصنوبرى وهو وحيد جنسه فى صفة الأزهار وأنواع الأنوار (٤) ، وكذلك أبو طالب المأمونى م ٣٨٣ هـ وله شعر كثير فى الأوصاف (٥) ، وكذلك السرى الرفاء وعلى ابن إسحاق الزاجى م ٣٥٢ هـ ثم ابن خفاجة وابن حمديس (٦) ، ولم يكن المتنبي من أهل الأوصاف كما يرى الواحدى (٧) .

٢ — اشتهر ابن المعتز بالاجادة فى الأوصاف كلها كامرىء القيس فى الجاهليين وأبى نواس والبحترى وابن الرومى (٨) فى المحدثين ، ورسم صوراً صادقة لكل ما وقعت عليه عينه من أمور الحياة ومظاهر الحضارة ، وفى وصفه رقة وسلاسة ودقة وتفصيل وابتداع فى الأسلوب وتجديد فى التشبيه والاستعارة وإكثار من الصور الحية الرائعة ، وقد نمى ملكته فى نفسه دقة حسه ولطف شعوره وامتلاء ذهنه بمشاهد الجمال وروائع الخيال ورونق الحضارة وأنه يقول الشعر إرضاء لنفسه وتصويراً لحسه مما صرفه الى الاجادة فى هذا الباب الذى تناول فيه وصف ألوان معيشته ومظاهر حياته وأنواع ترفه ولهوه وأتى فى ذلك بالرائع البليغ والجيد

---

(١) ١٧٦ طبقات الشعراء لابن المعتز

(٢) ٢٤٩ /٢ العمدة

(٣) اشتهر بوصف آلات المنادمة (١٢٦ /٣ الرافعى) ، وكان يجيد الوصف ويحققه (٢٥٠ رسائل البلغاء) ، وله كثير من القصائد فى الوصف (راجع ٢٨٢ — ٢٨٥ /٢ العمدة ، ١٠٤ /٢ وما بعدها زهر)

(٤) ٢٥٠ رسائل البلغاء

(٥) ١٤٩/٤ اليتيمة وله ترجمة فى اليتيمة (١٤٩ — ٤/١٧٩)

(٦) ١٢٥ و ٣/١٢٦ الرافعى

(٧) ويرد عليه العكبرى ذاهبا إلى أنه كان يحسن الاوصاف فى كل فن (٤/١٦٥ العكبرى)

(٨) ويجعلهم ابن رشيق من الذين أجادوا فى كل الاوصاف (٢/٢٧٩ العمدة)

الممتاز وظهر فيه طابعه الخاص من أوصافه الملوكية التى تستمد صور الاوصاف من صور حياته التى كان يحياها كأمير وكولى عهد وكشخصية بارزة من شخصيات أسرة الخلافة العباسية التى أغرقها الترف فى عصره إلى حد بلغ فى ذاك مبلغ الاساطير ،

أما عناية ابن المعتز بالحس من الاوصاف خاصة فترجع الى كثرة مظاهر الحضارة الحسية فى عصره وبيئته ، وإلى سكون قلبه إلى ترف الحياة وجمال الزخرف والحس النفيس من مظاهر العيش ، والى عاطفته الشعرية التى كانت حريصة على أن تمثل جمال الحضارة فى صور من جمال الفن مصبوغة بصبغة حسية خالصة .

وبحق لقد كان ابن المعتز أستاذ الوصافين فى عصره كما كان شيخ المشبهين ، وكثير من أوصافه ستأتى فى باب التشبيه ، ولكنا نذكر هنا صوراً قليلة من أوصافه لنرى منها مدى جودته فى هذا الباب :

قال يصف كلاب الصيد :

عواصف مشابهات للأسد لما عدون وعدت خيل الطرد

فبلغ نهاية الجودة فى تشبيهها بالعاصفة : ويشبهها بزوبعة الريح فيقول :

وزوبعة من بنات الرياح تريك على الارض شدا عجب
لها مجلس فى مكان الرديف كتركية قد سبتها العرب

فيجيد إجادة بالغة : ويصف الحمام فيقول :

سحبن فى الوكور دائرات حواصلا أودعن خرطمات (١)
كأنها صرار لؤلؤات فلم تزل كذاك دائبات
طائرة القلوب طائرات تلوح مثل النجم للهداة

ويصف طول الليل فيقول :

عسى الشمس قد مسخت كوكبا وقد طلعت فى عداد النجوم

---

(١) مقدم الانف والفم

ويصف طول شعر امرأة فيقول :

دعت خلاخيلها ذوائبها فجئن من رأسها الى القدم

ووصفه للثريا فى قصيدته فى المعتضد :

سلمت أمير المؤمنين على الدهر ولا زلت فينا باقيا واسع العمر
حللت الثريا خير دار ومنزل فلا زال معمورا وبورك من قصر

وصف رائع جيد قل أن نجد له نظيرا فى أوصاف المتقدمين . وله يصف فرسا :

ولقد وطئت الغيث يحملنى طرف كلون الصبح حين وقد
يمشى ويعرض فى العنان كما صدق المعشق ذو الدلال وصد
طارت به رجل مرصعة رجامة لحصا الطريق ويد
وكأنه موج يسيل إذا أطلقته وإذا حبست جمد

ويقول :

كان جنان الفلاة تضربه كأن ما يهرب منه يطلبه
يكاد لولا اسم الأله يصحبه تأكله عيوننا وتشربه

ويقول :

وليلة من حسنات الدهر ما ينمحى موضعها من ذكرى
سريت فيها بخيول شقر سياطها ماء السحاب الغر
كأنه ذوب لجين يجرى وشادن ضعيف عقد الخصر
يمضى بموج ويجى ببدر يفعل بالليل فعال الفجر
ياليلة سرقتها من دهرى ما كنت إلا عرة فى عمرى

فتجد روعة وجمالا وسحر وبلاغة :

ويقول :

ومجلس جل أن نشبهه جن به مزهر ومزمار

وزانه من بنى العباد رشا ... بالجيد والمقلتين سحار
قد ركبت كفه مشعشعة ... إبريقها فى الكؤوس هدار

ويصف رسولا فيقول .

ورسول يقول ما تعجز الألفاظ عنه حلو الحديث أديب

ويصف فرسا فيقول :

طاعن فى العنان يستنكر السوط ... مدلا ويأخذ الأرض أخذا
واذا ماعدا فثار أذاعت ... بدخان تهذه الريح هذا
بحر شر يشاغب الصخر قرعا ... بصخور وينبذ الترب نبذا

فتجد تصويرا جميلا ووصفا جيدا :

ويقول :

قدرت أربعه للوحوش أجلا

ويقول : جنة طارت بفتيان :

ويقول :

يبلغ ما تبلغه الريح ولا ... تبلغ ما يبلغه اذا طلب

ويقول :

ياليلة نسى الزمان بها ... أحداثه كونى بلا فجر
راح الصباح يبدرها ووشت ... فيها الصبا بمواقع القطر
ثم انقضت والقلب يتبعها ... فى حيث ما سقطت من الدهر

ويصف ناقته فيقول :

تصغى الى أمر الزمام كما ... عطفت يد الجانى ذرى الغصن

الى غير ذلك من شتى أوصافه المبثوثة فى ديوانه والتى سيجىء الكثير منها

في باب التشبيهات ؛ ويشيد ابن رشيق في باب الأوصاف برائية أبي نواس في الخصيب وجيمية ابن المعتز المردفة في الضرب الثاني من الكامل (١) ؛ وهذه القصيدة يذكر فيها الشاعر ربوع أحبابه وعصف الرياح الهوج والمطر المنهل بها ويذكر جوبه الفلوات في الليالي الحالكة :

في ليلة أكل المحاق هلالها   حتى تبدى مثل وقف العاج (٢)
والصبح يتلو المشترى فكأنه   عريان يمشى في الدجى بسراج

ويصف جواده وطراده للصيد ثم يختمها بتحذير أعدائه من كيده وانتقامه وهي غريبة قوية جزلة الأسلوب ، وقد تأثر في بعضها بجرير في جيمته في مدح الحجاج .

أوصاف الطبيعة في شعر ابن المعتز :

الطبيعة توحي للشعراء في كل عصر بكثير من المعاني والآثار الادبية الرائعة ، وقد افتتن بها الشعراء وصوروها في مختلف مظاهرها ورسموا لها صورا تجمع غالباً بين صدق الأداء وبراعة الوصف وإظهار الدقائق والتفاصيل وحرارة الاحساس. صورها شعراء الاغريق وخاصة هوميروس في إلياذته (٣) ، كما صورها الشعراء الجاهليون في قصائدهم وآثارهم التي تشابهت رغم تعددها وخلت من مظاهر التنوع والكثرة وخصوبة التصوير ، ولكنها على أي حال صورة صادقة لتلك البيئة ،

(١) ٢/٢٧٩ العمدة ... والقصيدة في ديوان ابن المعتز ص ٢٦١ ومطلعها :

حث الفراق بواكر الاحداج   وشجاك يوم نأوا (بكتم) شاجي

وكتم لعله تحريف مكتوم اسم محبوب له

(٢) سوار من عظم ناب الفيل

(٣) ويرى بعض الباحثين أن شعر الطبيعة شعر حديث ليس له صلة بالادب اليوناني القديم (راجع ٩٨ الفن ومذاهبه في الشعر العربي)

ملاحظة : شعر الطبيعة هو الشعر الذي يمثل الطبيعة أو بعض ما اشتملت عليه ، والطبيعة : الحي ما عدا الانسان ، والصامت كالحدائق والحقول والغابات والجبال وما إليها (ص ١١ شعر الطبيعة في الادب العربي تأليف السيد نوفل ط ١٩٤٥)

فامرؤ القيس فى معلقته يذكر المطر والبرق كما يذكر يوم الغدير ولذاته فى نظارة عابرة ، والاعشى يصف روضة من الرياض فى لاميته ؛ وعنترة يصف الذباب وهو يغنى بها فى معلقته كما يصف فرسه والمعارك التى خاضها ، وهكذا تجد فى الشعر الجاهلى والاسلامى صورا كثيرة لمظاهر الطبيعة القريبة من نجوم وسماء وأنهار وأماكن وقفار ورمال :

وفى العصر العباسى أخذ الشعراء يهتمون بأوصاف الطبيعة من ربيع ورياض وأزهار وأنهار وبرك ، ومن سماء ونجوم وكواكب ، ورائية أبى تمام فى الربيع وهائية البحترى فى وصف بركة المتوكل وجيميته فى الربيع مثل جيدة لشعر الطبيعة فى هذا العهد وللغزال يحي بن الحكم البكرى الشاعر الاندلسى المشهور لامية مشهورة [1] وصف فيها البحر ورحلته الى القسطنطينية موفداً من قبل عبد الرحمن ابن الحكم بن هشام عام ٢٢٥ ﻫ الى امبراطور الروم فى مهمة سياسيه ومنها :

قال لى يحي وصرنا   بين موج كالجبال
وتولتنا رياح   من دبور وشمال
فرأينا الموت رأى   العين حالا بعد حال

ولعبد الصمد بن المعذل قصيدة طويلة فى روضة جميلة [2] ؛ واشتهر السرى والصنوبرى م ٣٣٤ ﻫ والتنوخى م ٣٨٤ﻫ بالروضيات [3] ، ولابن وكيع م ٣٩٣ﻫ قصائد فى الرياض [4].

وفى الحق أن العباسيين قبل أبى تمام والبحترى وابن الرومى وابن المعتز كانوا قلما يلجأون الى تصوير الطبيعة التى عاشوا فيها ، وقد ألم بها البحترى وأبو تمام إلماما دون أن يتصل حبها بأعماق قلبيهما ، وأقبل ابن الرومى عليها يصورها تصوير

---

(١) ٤٤٤/١ نفح الطيب
(٢) ١٥/٢ ديوان المعانى ، وراجع ٤٠/٢ المرجع نفسه
(٣) ٣١/٢ المرجع
(١) راجع ٣٢٩ — ٣٣١/١ اليتيمة

العاشق المفتون حيث أولع بالطبيعة وتصويرها وكان يحبها حباً جماً فلا فرق عنده بين الطبيعة والشعور ولا يكاد ينظر الى إنسان إلا تذكر الروضة والبستان [١] ، وقد علل العقاد ذلك بيونانيته [٢] ؛ ووراثته اليونانية أصل فنه الادبى عند العقاد ويضيف اليها طه حسين الثقافة اليونانية الاسلامية التى كان يتثقفها الشعراء فى القرن الثالث [٣] ، ففيه يونانية أصلية ويونانية مكتسبة أهم من الاولى وفيه أيضا إسلامية مكتسبة ففى فنه عناصر ثلاثة تؤثر فيه لا عنصر واحد [٤] .

أما ابن المعتز فقدكان شاعر الطبيعة الملهم [٥] ووصافها الممتاز ؛ وله كثير من الآثار فى وصف شتى مظاهرها من رياض وأزهار وقصور وطيور وبرك وميادين ومن نجوم وكواكب وأفلاك وسوى ذلك من شتى أوصاف الطبيعة ؛ كان يعيش مع الطبيعة عيشه الهائم المتبتل والفنان الشادى والمصور المفتون ، منحها شعوره وشعره وهيامه وفنه أكثر من أى شاعر آخر سبقه وأولع بتصوير كثير من مظاهرها المتعددة .

وإن شئت فانظر الى تصويره للربيع ، حدث جعفر بن قدامة قال : كنت أسرح مع ابن المعتز فى يوم من أيام الربيع بالعباسية والدنيا كالجنة المزخرفة فقال :

حبذا آذار شهرا فيه للنور انتشار
ينقص الليل إذا جا ء ويمتد النهار

---

(١) راجع ٢٨٢ — ٢٨٨ ابن الرومى للعقاد

(٢) ٢٨٢ المرجع وينقد ذلك الرأى صاحب « الفن ومذاهبه فى الشعر العربى » (٩١ و ٩٩)

(٣) ٢٣٧ من حديث الشعر والنثر

(٤) ٩٣ الفن ومذاهبه

(٥) ويقول احد الباحثين عنه كان يحب الطبيعة ويفتن بها لكنه تستهويه الصورة قبل كل شىء ، وهو فى اخراجه للصور والاشكال يحتال ويتأنق ويكتفى بالاشارة ويستخدم براعة عجيبة (١٨٢ شعر الطبيعة فى الادب العربى) ، فهو مفتون بالطبيعة يرى فيها صورا جذابة (١٨٨ المرجع)

نقشـه آس ونسر ين وورد وبهار [١]
وعلى الارض اخضرار واصفرار واحمرار
فكأن الروض وشى بالغت فيه التجار

وانظر اليه يصف الروض والازهار والطبيعه .

والروض مغسول بليل ممطر جلالنا وجه الثرى عن منظر
كالعصب أو كالوشى أو كالجوهر من أبيض واحمر واصفر
وادمع الغدران لم تكدر كأنه دراهم فى منثر
والشمش فى اضحاء جو أخضر كدمعة حائرة فى محجر
نسق عقارا كالسراج الازهر يديرها كف غزال أحور
تخبر عيناه بفسق مضمر يعلم الفجور من لم يفجر

وأبو هلال يعجب بهذه الاوصاف [٢] :

ويقول فى وصف روضة :

تضاحك الشمس أنوار الرياض بها كأنما نثرت فيها الدنانير
ويأخذ الريح من دخانها عنقا كأن تربتها من مسك كافور [٣]

ويقول :

وانظر إلى دنيا ربيع أقبلت مثل النساء تبرجت لزناة
والريح قد باحت بأسرار الندى وتنفس الريحان بالجنات

وهو من قول ابن الرومى :

أصبحت الدنيا تروق من نظر بمنظر فيه جلاء للبصر

(١) ١٤٥ / ٩ الاغانى
(٢) ١٦ / ٢ ديوان المعانى
(٣) ٢٤٤ / ١ فوات الوفيات

تبرجت بعد حياء وخفر　　نبرج الأنثى تصدت للذكر

وبستانيته التي هي جزء من أرجوزته في ذم الصبوح مثل جيد لأوصاف الطبيعة في شعره (١) .

ويصف الآزريون فيقول :

وروضة كأنها　　جلد سماء عارية
كأنما أنهارها　　مياه ورد جارية
كأن آذر ريونها　　غب سماء صافية
مداهن من ذهب　　فيها بقايا غالية (٢)

ويقول في النرجس :

عيون اذا عاينتها فكأنما　　وقوع الندى من فوق أجفانها در
محاجرها بيض وأحداقها صفر　　وأجسادها خضر وأنفاسها عطر

ويقول في البنفسج :

ولا زوردية تزهو بزرقتها　　بين الرياض على حمر اليواقيت
كأنها فوق قامات ضعفن بها　　أوائل النار في أطراف كبريت (٣)

وله في ليمونة (٤) .

---

(١) ٢٤١ و ٢٤٢ / ٢ زهر ، ٣٠٧ د وانه ؛ ١٠٨ رسائل ابن المعتز

(٢) أخذه البوشنجي فقال في الآذريون (٨٩ / ٤ اليتيمة :

كدهن من ذهب أحمر　　مضمنا مسكا الى نصفه

(٣) يصحح أبو هلال أنه في الخرم لا في البنفسج بدليل قوله « كانها فوق قامات ضعفن بها » لان ساق البنفسج لايضعف عن حملة وردتها ، وهذا الوصف بالخرم أشبه لـ كبر نوره ودقة ساقه (٢٤ / ٢ ديوان المعاني

(٤) يشبهه قول ابن الحسن الشامي في المشمش :

مثقب الهامات من غير ثقب　　كانه بنادق من ذهب

كأنهـــا كافـورة لهـا غشاء من ذهب

وفى التارنج :

وكأنما النارنج فى أغصانه من خالص الذهب الذى لم يخالط
كرة رماها الصولجان الى الهوا فتعلقت فى جوه لم تسقط [١]

وله فى أوصاف الرياض والأنهـار والأزهار وشتى مظاهر الطبيعـة كثير من الاوصاف الجيدة الممتازة التى ترفعه الى القمـــة مع أكبر وصافى الطبيعة فى الادب العربى حتى العصر الحديث .

الطرد فى شعر ابن المعتز :

الصيد ووصف افتراسه كان مألوفا ببساطة فى الشعر الجاهلى لأنه كان مألوفا فى الحياة الجاهلية الساذجة ، وفى شعر النابغة مثل كثيرة له ؛ وكذلك عند بعض الشعراء سواه ، وفى العصر الاسلامى هجر الناس اللهو وعاشوا حياة كلها جد وإقدام ونشاط وعمل فانصرفوا عن الصيد إلا قليلا منهم كالشمردل بن شريك [٢] فله فى الصيد والطرد أراجيز حسان [٣] ؛ وفى العصر العباسى نبغ أبو نواس فى الطرد وكاد أن يخلق هذا الباب خلقا جديدا ، فنظم الأراجيز فى وصف كلاب الصيد : وآلاته وافتراسه ووصف الرحلات التى كان يقوم بهـا للصيد واشتهر بالاجادة فى هذا الباب وعكف عليه تجويدا وتجديدا ولم يتابعه أحد من الشعراء بعده فيـه إلا ابن المعتز الذى اشتهر بالصيد والطرد شهرة أبى نواس [٤] ، ويشيد بطردهما

---

(١) وقريب منه قول أبى الحسن العتيلى فى نارنجة

اذا ميلتها الريح مالت كاكرة بدت ذهبا فى صولجان زمرد

(٢) شاعر اسلامى من بنى غطفان وكان شاعر فصيحا وفارسا شجاعا (٣٦٦ / ١ شرح الحماسة)

(٣) ١٣٩ المؤتلف

(٤) ٢٨٠ / ٢ العمدة ، ١٢٥ / ٣ الرافعي

الحاتمي فى مناظرته للمتنبي [1] ، وللناشيء م ٢٩٣ هـ طرديات على أسـلوب أبى نواس [2] .

وصف ابن المعتز الصيد ورحلاته وآلاته من كلاب وفهود وبزاة وغربان وصقور وسواها من أسلحة ، ووصف لذاته به ولهوه فيه ، كل ذلك فى قصائد يغلب أن تكون من الرجز ويغلب عليها صبغة الغريب ، وهى مع ذلك جميلة ساحرة دقيقة الوصف والتصوير والتشبيه ، وطردياته هى الباب السابع من ديوانه ، وفيها كثير من الصور البيانية الجميله والتشابيه الساحرة البديعة مما يرفع من مكانته فى هذا الفن الذى لا ينظم فيه إلا القليل من الشعراء ، وسأذكر قليلا جدا من شعره فى هذا الباب :

قال يصف كلبة الصيد :

لما تعرى أفق الضيـاء　　　مثل ابتسام الشفة اللمياء
وشمطت ذوائب الظلمـاء　　　قدنا لعين الوحش والظباء
داهية محـذورة اللقاء　　　تحملها أجنحة الهـواء
أسرع من جفن إلى إغضاء　　　وخطفا موثق الأعضاء
كأثر الشهاب فى السماء　　　ويعرف الزجر من الدعاء
بأذن ساقطة الأرجاء　　　كوردة السوسنة الشهلاء
ذا برثن كمثقب الحذاء　　　ومقلة قليلة الأقـذاء
صافيـة كقطرة من ماء

ويصف فرس الصيد :

اسرع من ماء الى تصويب　　　ومن نفوذ الفكر فى القلوب

---

(٥) ٩٠٥ / ٦ معجم الادباء
(١) ٤٧١ / ١ وفيات الاعيان

ومن رجوع لحظة المريب   نار لظى باقية اللهيب

ويقول فى كلب الصيد :

ذى مقلة تهتك أستار الحجب   كأنها فى الرأس مسمار ذهب

ويقول فى الباشق :

لا يتقيه هارب بفوت   لاعيب فيه غير عشق الموت

ويقول فى البازى :

يركض فى الهواء بالجناح   كركض طرف السبق فى المراح

ويقول :

لما غدونا بسحر   نأخذ أرضا ونذر
وقام رام فابتدر   أوتر قوسا وحسر
إذا رمى الصنف انتثر   فارتاح من حسن الظفر

وقال فى البازى :

يحز أعناق الرياح حزا
وسامها قبضا ونقرا وخزا
يطلب فى رؤوسهن كنزا

والبيت الاخير فى نهاية الروعة والجودة ، ويقول فى كلبة صيد .

وكلبة غدابها فتيان   أطلقهم من يده الزمان
كأنها إذا تمطت جان   والنجم فى مغربه وسنان
والصبح فى مشرقه حيران   كأنه مصبح عريان

فستجد روعة لا يماثلها روعة فى التصوير والوصف وسحر البيان ؛ إلى غير ذلك مما وصف به كلاب الصيد وبزاته ونسوره وأقواسه وأوتاره وأسراب الوحوش

والطيور والظباء وسوى ذلك من شتى معانى طرده الجيد البارع التى تمتاز بروعة التشبيه وجمال الوصف وتنوع الخيال وسموه .

خمريات ابن المعتز :

وصف الخمر ومجالسها قديم فى الشعر العربى ، وكان الأعشى امام هذه الصناعة فى الجاهلية [١] ، وممن ألموا بوصفها عمرو بن كلثوم فى معلقته ؛ وبعد عهد الجاهلية اشتهر بوصفها أبو محجن الثقفى [٢] وعمرو بن حسان بن هانى [٣] ويزيد بن معاوية [٤] والوليد بن يزيد [٥] وقد ذهب به الشراب كل مذهب [٦] ، ثم أبو الهندى [٧] وكان جماعة مثل أبى نواس والخليع وأبى هفان وطبقتهم انما اقتدروا على وصف الخمر بما رأوا من شعر أبى الهندى وبما استنبطوا من معانى شعره [٨] ؛ وكذلك كان سحيم [٩] ؛ وللأخطل شهرة واسعة فى باب الخمريات فى العصر الأموى وهو وارث الاعشى فى هذه الصناعة ؛ على أن ذلك لم يجعل الخمريات بابا مستقلا من أبواب الشعر العربى فلما جاء العصر العباسى بترفه ولهوه ومجونه

---

(١) ٢٤ حلبة الكميت للنواجى

(٢) ١٦٢ الشعر والشعر

(٣) ٢٣٢ معجم الشعراء

(٤) ٩٧ و ٢٠٤ و ٣٤ حلبة الكميت ، وله فيها أشعار (٣٠ و ٤٠ و ٨٤ و ١٢٢ و ١٣٩ حلبة الكميت) وربما كان ذلك من دعاية خصومه السياسيين

(٥) ٩٨ حلبة الكميت

(٦) ٣٢٨ / ٤ العقد ، وراجع ترجمته فى مهذب الاغانى (٥٧ — ٩٢ / ٧) ، والوليد هو الذى جمع ديوان العرب وأشعارها وأنسابها وأخبارها ولغاتها (١٣٤ فهرست)

(٧) ٢٢ و ٩٦ حلبة الكميت ، ٤١ / ٢ الكامل ، ٣٢٣ / ٤ العقد ، ٥٨ — ٦١ طبقات الشعراء لابن المعتز

(٨) ٦١ طبقات ابن المعتز

(٩) وله فى الراح :

هى الحيا والحياة واللهو لا أنت ولا ثروة ولا ولد

وبحرية الحيـــاة فيه اتسع هذا البـاب ونظم فيه كثير من كبار الشعراء وقصدوا إليه على أنه باب مستقل من أبواب الشعر ومذهب خاص من مذاهب القريض ، واشتهر به أبو دلامة (١) ؛ وفاق الجميع فيه أبو نواس فلم يعدل بوصف الراح شيئا حتى بلغ ماقاله فيها بضعة آلاف من الابيات ولذلك عد إمام واصفيها بالاجماع وكان يحتذى فى أوصافه لها الوليدين يزيد ، وله فيها معان لم يأت بها غيره (٢) ، وهو من المجيدين فى وصفها (٣) ، وكان يقول :

أشعارى فى الخمر لم يقل مثلها وأشعارى فى الغزل فوق أشعار النـاس وهما أجود شعرى ان لم يزاحم غزلى ماقلتـــه فى الطرد (٤) ، ويشيد الجاحظ بخمرياته (٥) والمأمون (٦) وصاحب الموشح (٧) ، وكان يغير على معانى الحسين ابن الضحاك فى الخمريات (٨) ، وكذلك اشتهر بالخمريات ديك الجن ، ويقول الصولى : سمعت بعض العلماء بالشعر يقول : أول الشعراء المتقدمين فى صفة الخمر الأعشى ثم الأخطل ثم أبو نواس ثم الحسين بن الضحاك ثم ابن المعتز (٩) .

والخمريات فن من فنون الشعر عند ابن المعتز أجاد فيه وأحسن وفاق كثيرا من نظرائه ، وقارب إن لم يكن وافق شاعر الراح المبدع أبا نواس . ولم لا يجيد ابن المعتز فى وصف الراح والساقى والنديم ومجالس الأنس والشراب وفى وصف

---

(١) ١٧ طبقات ابن المعتز

(٢) ٣٢٣ الشعر والشعراء

(٣) ٢٨٠ / ٢ العمدة ، ١٢٥ / ٣ الرافعى ، ٢١٢ / ٧ مهذب الاغانى

(٤) ٢١٠ / ٧ مهذب الاغانى

(٥) ١٤١ و ١٤٢ / ٤ العقد

(٦) ١١١ حلبة الكميت

(٧) ٢٨٢ الموشح للمرزبانى

(٨) ٣٠ / ٤ معجم الادباء

(٩) ١١٤ الاوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء

الكأس وصفائها والراح وعتقها وسورة الخمر ودبيبها فى الأعضاء وتلألؤها بالنور والضياء وامتزاجها بالنمير العذب من الماء ، وفى كل ما يمكن لشاعر صادق الشعور قوى الأنس الى الراح أن يتكلم فيه من معان وينطق به من أساليب ويعرض له من خيال فى خمرياته ، وهو شاعر الجمال والنعيم والترف واللهو واللذة وشاعر الشعور الصادق والقلب الخافق بالحياة وحبها ؟ بل لم لا يجيد هذه الاجادة وحياته وعاطفته فى عهد الشباب كانت صورة واضحة لهذه الاشياء وتلك الالوان ولذاته كانت هى تلك اللذات الجميلة وتلك السعادة المشرقة بالفرح واللهو والسرور ؟ أليس هو الذى هو :

تعالوا فسقوا أنفسا قبل موتها ليأتى ما يأتى وهن رواء
نبادر أيام السرور فانها سراع وأيام الهموم بطاء
وخل عتاب الحادثات لوجهها فان عتاب الحادثات عناء

ويقول :

بحياتى يا حياتى اشربى الكأس وهاتى

ويقول :

إذا كان يومى ليس يوم مدامة ولا يوم ندمان فما هو من عمرى
وإن كان معمورا بعود وقينه فذلك مسروق لعمرى من الدهر

ويقول :

وما الملك فى الدنيا بهم وحسرة ولكنما ملك السرور هو الملك

ويقول :

أعاذل قد أبحت اللهو مالى وهان على مأثور المقال
دعينى هكذا خلقى دعينى فما لك حيلة فيه ولالى
وساق يجعل المنديل منه مكان حمائل السيف الطوال
غلالة خده صبغت بورد ونون الصدغ معجمة بخال

بكأس من زجاج فيه أسد　　فرائسهن ألباب الرجال (١)

ولابن المعتز كثير من آيات الشاعرية الجيدة فى الخمر وكل ما يتصل بها ، يقول :

قل لمن حي فأحيا　　ميتاً يحسب حيا
ما الذى ضرك لو أبقيت　　لى فى الكأس شيا
إن يكن رشدا فرشدا　　أو يكن غياً فغيا
قد تولى الليل عنا　　وطواه الغرب طيا

ويقول :

لا تملا حثنا واسقيانا　　قد بدا الصبح لنا واستبانا
واقتلا همى بصرف عقار　　واتركا الدهر فما شاء كانا
إن للمكروه لذعة شر　　فاذا دام على المرء هانا
وامزجا كأسى بريقة شر　　طاب للعطشان وردا وحانا

ويقول :

---

(١) أحسن ما شاء فى هذا الشيطروان كان أصل المعنى لأبى نواس فى ذكر تصاوير الكأس :

قرارتها كسرى وفى جنباتها　　مها تدريها بالقسى الفوارس
فللراح ما زرت عليه جيوبها　　وللماء ما دارت عليه القلانس

ولأبى نواس أيضا :

بنينا على كسرى سماء مدامة　　مكللة حافاتها بنجوم

ولابن المعتز فى هذا المعنى :

بمج سلاف الخمر فى عسجدية　　توهج فى يمناه كالكوكب الفرد
محفرة فيها تصاوير فارس　　وكسرى غريق حوله خرق الجند

ويذكر النواجى فى حديث طويل السبب فى تصوير كسرى وقيصر فى كؤوس الراح (١٦٩ وما بعدها حلبة الكميت) ، وقول ابن المعتز « فرائسهن ألباب الرجال » أخذه « ابن هندو » فقال : تقلد سيفا يقد العقولا

وندامای فی شباب وحسن ... أتلفت ما لهم نفوس كرام
بين أقداحهم حديث قصير ... هو سحر وما سواه كلام
وغناء يستعجل الراح بالراح ... كما ناح فى الغصون الحمام
وكأن السقاة بين الندامى ... ألفات بين السطور قيام

ويقول :

لم ينم ليلى ولم أنم ... مفردا بالوجد والسقم
فاسقنى للراح صافية ... تنشر الاصباح فى الظلم
رحلها كف تسير به ... من فم الابريق نحو فمى
لا تلم عقلى ولم طربى ... إن عقلى غير متهم

ومطلع هذه القصيدة من قول أبى نواس :

ياشقيق النفس من حكم ... نمت عن ليلى ولم أنم

وله :

أباح عينى لطول الليل والأرق ... وصاح إنسانها فى الدمع بالغرق
ظبى مخلى من الأحزان أوقره ... ما يعلم الله من حزن ومن قلق
كأنه وكأن الكأس فى يده ... هلال أول شهر غاب فى شفق [1]

---

(١) وله فى هذا المعنى كما فى فصول التماثيل (ص ٣١) :

كأنما نصب كأسه قمر ... يكرع فى بعض أنجم الفلك

وينسب للحسين بن الضحاك (١٧٣ / ٢ العمدة)

وله أيضا فيه :

ابصرته والكأس بين فم ... منه وبين أنامل خمس
فكأنها وكان شاربها ... قمر يقبل عارض الشمس

(٣١ فصول التماثيل ، ١١٦ سدرة الأدب فى متشابهات العرب) وينسبان لابن الرومى (١٧٣/ ٢ العمدة)

ولابن المعتز فيه

كاننا والورى رقود ... نقبل الشمس فى الظلام

وأصل المعنى لابى نواس :

اذا عب فيها شارب القوم خلته ... يقبل فى داج من الليل كوكبا

وقد أخذه من الحسين بن الضحاك كما فى العمدة (٧٣ / ٢)

ولَه :

أى حسن تخفى الدنان من الرا ح وحسن تبديه منها الكئوس

من كميت كأنها أرض تبر فى نواحيه لؤلؤ مغروس (١)

ولابن المعتز وهو من عجائب أوصافه وتشبيهاته كما يقول الثعالبى :

وقديما كرنى الساقى فأشر بها راحا تريح من الأحزان والكرب

وأمطر الكأس ماء من أبارقه فأنبت الدر فى أرض من الذهب

وسبح القوم لما أن رأوا عجبا نورا من الماء فى نار من العنب

لم يبق منها البلى شيئا سوى شبح يقيمه الظن بين الصدق والكذب

ما زال يقبض روح الدن فى لطف كما تطفل سلك الدر فى الثقب (٢)

وقصيدته :

أمكنت عاذلتى من صمت أباء ما زاده النهى شيئا غير إغراء

عارض بها قصيدة للحسين بن الضحاك مطلعها :

---

(١) وأصل المعنى لابى نواس .

كأن صغرى وكبرى من فقاقعها حصباء در على أرض من الذهب

ولديك الجن . فأتت كؤوسكما على ما خيلت كالتبر معجونا بماء لجين

ولابن الرومى . لها صريح كأنه ذهب ورغوة كاللآلىء الفلق

(٢) من قول ابراهيم بن سيار :

ما زلت آخذ روح الدن فى لطف وأستبيح دما من بطن مجروح

حتى انثنيت ولى روحان فى جسدى والدن مطروح جسم بلا روح

(٣٠٥ فصول التماثيل) وينسبان لابى نواس (١٤٩ ديوان أبى نواس)

بدلك من نفحات الورد بالآء ... ومن صبوحك در الأبل والشاء (١)

ويقول :

كتبت وفى يدى قدح ... فأكثر نقلنا القبل
وقد غنى على قدحى ... ثقيل بعده رمل
أتيتك عائذا بك ... منك لما ضاقت الحيل
وصيرنى هواك وبى ... لحسينى يضرب المثل
فان قتل الهوى رجلا ... فانى ذلك الرجل (٢)

ويقول :

تخفى الزجاجة نورها فكأنها ... فى الكف قائمة بغير إناء (٣)

وفى معناه قوله .

أتت دونها الأيام حتى كأنها ... تساقط نور من فتوق سماء

---

(١) ٨٢ / ٤ مختارات البارودى ، والقصيدة نسبها أبو نواس لنفسه ، والآء ثمر شجرة تسمى سرحة يأكله النعام ، ومطلع قصيدة ابن المعتز من قول أبى نواس :

دع عنك لومى فان اللوم إغراء ... وداونى بالتى كانت هى الداء

وأصل المعنى للأعشى :

وكاس شربت على لذة ... وأخرى تداويت منها بها

ثم تلاه مجنون ليلى :

تداويت من ليلى بليلى من الهوى ... كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

وللبحترى : تداويت من ليلى بليلى كما اشتفى ... بماء الربى من بات بالماء يشرق

وكان الناس يستجيدون قول الاعشى إلى أن قال ابو نواس بيته فزاد فيه معنى اجتمع له به الحسن فى صدره وفى عجزه فللأعشى فضل السبق عليه ولأبى نواس فضل الزيادة (١٣ الشعر والشعراء ، ١٣ فصول التماثيل ، ٢٤ حلبة الكميت ، ٢٣٨ الموشح)

(٢) ٨٥ فصول التماثيل

(٣) ينسب لابن المعتز كما فى ديوانه وللبحترى (١٢ الموازنه وديوان البحترى) ولابى تمام كما فى ديوانه

وله أرجوزة طويلة يذم فيها الصبوح ومطلعها :

لى صاحب قد لامنى وزادا ... فى شربى الصبوح ثم عادا
قال ألا تشرب بالنهار ... وفى ضياء الفجر والأسحار

وهى حوار أدبى جميل ويفيض فيها فى شرح عيوب الصبوح من سوء أخلاق الساقى من أثر النوم ومن شدة البرد والحاجة الى النار للدفء وما يصحب النار من شرر يرمى به الجمر الى الأحداق ويحرق الملابس وترتفع شمس الضحى فيقبل الزائرون ممن يحتشم منهم فتقطع لذة الراح وهكذا يعدد معايب الصبوح عيبا بعد عيب الى نهاية الأرجوزة وهى فريدة فى الادب العربى وتمتاز بأسلوبها القصصى الجميل وحوارها الادبى الممتع وتشبيهاتها الفنية الرائعة وصورها الادبية البديعة وخيالها الشعرى المنوع وما فيها من أثر الفكاهة والمجون وهى من أجمل آثار ابن المعتز ومنشورة فى رسائل ابن المعتز ، ولابن المعتز قصيدة [1] يذم فيها الشرب فى يوم الغيم والمطر وأولها :

أنا لا أشتهى سماء كبطن ... العير والشرب تحتها فى خراب
إنما اشتهى الصبوح على وجه ... سماء مصقولة الجلباب
حين تبدو الشمس المنيرة كالد ... ينار تجلوه سكة الضراب

ثم ينقضى شباب ابن المعتز وتجىء رجولته فيترك الراح ولذاتها وينهاه الامام المعتضد عن شربها :

ونهانى الامام عن سفه الكأس ... فردت على السقاة المدام
عفتها مكرها ولذات عيش ... قام بينى وبينهن الامام

وهو شبيه بقول أبى نواس :

نالنى بالملام فيها إمام ... لا أرى لى خلافه مستقيما

---

(١) راجع جزءا منها فى ذيل رسائل ابن المعتز ص ١٣٧

وبعد فنى خمريات ابن المعتز مرح ولهو ومجون ولذة ولـكنه مرح الشباب ولذة الصبا ونحن لا نقول الا ما يقوله ابن المعتز نفسه :

وكم ليلة للهو قصر طولها   بساقية الـكفين والعـين للخمر
وانى وانْ كان التصابى يحثنى   لأبلغ حاجاتى وأجرى على قـدر
كريم ذنوب ان يصب بعض لذة   يدع بعضها فوق الاحاديث والوزر

— ٧ —

الشعر القصصى فى تراث ابن المعتز

١ — يشتمل الشعر القصصى على سرد واقعة أوحادثة أو سلسلة من الحوادث والوقائع ، والنظم فيـه قديم فى الامم التى اغتذى خيالها بالدين والعادات ، ومن نماذجه المها بهار اتا عند الهنود ، والاوديسا والالياذة عند اليونان [١] ، والانياذة عند الرومان [٢] ؛ ومنها : شاهنامة الفردوس وشاهنامة الشاعر التركى الملقب بالفردوسى الطويل وقد نظمها كما فى كشف الظنون فى مليون وستمائة ألف بيت وكتبت فى ٣٣٠ مجلدا فأمر السلطان بايزيد العثمانى بانتخاب ثمانين مجلدا وإحراق الباقى فترك المؤلف بلاد الروم وذهب الى خراسان فمات فيها كمدا [٣] ، ومنهـا الـكوميديا الالهية منظومـة الشاعر الايطالى دانتى الرائعة نظمها فى أول القرن

(١) راجع تحليلها فى ٢٦٤ وما بعدها التوجيه الادبى ، وهما من نظم هو ميروس وقد نظم الالياذه نحو عام ٨٥٠ ق م

(٢) وهى ملحمة من نظم الشاعر الرومانى فرجيل نظمها فى القرن الاول قبل الميلاد (راجع ٢٦٨ التوجيه الادبى)

(٣) ١٤٦ /٣ الرافعى

الرابع عشر الميلادى ، ومنها الفردوس المفقود للشاعر الانكليزى ملتون وهى ملحمة تصف نشأة العالم وخروج آدم وحواء من الجنة .

٣ — وإذا كان الغرض من الشعر القصصى ما يجمع من التاريخ ويحفظ من الأخبار فذلك موجـــود فى أشعار العرب ولكنهم لم يطيلوا إطالة الألياذة وغيرها (١) ، فالعجم يفضلون العرب فى الاطالة كما فعل الفردوسى فى نظم الشاهنامة وهى ستون ألف بيت من الشعر تشتمل على تاريخ الفرس ، وهـذا لا يوجد فى اللغة العربية على اتساعها وتشعب فنونها وأغراضها (٢) ، أما الشعر القصصى بالمعنى المصطلح عليـه فلم يكن من طبيعة العرب ولا هو من مقتضيات اجتماعاتهم فلم ينظموا فيه قطعا فى جاهليتهم ولم ينظمه من بعدهم لوقوفهم عند حد التقليد (٣) ، أما الأساطير الدينية فليس فى العرب من تعمل لنظمها غـيـر أمية ابن أبى الصلت (٤) ، فقد تكون قصائد أمية بن أبى الصلت خطوة جديدة فى الشعر العربى وبذرة من بذور الشعر القصصى فى آداب اللغة العربية ، وفى العصر العباسى نظم أبان اللاحقى قصيدته « ذات الحلل » ذكر فيها مبدأ الخلق وأمر الدنيا وأشياء من المنطق وغير ذلك وهى مشهورة ومن الناس من ينسبها لأبى العتاهية (٥) ولعلى بن الجهم م ٢٤٩ هـ قصيدة ذكر فيها الخلفاء إلى زمانه وتممها أبو الحسن أحمد بن محمد الأنبارى (٦) ، وامتازت الأندلس بنظم التاريخ والتفوق فى هذا الباب (٧) ، ومن الشعر الأندلسى أرجوزة طويلة فى فتح الأندلس وأمرائها

---

(١) ١٤٧ /٣ الرافعى
(٢) ٣٢٤ المثل السائر . ولأبى العتاهية أرجوزة تبلغ أربعة آلاف بيت وسماها ذوات الامثال
(٣) ١٤٩ /٣ الرافعى
(٤) ١٥٤ /٣ المرجع
(٥) ص ١ الاوراق قسم أخبار الشعراء
(٦) راجع ٦٢ /٢ معجم الادباء
(٧) ٤٢ بلاغة العرب فى الاندلس لضيف

أظمها يحيي بن حكم البكرى الغزال م ٢٥٠ هـ [١] شاعر الأمير عبدالرحمن بن الحكم (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ) ، وقد قلد الغزال فى ذلك أبو طالب عبد الجبار الشاعر فنظم كتابا فى تاريخ فتح الاندلس [٢] وذلك فى أرجوزة طويلة من نظامه [٣] ، ولابن عبد ربه أرجوزة فى تاريخ الناصر وحروبه وأعماله خلال الفترة (٣٠٠ - ٣٢٠) وأولها :

سبحان من لم تحوه أقطار ولم تكد تدركه أبصار

وهى طويلة جدا [٤] ولكنها إلى الشعر التعليمى أقرب منها إلى الشعر القصصى لجفافها وضعف خيالها وبعدها من قواعد الملحمة [٥] ، ولابن عبد ربه فى المنذر ابن محمد من ملوك الاندلس (٢٧٣ - ٢٧٥ هـ) :

بالمنذر بن محمد صلحت بلاد الاندلس الخ [٦] .

ولمحمد بن عبد العزيز من شعراء اليتيمة قصيدة تربى على أربعمائة بيت فى وصف حالة تنقله فى الاديان والمذاهب والصناعات وهى تقارب المعنى المصطلح عليه فى الشعر العربى [٧] ؛ ثم نظم الشعراء المتأخرون فى السيرة النبوية خاصة كالبوصيرى فى بردته وهمزيته ، وتعتبر ألف ليلة وليلة مثالا غير مهذب للشعر القصصى ؛ وهذا هو كل ما أمكن استيعابه عن تاريخ الشعر القصصى فى الادب العربى

---

(١) راجع ٢٧٣ /٣ تاريخ آداب اللغة للرافعى

(٢) ٢٧٣ /٣ الرافعى ، ٤٢ بلاغة العرب فى الاندلس

(٣) راجعها فى ص ٤٠٥ وما بعدها /٢ الذخيرة لابن بسام

(٤) راجعها فى ٢٠٩ — ٢٢٧ /٣ العقد

(٥) ٣١٨ الادب العربى للزيات

(٦) ١٤٠ /٣ نفح الطيب

(٧) ١٥٤ /٣ الرافعى

٣ — وابن المعتز فى هذا الباب لا يلحقه أحد من شعراء العربية قبله ، فقد نهض بهذا الفن نهضة كبيرة ووضع أساس الملاحم فى الشعر العربى ، وله فيه آثار خالدة نظمها على أسلوب المزدوجات [١] ومن هذه الآثار :

(ا) أرجوزته فى تاريخ المعتضد وتبلغ نحو الأربعمائة والعشرين بيتا ، وهى صورة مصغرة لنمط الملاحم كالألياذة والشاهنامة وسدت بعض القص الذى يوجد فى الشعر العربى [٢] ، وهى فى ديوان ابن المعتز ، [٣] ، وطبعت وحدها فى مصر عام ١٩١٣ ، وقد نشرها وشرحها وترجمها الى الالمانية لانج الالمانى وطبعت فى المجلة الإلمانية الشرقية عام ١٨٨٦ م [٤] ، وفعل مثل ذلك لوث وطبعها فى ليبسك عام ١٨٨٢ [٥] ، وقد نشرتها وشرحتها على نظام جديد [٦] ، والارجوزة لها أهمية تاريخية كبيرة ، وهى تصوير رائع للحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى هذا العهد الحافل ، وأكبر أثر تاريخى لعصر المعتضد ، ومطلعها :

باسم الاله الملك الرحمن ذى العز والقدرة والسلطان
ومنها : هذا كتاب سير الامام مهذبا من جوهر الكلام
أعنى أبا العباس خير الخلق للملك ، قول عالم بالحق

ويروى عن ابن المعتز أن المعتضد أمره بتأليف كتاب فى سيرته فقال قصيدته

---

(١) ألف الشعر العربى الازدواج من قبل العصر العباسى حتى نظم عليه الوليد بن يزيد خطبة دينية خطب بها الناس يوم جمعة ومطلعها .

الحمد لله ولى الحمد أحمده فى يسرنا والعسر

الخ (راجعها فى ٨٠ و ٨١ /٧ مهذب الاغانى

(٢) ٢٥ و ٢٦ /١ ظهر الاسلام

(٣) ١٥٢ — ١٧٤ الديوان

(٤) ٢٨٠ المجلد الاول من دائرة المعارف الاسلامية ، ١٦٣ / ٢ زيدان

(٥) ١٦٣ /٢ زيدان

(٦) ٨٠ — ١٠٧ رسائل ابن المعتز

ووجه بها اليه وختمها بأبيات مرتبة بعد وفاته وحفظها المعتضد جارية له فكانت تنشده إياها كثيرا واقتصر بها عن الكتاب الذى أمر بتأليفه (١)، وأنا أرجح أنها نظمت بعد وفاته ولم تنظم فى حياته .

(ب) وفى زهر الآداب : وكان ابن المعتز يمدح الموفق وقد ذكر الصولى فى قصيدة لصاحبه فقال وقد اقتص خلفاء بنى العباس من أولهم :

ومعتمد من بعدهم وموفق ... يردد من إرث الخلافة ما ذهب
ينازله فى كل فضل وسؤدد ... وان لم يكن فى العدمنهم لمن حسب (٢)

فهل لابن المعتز أرجوزة أخرى فى تاريخ الخلفاء العباسيين ؟

(ج) وارجوزته فى ذم الصبوح من اقرب الآثار الادبية الى الشعر القصصى واسلوبها ممزوج بالدعابة والمرح .

وبعد فلعل ابن المعتز هو الشاعر الذى كان له فى الشعر القصصى مجال كبير ومنزلة سامية خلدتها الايام وحفظها التاريخ .

— ٨ —

ابن المعتز والموشحات

الموشح فن جديد من فنون الشعر العربى يمتاز بجماله الفنى وكثرة صورة الشعرية وتعقيدها فى صناعة الشعر وكثرة قوافيه وأدواره وبأوزانه الكثيرة التى تلائم الذوق وتوائم الغناء وتتمشى مع الترف والموسيقى وجمال الفن والحياة .

« والموشح جار على طريقة أهل الروم جاء من بلادهم خاليا من الكلام ليس

(١) ديوان ابن المعتز المخطوط بدار الكتب الملكية
(٢) ٢٠٣ / ٣ زهر

فيه سوى النغمات المخصوصة ثم تأمل العرب أدواره ونظموا الموشحات على مقتضاها ، ويقال أن أول التواشيح هو المنسوب الى أولاد النجار عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فاستقبلوه والجوارى ينشدن :

أشرقت أنوار محمـــد واختفت منه البـدور
يا محمـــد يا محمـــد أنت نور فـوق نور [١]

ولـكن على أى حال هذه صور فنية ضئيلة جدا لا تنسب إلى الموشحات إلا مجازا والصلة بينها و بين الموشح كما عرفه المتأخرون منقطعة أو بعيدة .

وقد وجدت فى الشعر العربى فى العصر العباسى صور شعرية جديدة كالمسمط والمخمس والمزدوج والدوبيت والمواليا والسلسلة ولعل بعض هـذه الصور كان الأساس الأول للموشحات ؛ فالمخمسات نظم عليها محمد بن أبى بدر السلمى [٢] ومحمد ابن عيسى التميمى [٣] ، وسواهما من الشعراء العباسيين ومن أولهم بشار .

والسبب الأول فى اختراع أوزان التوشيح هو الغناء [٤] لأن أوزانه أحفل بالتلحين ـ الذى كان ضرورياً عند شعراء الاندلس ـ من أوزان الشعر [٥] واتخذ فى أول الأول أداة للهو والمجون ، ثم استعمل فى أغراض الشعر الأخرى [٦] ، ولأبى الحسن النميرى الفارسى م ٦٣٨ هـ ، ديوان شعر أكثره موشحات فى

---

(١) ١٣٤ وما بعدها الموشحات لعلام خليل نقلا عن القصيدة الدرويشية فى تحرير السبع الفنون الادبية للشيخ أحمد الدرويش مخطوطة بدار الكتب الملكية

(٢) ٤٤٩ معجم الشعراء

(٣) ٤٥٢ المرجع . ويراها ابن رشيق هى والمسمطات دالة على عجز الشاعر وقلة قوافيه (١/١٥٧ العمدة) وينسب لامرىء القيس مسمط ، وينفى كثير من النقاد نسبته إليه (١/١٥٧ ، ٦٣ و ٩٠ رسالة الغفران)

(٤) ٣/١٦٣ الرافعى

(٥) ٣/٣١٢ المرجع

(٦) ١٥٣ الموشحات

التصوف ، ونظم السيوطى موشحا فى النجوم ونظم الرصافى فيما بعد موشحا ضمنه علم تكوين الأرض والنجوم على رأى الفلاسفة وهو موجود فى ديوانه .

وتنسب لابن المعتز أول موشحة من الموشحات الفنية المعروفة [1] وهى :

أيها الساقى إليك المشتكى قد دعوناك وإن لم تسمع

ونديم همت فى غرته
وشربت الراح من راحته
كلما استيقظ من سكرته

جذب الزق إليه واتكا وسقانى أربعا فى أربع

ما لعينى عشيت بالنظر
أنكرت بعدك ضوء القمر
واذا ما شئت فاسمع خبرى

عشيت عيناى من طول البكا وبكى بعضى على بعضى معى

غصن بان مال من حيث التوى
مات من يهواه من فرط الجوى
خفق الأحشاء موهون القوى

كلما فكر فى البين بكى ويحه يبكى لما لم يقع

ليس لى صبر ولا لى جلد
يا لقومى عذلوا واجتهدوا
أنكروا شكواى مما أجد

(١) وهى موجودة فى ديوانه المخطوط والمطبوع ونقلها كثير من الباحثين المحدثين (٢٧٨ الزيات ، ٤١ بلاغة العرب فى الاندلس ، ٢٧ نظرات فى الادب الاندلس لكيلاني ، ٢١٧ التوجيه الادبي و٧٩ الادب العربى فى الاندلس لمحمود مصطفى)

مثل حالى حقه أن يشتكى　　كمد اليأس وذل الطمع

كبد حرى ودمع يكف

يذرف الدمع ولا يندرف

أيها المعرض عما أصف

قد نما حبي بقلبي وزكا　　لا تقل فى الحب إنى مدعى

وإذا كانت هذه الموشحة صحيحة النسبة لابن المعتز تكون أول موشحة عرفت فى الأدب العربى ويكون لابن المعتز غالبا فضل ابتداع هذا الفن الجميل ، والباحثون يختلفون فى ذلك اختلافا كثيراً .

فيتردد بعض الباحثين فيمن سبق الى اختراع الموشحات : أهو ابن المعتز أم مقدم بن معافر الفريرى الأندلسى [١] ويرى آخر أنه مع ذلك لا يستبعد أن تكون روح ذلك العصر التى أوحت الى أحدهما بهذه الفكرة هى نفسها التى أوحت الى الآخر بها دون تقليد [٢] ؛ ويرى آخرون أن الموشحات فن أندلسى خالص سبق الى اختراعه الاندلسيون [٣] ، وهناك كثيرون جدا من الباحثين يجعلون ابن المعتز هو المبتدع للموشحات .

وفى رأيى أن هذه الموشحة ليست لابن المعتز لأنها بعيدة عن روح الشاعر وعواطفه ولا تمثل شيئا من نظراته فى الحياة ولا فنه الأدبى فى نظم القريض

---

(١) ٢٧٨ تاريخ الادب العربى للزيات ، ٢١٩ التوجيه الادبى

(٢) ٢٧٢ نظرات فى الادب الاندلسى

(٣) ٣٩ و٢ و٤٢ و٢٢٣ بلاغة العرب فى الاندلس لضيف ، ٢٢٥ و١٩٥ /٤ نفح الطيب ط ١٣٠٢ﻫ ٢٤٣ سلافة العصر ، ٥٨٣ مقدمة ابن خلدون ، ١٦١ /٣ وما بعدها الرافعى ، ٩٨ و٩٩ الادب العربى فى الاندلس لمحمود مصطفى ، ١٠٣ العصر العباسى له أيضا ، ص ١ و٢ ح ٢ الذخيرة لابن بسام

وليس فيها تشبيه واحد من التشبيهات التي عرف بها وليس فيها شيء من خصائص فنه في الشعر وعند ما تقرؤها تجد أنك قد انتقلت إلى جو بعيد عن جو ابن المعتز الأدبي وسماته الفنية مما يجعلنا نحكم أنها ليست له وإنما نسبت إليه خطأ ، وسمات الروح الاندلسية أظهر على هذه الموشحة من أي روح أخرى ، ولم يذكر أحد ممن عنى قديماً بابن المعتز من رجال الادب شيئا عن هذه الموشحة ، ولو كانت له لقلده فيها من عاصره أو جاء بعده من شعراء الشرق ؛ ويؤيد ذلك الآراء التي سبق ذكرها والتي تجمع على أن الموشحات فن أندلسي كما يؤيده بعض الباحثين [١] ؛ وقد كنت أظن أن هذه الموشحة لابن معتز الاندلس مروان بن عبد الرحمن الامير الشاعر المشهور وأنها نسبت لشاعرنا خطأ من الرواة ، ولكني وجدت في بعض المراجع نسبتها لابي بكر محمد بن عبد الملك بن زهر الاندلسي الاشبيلي [٢] (٥٠٧ — ٥٩٥ هـ) .

ولابن بقي الاندلسي م ٥٤٠ هـ موشح على نمط هذا الموشح وأوله :

غلب الشوق بقلبي واشتكى ألم الوجد فلبي أدمعي [٣]

ولا ندري من سبق منهما (ابن زهر وابن بقي) الى هذا الوزن ونهج تلك الموشحة ومن هو الذي قلد رفيقه فيها ويغلب على ظني أن ابن زهر هو الذي احتذى حذو ابن بقي في موشحته ، ولشاعر آخر موشحة على هذا النظام وأولها :

هلك الصب المعنى هل لكا في تلاقيه بوعد مطمع [٤]

وبعد فهذه الموشحة ليست لابن المعتز وإنما هي لابن زهر ، وابن المعتز

---

(١) ٤٩ الفن ومذاهبه ، مجلة الرسالة العدد ٤٥٩ من مقال لطه الراوى

(٢) ٢٢ /٧ معجم الادباء ، وابن زهر نشأ بالاندلس وبرع في العربية والشعر وكان يحفظ شعر ذي الرمة وانفرد بالاجادة في نظم الموشحات (٧١ /٢ معجم الادباء ، وراجع ١٠ /٢ وفيات الاعيان ط ١٣١٠ هـ ، ٣١٣ /٣ الرافعي ، ١٩٧ /٤ نفح الطيب ، ٥٨٥ مقدمة ابن خلدون)

(٣) راجع ٣٧ من الموشحات لعلام خليل ، ٢٧٦ نظرات في الادب الاندلسي

(٤) ٩٦ و ٩٧ من الموشحات

هو ليس الذى ابتكر الموشحات وليس هو من الموشحين ، وهو فى غنى عن المجد الذى سيناله باختراع هذا الفن فليس فقيرا فى هذه الشعرى ومجده الادبى حتى يكون بحاجة إلى مجد جديد منتحل وشرف لم تملده إياه ملكاته وأعماله وأدبه ، ومن هنا يدخل الشك فى صحة ما نسب إليه فى ديوانه من شعر ، فلابد أن يكون قد دخله تغيير بسبب كثرة النسخ والنساخ فى شتى الامصار وليس لدينا نسخ متعددة مخطوطة من الديوان حتى يمكن دراستها وتحقيق روايتها ومعرفة أول من نسب لابن المعتز هذه الموشحة ، ويكفينا ذلك من التحقيق فى هذا البحث الآن .

— ٩ —

التشبيه فى شعر ابن المعتز (١)

١ — ولابن المعتز فى فن التشبيه إجادة ، وله به شهرة ، وملكاته فيه ملكات المصور الفنان الملهم . ترجع بواعث هذه الملكة المصورة فى نفس ابن المعتز ، وأسباب تلك القدرة البارعة على تصوير الأشياء وتشبيه بعضها ببعض إلى ذهنه الخصب ، وعقليته الناضجة ، وثقافته الواسعة ، وإلى إحساسه الدقيق ومشاعره المرهفة ، وهيامه الفنى بتذوق الجمال وتصوره وتصويره ، وإلى مظاهر الحياة وترف الحضارة التى عاش فيها كما يقول الثعالبى ، والى مذهب الصنعة الشعرية الذى آثره ليدل بترف الأسلوب على ترف الخيال والفكر والحياة .

عكف ابن المعتز على التشبيه ، وأفرغ فيه جهده ، وراح يوشى به شعره ، ويطرز به قصائده مستمدا مقوماته من حياته التى لم تتح لشاعر ، فأظهر فيه براعة معدومة النظير بما استنبطه من الوان رائعة وصور خلابة (٢) فى كثرة

(١) راجع كتابنا التشبيه فى شعر ابن المعتز وابن الرومى

(٢) ٨٠ الصبغ البديعى لاحمد موسى مخطوط بمكتبة كلية اللغة

هائلة حتى لا تخلو قصيدة من قصائده ولا قطعة من مقطوعاته من عدة تشبيهات نادرة ساحرة ، وهى لا تقف عند وصف الطبيعة والرياض بل تتعداها الى كل شىء يلتقطه خياله ؛ فكانت هذه الملكة القوية ظاهرة ملموسة فى فن ابن المعتز فى سائر شعره وشتى أغراضه ، وان كثر ظهورها فى أوصافه وخمرياته وغزله وطرده ؛ وهو فى هذا يبذ جميع الشعراء الذين لم يكثر التشبيه فى شعرهم هذه الكثرة ؛ نعم شغف ابن المعتز بالتشبيه شغفا شديدا ، وكان له عنده طرافة خاصة حتى حوله الى صبغ له طاقة واسعة ، بل لتمد خرج به عن نطاقه القديم ، فأصبح صبغا مستقلا له أوضاعه التى لا تحصى ، وفى هذا يظهر تصنيعه وتفوقه على شعراء عصره [١] ، وكان صبغ التشبيه أبرز أنواع البديع فى شعره ؛ وكان يعجب بهذا المذهب اعجابا شديدا ، وأكثر من أوضاع صوره وتشبيهاته فى شعره وأفرط فيها حتى أصبح التشبيه عنده صبغا ثريا بأوضاعه المختلفة ، وأظهر فى ذلك مقدرة ممتازة وبراعة لم تتح لشاعر من قبله ، وفى وصفه للرياض [٢] فى أرجوزته فى ذم الصبوح :

أما ترى البستان كيف نورا   ونشر المنشور زهرا أصفرا

مثل واضح لذلك ، فانه ليملكك العجب حين ترى هذه الاوضاع الكثيرة التى استخرجها الشاعر من فن التشبيه وراح يطرز بها هذا الوصف البديع للرياض والتى جمعت تلك الصور الكثيرة التى يغرق فيها البصر والتى يعرضها علينا ابن المعتز فى تلك الالوان والطرائف النادرة .

٢ — وابن المعتز يسبغ على صوره فى التشبيه ظل حياته المترفة المفعمة بألوان الجمال والنعيم ، فيشبه الآذريون بكؤوس الذهب التى يحفظ فيها الطيب وفيها بقية منه ، ويشبه النرجس بكؤوس الدر التى فى حشوها عقيق ، ويشبه العنب

(١) ١٤٥ الفن ومذاهبه فى الشعر العربى

(٢) ٣٠٧ ديوانه ، ١٠٨ رسائل ابن المعتز

بما زن البلور ، ويشبه النار بأشجار الذهب ، ويشبه الهلال بزورق من فضة ، ويشبه مقلة كلب الصيد فى الرأس بمسمار ذهب ، ويشبه دنان الراح المصفوفة بجند قيام مصفوفة حوله ، إلى آخر هذه الاوصاف التى استمدها الشاعر من حياته وبيئته ، والتى تطوف بك فى قصور الوهم والخيال ، والتى إذا طالعتها فى ديوانه ملأت نفسك روعة ، وطارت بك إلى حياة مترفة تسمعها ولا تكاد تراها وتقف على صورة جديدة للتشبيه ذات ألوان متعددة تفيض بالخيال الرائع وتبرز مكامن هذه الحياة المترفة التى نشأ فيها وخالطها ابن المعتز بما فيها من مداهن التبر وأوانى الفضة وصحاف الذهب المحلاة بأنواع الجواهر الكريمة واللآلىء النادرة حتى يخيل الى القارىء أن هذا الصبغ مع عذوبته وعدم تكلفه قد استحال على يد ابن المعتز الى صبغ آخر جديد وذلك هو سر تفرده فى هذا اللون [1] » ؛ وقد أمدته حياته وما فيها من ترف ومشاهدبصور لم يألفها أحد من معاصريه وكان له بذلك التفوق على كل شاعر سواه حتى لا يدانيه أحد من الشعراء فى هذا الباب .

٣ — وتشبيهات ابن المعتز أكثرها تشبيهات حسية يستمدها من بيئته ، فهو يصور مظاهر الطبيعة وشتى ألوان الحياة المادية صورا مادية لها سحرها وجمالها الفنى الرائع ، وقلما يعنى بتصوير الوجدانيات والعقليات ، لان خياله كان ثريا بالالوان المادية للحياة المترفة التى شاهدها وعاش فيها ابن المعتز فلم يؤثر أن يتجاوزها إلى دائرة التخيل والتصوير للحقائق المجردة البعيدة عن مظاهر الاحساس فى الحياة ، فكان لحياته أثر بالغ فى صنعته فى التشبيه ، وجنوحه بها عن حقائق العلم والفلسفة التى استبدت بأبى تمام إلى أصباغ الزخرف الحسى التى مال اليها البحترى أيضا ، وذلك مع المحافظة على عمود الشعر العربى ومع الرقة والسهولة فى الاسلوب ؛ ويقول عبد القاهر : وتقول ابن المعتز حسن التشبيهات بديعها تمنى

---

(١) ٨٠ الصبغ البديعى

تشبيه المبصرات بعضها ببعض وكل ما لا يوجد فيه التشبيه من طريق التأول وما كان من هذا الجنس ولا نريد نحو قوله :

اصبر على مضض الحسود　　فان صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها　　إن لم تجد ما تأكله

وذلك لأن إحسانه فى النوع الاول أكثر وهو به أشهر [١] ؛ وهكذا تجد ابن المعتز يجيد فى شعره فى أصباغ الزخرف الحسى وألوانه المتعددة من جناس وطباق وتصوير ومشاكلة وينأى عن الزخرف العقلى . حتى حين كتب عن صنعة الشعر كتابه البديع فى عصر شبابه ، فليس فيه من ألوان الجمال التى تعتمد على العقل والتفكير إلا المذهب الكلامى الذى نقله عن الجاحظ ونقده ونسبه إلى التكلف ؛ وتقرأ ديوانه فيبهرك جمال صوره المادية وما فيها من دقة وجودة وإحكام تصوير مما يفيض رقة ويسيل عذوبة ويمثل الحياة المترفة فى أروع صورها . على أنه لم يعقد تلك الألوان ولم يمزج بعضها ببعض على نمط ماكان عند أبى تمام ، فأزجاها غالبا مجتمعة دون اتحاد وامتزاج ، وكان ابن الرومى يجيد ويكثر فى تشبيه الحسيات، ولكنه يمزج أصباغها ويعقد فى الوانها ويزجيها مجتمعة مركبة بعكس شاعرنا ابن المعتز ؛ أنظر اليه يقول فى روعة تشبيه وعذوبة أسلوب يصف الهلال :

ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا　　مثل القلامة قد قدت من الظفر

ويقول فى القمر :

ومصباحنا قمر مشرق　　كترس اللجين يشق الدجى

ويقول :

وكأن السقاة بين الندامى　　ألفات بين السور قيام

ويقول فى ليمونة :

---

(١) ٧٥ وما بعدها أسرار ، ٥٤ المصباح لابن مالك

كأنهـــا كافورة لهـا غشاء من ذهب

الى ما سوى ذلك من صوره الحسية الرائعة ، ثم إن هذه التشبيهات الحسية يدور أكثرها كما رأيت حول الأشياء المحسة بحاســة البصر أكثر من سواها من المحسات ولابن المعتز كابن الرومى — فن مستقل فى تصوير الألوان خاصة من بين سائر المبصرات وهو ما يسميه البديعيون « تدبيجا » ، وما يبلغ فيه شاعرنا غاية الجودة والاحسان ، فيقول فى الشمس حين الشروق « كأن سناها صب فى الأرض زريابا » أى ذهبا ، ويقول فى الشمس وشعاعها :

وشارق يضحك من غير عجب كأنه صب على الارض ذهب

والشارق الشمس ، وفى البيت وقف على المنصوب بالسكون .

ويقول :

ووجنــــة كأنما يقدح منها الشرر

ويقول فى الراح بأيدى الندامى :

كأنهم نـــثروا بينهم حريق بأيديهم تستعر

ويقول فى الساقى :

فكأن كفيه تقسم فى أقداحنا قطعا من الشمس

الى آخر هذه التشبيهات الساحرة الجيدة .

٤ — والشعراء يلجأون عادة الى التشبيه ولكن الشاعر الممتاز يترك المبتذل منه ويختار التشبيهات الجديدة المبتكرة ، وقد يجىء ذلك عفوا ومن تلقاء ذاته عند الشاعر المطبوع البعيد المنزع فى تفكيره وفى مرانه الأدبى ، ومن الممكن أن نروض خيالنا على ابتداع تشبيهات جديدة حية ؛ والأغلب أن يتطلب ذلك فى بادىء الامر جهدا ورياضة ، لاجتناب أخذ الاوصاف المألوفة التى هى طافية على سطح تفكيرنا ، وللتنقيب فى طبقة أعمق ، حيث نستطيع أن نظهر مواهبنا الخاصة فى فن التشبيه : ونبتدع معانى وتشبيهات جديدة مقبولة ساحرة ؛ ولقد كان

ابن المعتز ملهما فى هذا الباب ، وله فيه تجديد وابتكار لا يعرف لهما نظير عند الشعراء ، وله فى ذلك كثير جدا مما لا يكاد يحصى .

يقول فى فرسه وشدة عدوه :

كأنما طار تحتنا قزع على أكف الرياح ينتقل (١)

فيجيد ويبلغ حد الجمال الفنى فى التجديد والتصوير :

ويقول فى ورد أهدى له :

كأن أبيضه من فوق أحمره كواكب أشرقت فى حمرة الشفق

ويقول يصف سباق الخيل :

خرجن وبعضهن قريب بعض سوى فوت العذار أو العنان

ترى ذا السبق والمسبوق منها كما بسطت أناملها اليدان

فترى صورة محكمة إحكاما غريبا .

ويقول فى الهلال :

انظر الى حسن هلال بدا يهتك من أنواره الحندسا

كمنجل قد صيغ من فضة يحصد من زهر الدجى نرجسا

فلا تجد أجمل ولا أبلغ من هذه الصورة « ولقد شبه فيكتور هوجو الهلال بمنجل ذهب فراع أصحاب الأدب الفرنسى » (٢) ، ولكن ابن المعتز لا يقف عند هذه الصورة العامة بل يضيف اليها زيادة غريبة ، فالمنجل من فضة ليكون شبها بنور الهلال الفضى ، وهو يحصد الدجى بأضوائه وأنواره ، ولكن المنجل لا يحصد الا الزهور والنباتات ، فليكن للدجى حديقة أو حقل فيه زهور منوعة ، وليحصد المنجل من هذه الزهور نرجسها الذى يكاد يشبه الظلام ، وهذا أروع تفصيل

---

(١) القزع . القطع المتفرقة من السحاب

(٢) ١٤٧ الفن ومذاهبه

وأدق مبالغة وملاحظة لخصائص المشبهات والمطابقة بينهما وبين بعض .

ويقول أيضا فى الهلال :

وانظر اليه كزورق من فضـة   قد أثقلتـه حمولة من عنبر

فهيئة الهلال المنير الذى تترك منه ظلمات الليل قوسا صغيرا مضيئا تشبه هـذا الزورق الفضى المثقل بحمولة عنبر فلا يبدو منه على سطح المـاء إلا قوس صغير شبيه بقوس الهلال (١)

ويقول فى عين البازى : « كأنمـا فى الرأس مسمار ذهب »

ويقول فى النارنج :

وأشجـار نارنج كأن ثمـارها   حقاق عقيق قد ملئن من الدر

ويقول فى حواصل الحمام :

« كأنهـــا صرار لؤلؤات »

وفى العنب :

« كأنه مخـــازن البللور (٢) »

ويقول فى وصف سقاة الراح :

وتحت زنانير شـددن عقودها   زنانير أعكان معاقدها السرر

فهذا تشبيه ما نعلم أنه سبق اليه ، يشبه بالزنانير المربوطة على خصورهن هذه الثنيات التى فى أجسادهن والتى يجعل السرر عقداً لها (٣) .

---

(١) حاول الشعراء فى شتى العصور تقليد ابن المعتز فلم يبلغوا مبلغه فى هذا التشبيه الجيد الجميل ولابن المعتز فى القمر .

فى فر مسترق نصفه   كانه بجرفة العطار

(٢) وينسب لابن الرومى (٣٧ / ٢ ديوان المعانى ، ١٠ / ٢ زهر ، وديوان ابن الرومى)

(٣) وينسب البيت لابى نواس أيضا (٢٣١ / ٢ عمده) وقد أخذه أبو هلال فقال فى تجويد .

وقد شدت زنانيرا   على مثل الزنانير

ويقول فى وصفه الثريا ما لم يسبقه أحد اليه على كثرة ما وصفوا الثريا :

ولقد لمعت بين النجوم كأنها ... قوارير فيها زئبق يترجرج [١]

ويقول فى الآذريون :

مداهن من ذهب ... فيها بقايا غالية

وفى الصبح :

وكأن الصبح لما ... لاح من تحت الثريا
ملك أقبل فى تا ... ج يفدى ويحيا [٢]

ويقول فى الراح :

كأن عناقيد الكروم وظلها ... كواكب در فى سماء زبرجد

ويقول فى النجم يشرق فيه الليل .

وقد تبدى النجم فى سواده ... كحلة الراحب فى حداده

ويقول فى البدر :

والبدر فى أفق السماء كدرهم ... ملقى على ديباجة زرقاء [٣]

---

(١) وفى ألفاظ البيت زيادة على معناه كما يقول أبو هلال (٣٣٥ / ١ ديوان المعانى)، وأخذه الخالدى أو كشاجم فقال

والمشترى وسط السماء تخاله ... وسنان مثل الزئبق المترجرج

(٢) أخذه لوأواء فقال فى تقصير عن بلوغ شأوه .

وكان الهلال تحت الثريا ... ملك فوق رأسه

(٣) أخذ منه أبو طالب الرقى بيته المشهور :

وكان أجرام النجوم لوامعا ... درر نثرن على بساط أزرق

وأخذه سعيد الخالدى فقال :

كأنما نجومها ... فى مشرق ومغرب
دراهم منثورة ... على بساط أزرق

وسوى ذلك من جديد تشبيهاته وجيدها المبتكر ، ولابن المعتز عدا ذلك تشبيهات لها جمالها الفنى البارع ، يقول فى الساقى :

قام كالغصن فى النقا ... يمزج الشمس بالقمر

ويقول فى الفرس وغرته ... « قد سمرت جبهته بنجم »

وفى الراح وصفاتها : « كأنها دمعة من عين مهجور » .

وفى البازى :

يركض فى الهواء بالجناح ... كركض طرف السبق فى المراح

وفى الثريا :

وأرى الثريا فى السماء كأنها ... قدم تبدت فى ثياب حداد

وله :

وماء دارس الآثار خال ... كدمع حار فى جفن كحيل

وتجرح أحشائى بعين مريضة ... كالان متن السيف والحد قاطع

وهو من التشبيه القليل النظير [١]

ويقول :

والريح تجذب أطراف الرداء كما ... أفضى الشفيق الى تنبيه وسنان [٢]

ويقول فى ناقته :

رمت أرض بها أرضا فأرضا ... كنبذ القوم صائبة السهام

وفى حبيبة :

---

(١) ٢٣٦ / ١ ديوان المعانى

(٢) ويقول الثعالبى . وهو من سائر تشبيهاته التى انفردبها (١٨٢ ثمار القلوب)

كأنها حين تبدو من مجاسدها بدر تمزق فى أركانه الغسق

وفى الراح والماء الذى يمزج بها ، والحباب الذى يتولد من ذلك :

وأمطر الكأس ماء من أبارقه فأنبت الدر فى أرض من الذهب
وسبح القوم لما أن رأوا عجبا نورا من الماء فى نار من العنب

ويقول :

إلى أن تعرى النجم من حلة الدجى
وقال دليل القوم قد ثقب الفجر
وقد أديم الفجر حين ترفعت لهم ليلة أخرى كما حوشم النسر

وهو من قول شاعر مطبوع :

على حين أفنى القوم ضر من السرى وطارت بأخرى الليل أجنحة الفجر

ويقول فى شراء الراح :

وزنا لها ذهبا جامدا فكانت لنا ذهبا سائلا

ويقول :

كأن الشدى على صدرها حقاق من الدر فى مرمر
خشين السقوط فأثبتنها بشبه المسامير من عنبر

٥ — وابن المعتز فى تشبيهه مصور بارع ينقل لك بريشته على صفحات شعره البديع صورا تمثل أدق تمثيل ما يصوره لك من أشياء ، وهو فنى فى تصويره ، غنى بذهنه الخصب وخياله المصور الذى يقدر الأشياء ويقدر الصور بمقدارها ثم يخرجها لك تشبيهات تمثل أصلها فى كل خصائصه التى أرادها الشاعر وصوره من أجلها ، مما جعل تشبيهاته تمتاز بدقة التصوير ، وهى ناحية تفوق فيها ابن المعتز وبلغ فيها منتهى الاجادة وتقدم بها كثيرا من الشعراء الوصافين : كان فطنا دقيق الفطنة ملتفتا الى كل ماتتطلبه صوره الشعرية من ألوان وأصباغ فهو يحكم ظلالها وأضواءها

ويلائم بين ألوانها وأشكالها ويخرجها صورا مكتملة الحياة فى كل جزء من أجزائها وكان يوضح الشبه بين الشيئين توضيحا بالغا مهما اختلفا فى الجنس وتباعدا فى الخيال، وكثيرا ما كان يجمع بين المتباينات ويؤلف بين المتنافرات ، مما يدل على دقة الفكر ولطف النظر ونفاذ الخاطر وما يعطيه الناقد فى كثير منه منزلة الحاذق الصانع والمصور الملهم ، فالبنفسج زهر غض يرف تبصر فيه زرقة أوراقه وحمرة ساقه ، فيشبهه ابن المعتز لا بزهر مثله ولا بنبات آخر شبيه به ، ولكن يشبهه بلهب نار لا يستطيع سوى الحاذق أن يتخذ منها له مثالا ، ثم لم يكتف بذلك بل دق فى التصوير ونظر نظرة خاصية غريبة فشبهه بزرقة النار أول ما تشتعل فى الكبريت . فبلغ غاية التصوير وملك زمام الاجادة حين يقول :

ولا زوردية تزهو بزرقتها   بين الرياض على حمر اليواقيت
كأنها فوق قامات ضعفن بها   أوائل النار فى أطراف كبريت(١)

ويقول فى الآذريون :

مداهن من ذهب   فيها بقايا غالية

ويقول :

وحمل آذريونة فوق خده   ككأس عقيق فى قرارتها مسك

والبيت الاول أدق فى التصوير وأبلغ فى التفصيل من الثانى (٢) ، لأن المسك يابس وهو فى الكأس لا يرتفع فى الجوانب ذلك الارتفاع الذى تراه فى السواد فى باطن الآذريونة أما الغالية فهى رطبة فهى تؤخذ بالاصابع فبقاياها ترتفع عن القرارة فتكون شبيهة بذلك السواد ، ثم هى لنعومتها ترق فتكون كالصبغ الذى لا جرم له وذلك أصدق للتشبيه . والبرق فى حركته واستطالته فى أثناء وميضه

(١) وهما فى الديوان براوية أخرى

(٢) ويطيل عبد القاهر فى الاسرار فى شرح البيتين والموازنة بينهما (١٥٣ الاسرار)

يشبه ابن المعتز بالفرس ثم يدق فيجعل الفرس بلقاء ثم يدق فيجعلها تمرح وتجول ليكون قد راعى ما به يتم الشبه وهو معظم الغرض من تشبيهه، وهو هيئة حركته وكيفية لمعه فيقول :

وترى البرق عارضا مستطيلا　　مرح البلق جلن فى الأجلال[١]

ونظيره قوله فى البرق :

وتارة تبصره كأنــــه　　أبلق مال جله حين وثب

فالقصد تشبيه البرق وحده ببياض البلق دون إدخال لون الجل فى التشبيه[٢] ويشبه الصبح والليل جميعا بالفرس الأشهب أجيلت جلا له عن ظهره وقد ظلت عالقة به فيقول :

غدا والصبح تحت الليل باد　　كطرف أشهب ملقى الجلال[٣]

والصبح حين يظهر فى حواشى الظلمة ويدفع الليل دفعا يشبهه ابن المعتز بأشخاص غربان ذاهبة فى الفضاء طائرة فى جو السماء يدفعها الخوف لا الرجاء ؛ فيبدع فى ذلك غاية الابداع حين يقول :

كأنا وضوء الصبح يستعجل الدجى　　نطير غرابا ذا قوادم جون

شبه ظلام الليل حين يظهر فيه الصبح بأشخاص الغربان، ثم شرط أن تكون قوادم ريشها بيضاء لتلائم ضوء الصبح المشرق فى ظلمات الليل ، وأجاد الشبه والتصوير ، وتمام التصوير والدقة والسحر فى البيت أن جعل ضوء الصبح لقوة ظهوره ودفعه لظلام الليل كأنه يحفز الدجى ويستعجلها ؛ ولا يرضى منها بأن تتمهل فى حركتها ثم صور ذلك كله فى قوله « نطير غرابا » دون أن يقول غراب أو غراب

---

(١) البيت فى الوساطة (١٤٩) ويفيض عبد القاهر فى شرحه فى أسراره (١٤٩ الأسرار)

(٢) راجع ١٤٨ الأسرار وما بعدها .

(٣) راجع ١٤٧ وما بعدها أسرار البلاغة

يطـير ؛ لأن الطائر إذا كان واقفا فى مكانه فازعج منه كان ذلك أسرع لطـيره ؛ ومسـيره الى حيث لا تراه العيون ؛ وليس كذلك إذا طار عن اختيار فانه يجوز أن يصير الى مكان قريب من مكانه الأول [١] .

ويقول ابن المعتز وهو من أغرب ما قاله محدث :

وقد رفع الفجر الظـلام كأنه   ظليم على بيض تـكشف جانبه

والشمس فى تموج شعاعها وفى إشراقها واستدارتها يشبهها ابن المعتز بتموج نور المرآة ، ولا يقنع بذلك بل يجعل المرآة فى كف أشل ، ويخرج ذلك فى صورة ساحرة فيقول : « والشمس كالمرآة فى كف الأشل [٢] » . ومن رائع التصوير ودقيق التشبيه وبليغ الوصف قوله فى الفرس وسرعته :

كأن جنـان الفـلاة تضربه   كأن ما يهرب منـه يطلبه [٣]

إلى آخر هده الأوصاف والتشبيهات الرائعة التى تنم عن دقة وتفصيل وعمق وتفـكير بعيد فى صوغ التشبيه مما أعطى صاحبه ميزة التجديد وأكسبه ملـكة الابتـكار والتجويد فى التشبيه .

---

(١) راجع ١٥٤ و ١٥٥ الاسرار ،

(٢) وأنشد به أبو هلال ونسبه لراجز (٣٥٩ / ١ ديوان المعانى) وينسب لابن المعتز ولابى النجم أيضا (١٤٤ / ١ معاهد التنصيص) ، وصدره كما فى ديوان المعانى :

حب عليه قانص لما قل

(٣) ويقول ابن المعتز :

وكابدنا السرى حتى رأينا   غراب الليل مقصوص الجناح

فيجنح الى التفصيل فى صورة الغراب ويصور بهذا القص الغريب لجناح الغراب ما ينتهى إليه أمر الليل وظلمته حين بدا فيه نور الصباح ويقول :

ورفعنا خباءنا تضرب الريح   حشاه كالجاذف المقصوص

فيشبه خباءه القائم الذى تضرب الريح جوفه فتهزه هزا شبيها بما فعل المقصوص إذا جذف وذلك أن يرد بجناحيه إلى خلفه فيتحرك جانباه (راجع ١٩١ الاسرار)

٦ — وابن المعتز يفتن فى أوضاع تشبيهاته الفنية ، فهو طالما يجمع الكثير من الصور الشعرية فى تشبيهه ، ويمتاز فى ذلك بجمال هـذه الصور وعذوبتها وبروح الصنعة الشبيهة بالطبع التى تسرى فيها ، وبأن ألوانها تتراءى لك غالبا دون اتحاد أو امتزاج ؛ يقول فى المعتضد :

وكالليث شد على أقرانه   وكالغيث جاد وكالبدر لاحا

ويقول :

وشعره من ظلام   ووجهه من نور

ويقول :

الغصن فى أثوابه والدر فى   فمه وجيد الظبي فى أزراره

ويقول فى عكس لأطراف التشبيه :

بدر وليل وغصن   وجه وشعر وقد
خمر ودر وورد   ريق وثغر وخد (١)

وله تشبيهات كثيرة يعكس فيها التشبيه ؛

يقول فى حبيبه :

ويكاد البدر يشبهه   وتكاد الشمس تحكيه

ويقول :

كدت أقول البدر شبه لها   أجعلها كالبدر ؟ حاشاها (٢)

---

(١) ويذكر المرتضى أنه لم يجد تشبيه ستة بستة إلا لابن المعتز فى هذين البيتين (٢٣ / ٤ أمالى المرتضى) ؛ ويجعله ابن رشيق من تشبيه ثلاثة بثلاثة (٢٦٢ / ١ العمدة) ، وراجع (٢٥ حسن التوسل ، ٥٨ المصباح)

(٢) وهو قريب من قول مسلم :

فبت أمير البدر طورا حديثها   وطورا أناجي البدر أحسبها البدرا

ويقول :

لا تخلطوا الدوشاب فى قدح بصفاء ماء طيب البزد
لا تجمعوا بالله ويحكم غلظ الوعيد ورقة الوعد [١]

وله فى عكس التشبيه وهو ينم عن دقة وينطق عن جمال وخصب تصوير :

ما يحسن القطر ان ينهل عارضه كما تتابع ايام الفتوح له

ولابن المعتز ايضاً كثير من الصور الشعرية التى يحاول فيها ان يركب التشبيه وقد مضى الكثير منها ، كما فى قوله : « ولازوردية تزهو بزرقتها » .

ويقول :

كم حاسد حنق على بلا جرم فلم يضررنى الحنق
متضاحك نحوى كما ضحكت نار الزبالة وهى تحترق [٢]

ويقول :

اصبر على مضض الحسو د فان صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله [٣]

واغلب هذه الصور الشعرية من التشبيهات الحسية المألوفة . هذا ولابن المعتز فوق ذلك تشبيهات استمدها من معان عقلية وترك فيها حديث المحسات وصورها وهى قليلة فى تشبيهاته بالنسبة لصوره الحسية الكثيرة .

ووجوه البلاد تنتظر الغيث انتظار المحب رجع الرسول

ويقول فى الكأس :

---

(١) راجع شرح عبد القاهر للبيتين فى الاسرار (ص ٢٠٢)

(٢) وهو من قول العباس بن الاحنف :

أحرم منكم بما أقول وقد نال به العاشقون من عشقوا
صرت كأنى ذبالة نصبت تضىء للناس وهى تحترق

(٣) يشرحهما عبد القاهر فى أسراره (٧٨ الاسرار)

فلما صب فيها الماء ثارت كما ثار الشجاع الى الجبان

ويقول فى الراح :

وقد خفيت من صفوها فكأنها بقايا يقين كاد يدركه الشك

ويقول :

صفت وصفت زجاجتها عليها كمعنى دق فى ذهل جليل

٧ — واذا كانت تشبيهات ابن المعتز تصور لك حياته وبيئته الخاصة التى عاش فيها وخالطها وما كان فيها من ترف ونعيم ، فهى مع ذلك تنم عن شعور ، وتصور عواطف صاحبها ومشاعره ووجداناته . وكثيرا ماتقرا له صورا حية يدب فيها دم الحياة ، ويتدفق منها فيض الأحساس ، يقول ابن المعتز يصف وجنة معشوق :

ووجنة كأنها يقدح منها الشرر

فتجد صورة تنبض بالحياة ، وتصور لك إحساس الشاعر وشعوره ؛ ويقول فى منزل أحبابه .

عفا غير سفع ماثلات كأنها خدود عذارى مسهن شحوب

فتبكى وتتألم لهذا الربع العافى ، والديار التى رحل عنها أصحابها .

ويقول .

وصولجان الصدغ مستمكن للضرب من تفاحة الخد

فترى صورة تنم عن إحسان ، وتخفق بالحياة . ويقول .

وضم لم تكن تحسبه فى الريح أغصان

كما ضم غريق سابحا والماء طوفان

فتجد صورة ممثلة للمعنى ، مصورة للشاعر وشعوره حين شبه وصور هذا العناق الرائع الذى يدل على هيام وحب شديد .

ويقول .

ريم يتيه بحسن صورته عبث الفتور بلحظ مقلته

وكأن عقرب صدغه وقفت   لما دنت من نار وجنته (١)

وهذه الصورة رائعة حقا لما أشاعه فيها الشاعر من جمال وبعث فيها من حرارة هي حرارة الوجنات التي يلهبها الفن ويذكيها الشعور . ويقول في ساقي الراح .

وكأن كفيه تقسم في   أقداحنا قطعا من الشمس

ويقول في كلبة الصيد .

وزوبعة من بنات الرياح   تريك على الارض شدا عجب

ويقول في تشبيه السماء وما فيها من نجوم برياض البنفسج تفتح بينها نور الاقاحي .

كأن سماءها لما تجلت   خلال نجومها عند الصباح
رياض بنفسج خضل نداه   تفتح بينها نور الاقاحي

ويقول .

وماء دارس الآثار خال   كدمع حار في جفن كحيل

ويقول .

قد اغتدي والليل في إهابه   كالحبشي فرعن أصحابه

الى آخر هذه التشبيهات الجميلة التي يرسمها ابن المعتز في شعره ، صورا متحركة يعطيها أوضاعا تؤكد حقيقتها وتبعث فيها روح الحياة وتجعلنا كأننا نلمسها ونشاهدها لانها ليست صورا جامدة بل هي حية ناضرة كأنما نقشت رسومها بالامس ، نقشها شاعر كان صبا يبعث الحياة والحركة في صوره حتى ليحس من يقرأ أول ديوانه

---

(١) كانت النساء تجعل شعر أصداغهن على صورة النون أو على صورة العقرب وفي ذلك يقول ابن المعتز البيت (١٩١ /٢ تاريخ الحضارة الاسلامية لميتز وترجمة أبو ريدة ، ٧٣ الفن ومذاهبه)

أنه يعيش فى دار من دور الصور المتحركة [١] » . وإن الإنسان ليذهل إزاء هذه القدرة والروعة فى التصوير حتى ليتمنى أن لو صار اليه شيء من إحساس ابن المعتز حين تمثل هذه الصور .

٨ — وكان ابن المعتز يقصد الى أروع التشبيهات فى الشعر العربى فيصوغها بفنه ويخرجها إخراجا جيدا أو يأتى لها بنظير فى التشبيه .

يقول البحترى فى صفة العناق :

ولم أنس ليلنا فى العنـــا   ق لف الصبا بقضيب قضيبا

فقال ابن المعتز وزاد عليه فى المعنى وجودة التصوير ورقة التعبير :

فلو ترانا فى قميص الدجى   حسبتنا فى جسد واحـــد

ويقول بشار :

وجيش كمثل الليل يزحف بالقنا   وبالشوك والخطى حمر ثعالبه

أخذه ابن المعتز فقال :

وجيش كمثل الليل يسود شمسه   ويحمر من أعدائه البر والبحر

فبالغه فى المعنى وفى التصوير .

وقال كثير

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا   وسالت بأعناق المطى الأباطح

أخذه ابن المعتز فقال :

سالت عليه شعاب الحى حين دعا   أنصاره بوجوه كالدنانير

فقوله « سالت عليه شعاب الحى » يقابله الشطر الثانى كله من بيت كثير فهو أوجز وفى بيت ابن المعتز معان كثيرة وصور مزدحمة يتصل بعضها ببعض مما لا نجد مثله فى بيت كثير .

---

(١) ١٤٨ الفن ومذاهبه

ويقول بشار وهو من أجود ما قيل فى ارتفاع الغبار ولمعان الأسنة فيه :

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا　　وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

ويقول ابن المعتز :

وعم السماء النقع حتى كأنه　　دخان وأطراف الرماح شرار

فقصر عنه تقصيرا واضحا ، وقال الحكم بن مرة المازنى :

كأنما الشمس فى أعطافه لمحت　　حسنا أو البدر من أزراره طلعا

أخذه أحمد بن يحيي العراف الكوفى :

بدا وكأنما قمر　　على أزراره طلعا

وقال أبو نواس :

كأن ثيابه أطلعن　　من أزراره قمرا

وقال الأصمعى فى الرشيد (١) : «كأنما ركب البدر فوق أزراره جمالا»

وقال شاعر :

لا تعجبوا من بلى غلالته　　قد زر أزراره على القمر

وقال ابن المعتز :

يحرك الدل فى أثوابه غصنا　　ويطلع الحسن من أزراره قمرا

ويعده أبو هلال، من أبلغ ما قيل فى حسن الوجه (٢) .

وقال شاعر (٣) فى الهلال وتشبيهه بقلامة الظفر :

---

(١) من كلمة طويلة له (راجع ٤٠٤ /٣ العقد)

(٢) ٢٣٢ /١ ديوان المعانى

(٣) هو عمرو بن أمية كما فى ابن خلكان

كأن ابن ليلته جانحا فسيط لدى الأفق من خنصر [١]

أخذه ابن المعتز فزاد وأجاد وحسن معرضه وسهل [٢] لفظه :

ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا مثل القلامة قدقدت من الظفر

ولابن المعتز فى الهلال وهو من عجيب ما قيل فيه .

إذا الهلال فارقته ليلته بدا لمن يبصره وينعته

كهامة الأسود شابت لحيته

وقد سبق الى هذا المعنى ولم يأخذه من أحد أعرفه ، ونقله الى موضع آخر فقال [٣] .

قد بدا فوق الهلال كرته كهامة الأسود شابت لحيته

وقال أبو نواس فى حباب الراح :

« حصباء در على أرض من الذهب »

فقال ابن المعتز :

من كميت كأنها أرض تبر فى نواحيه لؤلؤ مغروس

وقد أكثر الشعراء من وصف الحديث وفيه يقول بشار :

وكان رجع حديثها قطع الرياض كسين زهرا

وفى هذا المعنى يقول ابن المعتز فى محبوبته شريرة فيحسن غاية الإحسان :

لعمرك ماأجدى هواك سوى المنى على وما ألقاك إلا كما أخلو

و (شر) أحاديث عذاب كأنه جنى النحل لم يمجج حلاوتها النحل

فالناس كلهم شبهوا حلاوة الحديث بحلاوة العسل إلا أن ابن المعتز زاد هذه

---

(١) أى كان ابن ليلته وهو الهلال – لدى الافق فسيط من خنصر ، والفسيط قلامة الظفر ، والبيت فى غاية من سوء الرصف

(٢) ويشيد به النقاد (٣٣٩ / ١ ديوان المعانى ، ٤٦٤ / ١ وفيات ، وراجع ٢١٢ صناعتين ٤١١ خزانة الادب للحموى . يرى ابن الاثير أن بيت ابن المعتز من عكس التشبيه ونقد قول القاضى الفاضل نقدا طويلا (٢ ١٦٢ المثل السائر)

(٣) راجع ٣٤٠ / ١ ديوان المعانى

الزيادة الجميلة .

وقال بعض العرب يصف قوة رائحة الشراب :

كميت تكاد وإن لم تذق تنشى إذا الساقيـــان استدارا

فذكر أنهـا تسكر برائحتهـا وهـــذا من المعـانى الغريبـــة وأخـــذه مسلم فقال :

كفانى من شربهـا شمها فرحت أجرر ثوب الثمـل

وقال ابن المعتز فى إجادة وابداع :

ان راحا قال الاله لهـا كو نى فـكانت روحا وريحا وراحا

درة حيثما أديرت أضـاءت ومشم من حيث ما شم فاحا

وقال أبو نواس فى الـكأس والراح :

بنينا على كرى سمـاء مدامـة مكللة حافاتهـــا بنجوم

فقال ابن المعتز :

وكأس من زجاج فيه أسـد فرائسهن ألبـــاب الرجال

فضعف عنه فى التصوير

٩ — وكان ابن الرومى وهو معاصر لابن المعتز من الشعراء المجيـدين فى التصوير والتشبيه ، وله فى ذلك الباب الـكثيرممـا ينطق بشاعريته ويصور الهامه وفنه (١) » « وفى شعره من مليح التشبيه ما دونه النهايات التى لا تبلغ وإن لم يكن التشبيه غالبا عليه كابن المعتز »(٢) ؛ ويطول بنا البحث لو عرضنا ألوانا من تشبيهاته لنرى الى أى حد بلغ فى هـذا الباب ، وعلى أى حال فمع كثرة التشبيه فى شعر ابن الرومى فانه لم يدرك ابن المعتز فيه ولم يكثر كثرته فى شعره ، وإذا كان التشبيه عند ابن المعتز فن وملـكة فهو عند ابن الرومى رغبة فى ابتداع الصور والمعانى لمـا

(١) راجع التصوير فى شعر ابن الرومى فى (٥٩ — ١٦٩ مراجعات للعقاد) وفى ابن الرومى للعقاد

(٢) ٢٢٦ /٢ العمدة

أراد تصويره من حسيات ووجدانيات ، وألفاظ ابن الرومى وأسلوبه فى التشبيه لا يصلان إلى ما فى ألفاظ وأسلوب ابن المعتز من رقة وعذوبة وسحر وجمال وروح ابتكار ، ولكن ابن الرومى يمزج غالبا صوره ويركب ألوانها وأصباغها من حيثما كان ابن المعتز يزجيها غالبا مجتمعة دون اتحاد أو تركيب ؛ وسنعرض بعض صور من تشبيهات الشاعرين ، نوازن بينها ونبين منزلة كل من الشاعرين فيها وفى فنه فى باب التشبيه عامة ، لتدرك مدى تفوق ابن المعتز فى صبغ التشبيه عمن سواه من الشعراء :

قال امرؤ القيس :

وتعطو برخص غير شثن كأنه ... أساريع ظبى أو مساويك أسحل

وقال ابن الرومى :

أشرن بقضبان من الدر قمعت ... يواقيت حمراً فاستباح عفافى

ولشاعر [1] :

أشارت بأطراف كأن بنانها ... أنابيب در قمعت بعقيق

وقال ابن المعتز :

أشرن على خوف بأغصان فضة ... مقومة أثمارهن عقيق [2]

وقال أبو نواس فى الراح :

إذا عب فيها شارب القوم خلته ... يقبل فى داج من الليل كوكبا

وقال :

وكأنه والكأس فوق بنانه ... قمر يمد بها اليك هلال

---

(١) البيت فى ٦٤ نقد النثر

(٢) ويذكر ابن رشيق أن نفس الحضرى المولد ترغب عن مثل تشبيه امرىء القيس وإن كان تشبيهه أشد إصابة . أن طريق العرب القدماء قد خولفت إلى ما هو أليق بالوقت وأشكل بأهله (٢٦٩ و ٢٧٠ / ١ العمده)

أخذه ابن الضحاك وأحسن :

كأنما نصب كاسه قمر   يكرع فى بعض أنجم الفلك

وقال ابن الرومى فى إجادة عنهما :

فكأنها وكأن شاربها   قمر يقبل عارض الشمس

وقال ابن المعتز وزاد عليهم جميعا :

وكأنه وكأن الكأس فى فمه   هلال أول شهر غاب فى شفق

فركب الصورة [1] فى رشاقة وجمال ، ويشيد ابن رشيق ببيت أبى نواس « إذا عب فيها الخ » [2] ، وينقده الباقلانى نقداً طويلا كما ينقد قول ابن الضحاك « يكرع » ويستجيد بيتى ابن الرومى لولا انه اتى بالمعنى فى بيتين [3] ، واقول ان بيت ابن المعتز قد اربى على كل شعر سواه فى هذا المعنى بفضل اختصاره وعذوبته وتلاحمه وروح الطبع السارية فيه [4] .

وقال ابو نواس :

تبكى فتذرى الدر من نرجس   وتلطم الورد بعناب

أخذه سعيد بن حميد فقال :

وكأنما أثر الدموع بخدها   طل تساقط فوق ورد يانع

وقال البحترى وعكس التشبيه :

شقائق يحملن الندى فكأنه   دموع التصابى فى خدود الخرائد

وقال ابن الرومى فى دموع المحبين وقت الوداع ؛

كأن تلك الدموع قطر ندى   تقطر من نرجس على خد

فأجادو أبدع باختصار اللفظ وحسن السبك .

وقال ابن المعتز وعكس كالبحترى :

---

(١) ١٧٣ الاسرار

(٢) ١٧٣ /٢ العمدة

(٣) ١٧٤ إعجاز القرآن للباقلانى

(٤) وذلك مايشهد به أبو هلال (٣٠٧ /١ ديوان المعانى) ، وراجع زهر الآداب (١٣١ /٢)

كأن انحدار الطل فى جنباتها دموع محب قد أضر به الهجر

وقال الأشهب بن رميلة :

ولاحت لساريها الثريا كأنها لدى الأفق الغربى قرط مسلسل

وقال ابن الرومى :

طيب ريقه إذا ذقت فاه والثريا بجانب الغرب قرط

وقال ابن المعتز :

وقد هوى النجم والجوزاء تتبعه كذات قرط ارادته وقد سقطا

فركب التشبيه ولكن المصراع الاخير من بيته غير مختار الصياغة والنجم اسم مخصوص به الثريا . ونكتفى بذلك فى هذا السباق .

وقد يكون فى الإمكان الموازنة بين قصيدتين لابن الرومى وابن المعتز ودراسة منهج الشاعرين فيهما فى فن التشبيه ، ولكن هذه الدراسة لا تعطينا حكما على شاعرية أيهما ، لأنه كثيرا ما يأتى أحد الشاعرين بتشبيهات فى موضوع القصيدة لا يأتى بها الآخر ، ومع ذلك فسأعرض هاتين القطعتين اللتين اخترتهما لتقاربهما فى الخيال ووحدتهما فى الغرض فوق وحدتهما فى الوزن ، قال ابن الرومى من قصيدة فى وصف مجالس الراح :

شمس من الحسن فى معصفرة ضاهت بلون لها معصفرها
فى وجنات تحمر من خجل كأن ورد الربيع حمرها
يسعى اليها بكأسه رشأ أنثه الله وذكرها
فى كفه كالشهاب لاح على ظلماء ليل دجت فنورها
إن برزت للهواء غيرها أو قرعت بالمزاج كدرها

ويقول ابن المعتز فى مجلس الراح أيضا من قصيدة .

ومجلس جل أن نشبهه جن به مزهر ومزمار
وزانه من بنى العباد رشا بالجيد والمقلتين سحار
قد ركبت كفه مشعشعة إبريقها فى الكؤوس هدار
يلمع فيها من كل ناحية كوكب نور إليك نظار

فظلت في يوم لذة عجب ... وافى به للسعود مقدار
وقابل الشمس فيه بدر دجى ... يأخذ من نوره ويمتاز

ففي هاتين القطعتين وصف للساقي والراح ، وفي قطعة ابن الرومي زيادة وصف للقينة التي تغني في مجلس الراح .

يصف ابن الرومي الساقي بالأنوثة ، ويصفه ابن المعتز بالسحر ، وذلك لاشك أبلغ ، فالأنوثة يشترك فيها الغادة الحسناء والزنجية السوداء ، ولكن السحر لا يكون إلا في القليل النادر من النساء .

ويصف ابن الرومي الراح بأنها أصفى من الماء وألطف من الهواء ، ووصف ابن المعتز حبابها بكواكب نور متوقدة ؛ ويشبه ابن الرومي الراح بالشهاب ينير داجي الظلمات ، أما ابن المعتز فقد شبه الراح بالشمس والكأس بالبدر وجعل الكأس يأخذ من نور ويمتار وهو حذق لا نهاية له .

وألفاظ ابن المعتز أكثر موسيقية وعذوبة من ألفاظ ابن الرومي .

وبعد فيدلنا على مكانة ابن المعتز في التشبيه هذه الرواية الأدبية التي رواها كثير من النقاد والأدباء [1] .

حكى أن لائما لام ابن الرومي وقال له . لم لا تشبه تشبيهات ابن المعتز وأنت أشعر منه ، فقال له . ألا تنشدني شيئا من قوله الذي استعجزتني عن مثله ؟ فأنشده قوله في الهلال .

انظر اليه كزورق من فضة ... قد أثقلته حمولة من عنبر

فقال له . زدني ، فأنشده قوله في الاذريون .

---

(١) راجع : ٣٨ و ٣٩ / ١ معاهد التنصيص ، ٢٢٥ / ٢ العمدة ، ص ٥ الخزانة للحموى ، ٣٣٥ الادب العباسى لمحمود مصطفى ، ٢٧٣ الزيات ، ١٨٩ الادب العباسى للاسكندرى ، ٦٨ و٢٩٩ ابن الرومى للعقاد ، ١٨٤ الغرائز للغمراوى طبعه ١٩٢٤ بمصر ، ٣٦ المطالعة التوجيهية

كأن آذريونها والشمس فيها كالية
مداهن من ذهب فيها بقايا غالية

فصاح . وأغوثاه تالله لا يكلف الله نفسا الا وسعها ذلك انما يصف ماعون بيته لأنه ابن خليفة وأنا أى شيء أصف ، ولكن أنظر أين يقع قولى من قول الناس ، هل لأ أحد مثل قولى فى قوس الغمام .

وساق صبوح للصبوح دعوته فقام وفى أجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كأنجم فمن بين منقض علينا ومنفض
وقد نشرت أيدى الجنوب مطارفا على الجود كنا والحواشى على الارض
يطرزها قوس السحاب بأخضر على أحمر فى أصفر إثر مبيض
كأذيال خود أقبلت فى غلائل مصبغة والبعض أقصر من بعض[1]

وقولى فى صانع الرقاق .

ما بين رؤيتها فى كفه كرة وبين رؤيتها قوراء كالقمر
إلا بمقدار ما تنداح دائرة فى لجة الماء يلقى فيه بالحجر[2]

وقوله فى قالى الزلابية (من أبيات) .

يلقى العجين لجينا من أنامله فيستحيل شبابيكا من الذهب

وفى رواية أخرى . أن ابن الرومى سمع قول ابن المعتز .

« وانظر إليه كزورق من فضة البيت » ، فقال انا لم ارقط زورقا من فضة

---

(١) نسب الثعالبى الابيات لسيف الدولة وقال : وهذا من التشبيهات الملوكية التى لا يكاد يحضر مثلها السوقة (٢٤ /١ اليتيمة)

(٢) يعجب العقاد بهذه الابيات (ابن الرومى) وراجع تحليل أديب لهما (١٧٩ حصادالهشيم)

وإنما اصف ما شاهدته واشبه بما عاينته (١)

وينقد ابن رشيق راى ابن الرومى لاتحاد مشاهد البيئة امام بصر الشاعرين ، ثم يقول . اللهم إلا ان يريد ابن الرومى ان ابن المعتز ملك قد شغل نفسه بالتشبيه فهو ينظر الى ماعون بيته وثاثه فيشبه به ما اراد وانا مشغول بالتصرف فى الشعر طالبا به الرزق ، ولا يمكن أن يقع أيضا عندى هذا (٢) ؛ ويرى العقاد أن لابن المعتز تشبيهات كثيرة أبلغ من التى ذكرت، فى القصة وأنق فى المعنى والديباجة ولكنهم لا يختارون فى مقام التحدى إلا هذه الأبيات وأمثالها لظنهم أن نفاسة التشبيه إنما تقاس بنفاسة المشبهات ولا فضل فيه للشعور والتخيل وهذا خطأ بعيد فى فهم الوصف والشعر فالمسافة عظيمة جدا بين شاعر يصف لك ما رآه كما قد تراه المرآة أو المصورة الشمسية وشاعر يصف لك ما رآه وتخيله وشعر به وأجاله فى روعه وجعله جزءا من حياته وإنما يعنيك من الشاعر أن يكون انسانا حيا يشعر بالدنيا ويزيد حظك من الشعور بها فمن وصف وشبه ولم يشعر فليس بشاعر ومن شعر وأبلغك ما فى نفسه بغير وصف مشبه (٣) ؛ ونحن مع العقاد فى أن لابن المعتز تشبيهات كثيرة أبلغ مما ذكر فى الرواية ، ولكننا نخالفه فى أن يكون النقاد قد أخطأ وامثل هذا الخطأ أو خالوا ذلك الظن البعيد ، انما أرادوا أن ابن المعتز تفرد بهذا اللون خاصة من التشبيه وهو ما استخدم فيه آلات حياته وترفه فى تلوين أصباغ تشبيهاته ووصفه ، على أن هذا اللون لا يخلو كله من تصوير لعاطفة الشاعر ووجدانه واحساسه بالحياة ، أما ما سوى ذلك اللون الذى انفرد به ابن المعتز فقد يشاركه بعض الشعراء الموهوبين فيه فلا داعى للتحدى به .

---

(١) ٥٠ / ٢ الذخيرة ، ويقول أديب محدث : « ولعمرى ما حدث ابن المعتز نفسه بأن يرى على ضفاف دجلة يوما ما زرقا من فضة تثقله حمولة عنبر وإنما ذلك حديث الخيال (٢١٠ تجديد ذكرى أبي العلاء الطبعة الثالثة ١٩٣٧)

(٢) ٢٢٥ و ٢٢٦ / ٢ العمدة

(٣) راجع ٢٩٩ — ٣٠١ ابن الرومي للعقاد

وبعد فحسبنا كلمة ابن الرومى شاهدا صادقا على مكانة ابن المعتز فى فن التشبيه فى عصره الذى حفل بأئمة الأدب والقريض والمجودين فى الوصف والتصوير والتشبيه .

١٠ — وخطأ ابن المعتز فى التشبيه نادر قليل لأن ملكاته الفنية كانت تعصمه من الخطأ فيه ، وسأذكر هنا ما وقع له من ذلك وما أخذه النقاد عليه من مآخذ فى باب التشبيه .

قال ابن المعتز يصف الساقى .

أرى ليلا من الشعر   على شمس من الناس

كان الاولى أن يقول على شمس من الجمال أو على وجه كالشمس أو ما شابه ذلك مما ينأى باسلوب التشبيه عن الضعف والخطا لانه إذا صح أن يقال ليل شعر على التشبيه فلا يصح أن يقال شمس ناس عليه أيضا وعد أبو هلال البيت من ردىء التشبيه لان الجمع بين الليل والناس ردىء وقد وقع هاهنا باردا (١) . ومثل هذا البيت قول ابن المعتز .

وغزلان ناس لم يرين سوانحا   يسارقن لحظا أو سلاما مكتما

أراد الاستعارة والتشبيه فمزجها بالتصريح بالمعنى فضعف الأسلوب وهبط الكلام عن مستوى الجودة والحسن

ويقول فى سحابة .

فلما دنت جلجت فى السما   ء رعداً أجش كجر الرحا

وهو تشبيه نازل وإن كان صحيحا ، لأن صوت الرعد أقوى وأروع فى السمع من صوت الرحا التى جعلها ابن المعتز المشبه به فى البيت .

ويشبه الورد بالخد والعكس ، وهو من المبتذل إلا إذا أضيفت إليه زيادة

---

(١) ٩ الصناعتين

تنقله من العامى إلى الخاصى أو ضم اليه معنى يشفع به ، كما قال على بن الجهم :

عشية حيـــاتى بورد كأنه خدود أضيفت بعضهن إلى بعض

وقال ابن المعتز حول هذا المعنى يصور بيـــاض الورد وما فى جوانبه من احمرار .

بيـــاض فى جوانبه احمرار كما احمرت من الخجـل الخدود

فأبدع فى التصوير والتشبيه ، وقال أبو الحسن الجرجانى : الخجل إنمـا يحمر وجنتاه فأما منبت الأصداغ . ومخط العذار فقليلا ما يحمران ، ولو اتفق له أن يقول حمرة فى جوانبها بياض لـكان قد طبق المفصل ووافق شبه الخجـل لـكن أراد اجتماع البياض والحمرة فجعـل الاحمرار فى جوانب البياض فراغ عن موقع التشبيه [١] ؛ وأيده ابن رشيق فعد البيت من سوء المقابلة لأن الخـدود متوسطة وليست جوانب [٢] ، وقال عبد القاهر . إلا أنه لعله وجد الأمر كذلك فى الورد فشبه على طريق العكس فقال . هذا البياض حوله الحمرة كهذه الحمرة حولها البياض فى وجنة الخجل [٣]

ويذكر بعض النقاد بيت ابن المعتز فى وصف كتاب . [٤]

ودونـكه موشى نمنمته وحاكته الأنامل أى حوك

بشـكل يرفع الأشـكال عنه كأنه سطوره أغصان شوك

ونقده لأنه مدح الـكتاب بجعل سطوره أغصان شوك وان كان لاحظ الشبه التام فى صورته لـكنه بالذم أشبه [٥] .

---

(١) ١٥١ الوساطة

(٢) ١٧ /٢ العمدة

(٣) ١٧٢ الاسرار

(٤) يروى البيت بروايات أخرى

(٥) ٢٥١ طراز المجلس ، ٣٢١ وما بعدها ريحانة الالبا

وأقول ان ابن المعتز انما لاحظ الشكل فى الشبه دون ما سواه ، وبعض النقاد يعد البيت من الابيات النادرة (١) .

وينقد بعض النقاد البيت .

فنا ولنها والثريا كأنها جنى نرجس حيا الندامى به الساقى

قال . ولو قال باقة نرجس لكان أتم (٢) .

ويذكر الثعالبي عدة تشبيهات لابن المعتز المشبه به فيها العنين وحالته مثل قوله فى الشمس .

تحاول فتق غيم وهو يأبى كعنين يروم نكاح بكر

وأبيات أخرى مثل ذلك ، ويقول . كان ابن المعتز يستكثر فى أوصافه من التشبيه بالعنين حتى اتهم بأنه كان عنينا ولم يكنه لمكان ابنه عبد الواحد (٣) .

ويأخذ بعض الكتاب على ابن المعتز أنه لا يزيد فى تشبيهاته على أن يعطيك نسخة لما يرسم لك دون أن يعبر فى تصويره عن خلجات نفسه ومشاعره ، فهو حين يشبه الهلال بزورق من فضة أثقلته حمولة من عنبر لا يزيد على أن يعطيك نسخة من صورة الهلال ويكفى أن تتصور الهلال فى خيالك ثم تتصور بجانبه زورق ابن المعتز لتدرك الفارق الكبير وتعلم مقدار ما شوه ابن المعتز من منظر الهلال الجميل (٤) ، وكذلك قوله فى الهلال أيضا :

كمنجل قد صيغ من فضة يحصد من زهر الدجى نرجسا

ففضلا عن أنه لا تشابه بين الهلال والمنجل إلا فى الشكل الخارجى ولا صلة بينهما فى الطبيعة إلا صلة النظرة البصرية : فضلا عن ذلك راح ابن المعتز يصنع

---

(١) ١٢ التصحيف والتحريف

(٢) ٣٣٥ / ١ ديوان المعانى ؛

(٣) ١٠٥ خاص الخاص

(٤) ويتحامل باحث آخر على بيت ابن المعتز فيراه سخيفا وتشبيها متكلفا وهو أولى بأن يعد من هنات ابن المعتز لا دليلا على إبداعه (٢٧٤ نظرات فى الادب الاندلسى

المنجل من الفضة ثم جعله يحصد النرجس وليكن لهذا النرجس زهر وليكن هذا الزهر نابتا فى الدجى وليس وراء ذلك كل شيء من العاطفة والاحساس [١] .

وهذا نقد لا يقوم على أساس ، ويتلخص فيما يلى :

ا — البيتان السابقان لا يصوران الهلال تمام التصوير ؛ وأقول أن هذا الادعاء سفسطة فارغة ، ويناقض الناقد نفسه فيه ، وقد وقف النقاد أمامهما حائرين معجبين بجمال الفن والتصوير فيهما ، ولقد أعجب أعلام الأدب الفرنسى بتشبيه فيكتور هوجو للهلال بمنجل من ذهب ، فكيف يقولون لو علموا بما أتى به ابن المعتز من هذا التصوير الجميل والتفصيل الدقيق وابراز الشبه التام للهلال فى هذين البيتين

ب — أن التشبيه عند ابن المعتز فن خالص ولكن لا حياة فيه ويرى هذا الكاتب أن الشعر شعور وفن معا مما بسطه فى كتابه فى إفاضة .

أما أن الشعر شعور وفن معا فكلام الكاتب فى ذلك منقول عن العقاد وفكرته مأخوذة عنه [٢] .

على أى حال فنحن نرى أن الشعر عند الملهمين من الشعراء فن وعاطفة وأنه يجب أن يكون كذلك وذلك ما سار عليه فحول النقاد فى القديم مما يطول بنا البحث لو عمدنا إلى شرحه .

وأما أن فن ابن المعتز فى التشبيه لا حياة ولا عاطفة أو إحساس فيه فنحن لا نسلمه له ولا يسلمه له أستاذه العقاد حين عاب على النقاد اختيار البيتين فى مقام التحدى لشاعر كابن الرومى ورأى أن فى شعر ابن المعتز تشبيهات كثيرة أبلغ منهما وأجمل وأنق فى المعنى والديباجة [٣] ، وإذا كان العقاد يعترف لابن المعتز بأن فى

---

(١) ١٦ و ١٨ مهمة الشاعر فى الحياة لسيد قطب

(٢) راجع ٣٠٠ ابن الرومى للعقاد ، ٤ و ٥ مهمة الشاعر فى العصر الحاضر

(٣) ٣٠٠ ابن الرومى للعقاد

شعره تشبيهات أبلغ من البيتين وهو لا يقر بشعر إلا اذا شعر به الشاعر وأجاله فى عواطفه وشعوره فقد اعترف بأن لابن المعتز من ذلك تشبيهات كثيرة ، وهذا ما يثبته البحث الأدبى لفن التشبيه فى شعر ابن المعتز وما سبق أن أفضنا فى شرحه ؛ لقد كان ابن المعتز فى هيام دائم بحب الطبيعة وكانت حياته فى بيت الخلافة تلون شعره فى وصف الطبيعة والهيام بها بألوان خاصة فذة ؛ فكيف يعاب ابن المعتز بأن فنه لا حياة فيه وهو إنما شبه وشعر عن حياة وعاطفة وملكة فى التشبيه وإذا كان البيتان السابقان وبعض أبيات أخرى تشبههما مما لا تؤجج نار العاطفة عند السامع فانها على أى حال أثر أدبى يستثير الأعجاب .

ج — أن ابن المعتز فى تشبيهه بعيد الفكرة بعيد عن الوضوح . وردى على ذلك أن نظرية الوضوح والخفاء فى الأدب لا تزال محل بحث النقاد الى الآن ، ولم يتفق عليها بعد اثنان ، فالجاحظ حين كان ينادى بالوضوح والأفهام وبأن البليغ من الكلام ما كان معناه الى قلبك أسبق من لفظه الى سمعك إنما كان — كما يقول عبد القاهر فى أسراره — يدعو الى أن يجتهد المتكلم فى تهذيب اللفظ وترتيبه وصيانته عن كل ما أخل بالدلالة وعاق دون الأبانة ولم ير أن خير الكلام العامى المرذول ، والقاضى الجرجانى لم يحاسب المتنبى فى وساطته على إثقاله البيت بالمعانى لأن ذلك سمة عامة فى شعر المحدثين ، وعبد القاهر فى أسراره [١] يقسم الغموض الى : ما سببه الدقة فى المعنى فيشيد به ويرى أن المعانى الشريفة لا بد فيها من بناء ثان على أول وردتال الى سابق ، ويرى بعض المحدثين أن الغموض فى فن المتنبى هو سر عبقريته الشاعرة ، وتحدث ناقد آخر عن قصيدة المقبرة البحرية للشاعر الفرنسى پول فاليرى وكيف أنها أثارت اهتمام النقاد جميعا فى فرنسا فلم يتفقوا على شىء حول مذهب الشاعر فى فن الشعر أو حول الوضوح والغموض فى فن الشاعر كما نسميه ؛ وأنا أستجيد هذا الغموض ما دام سببه دقة المعنى وبعد

---

(١) ص ١١٨ وما بعدها

الثقافة وعمق التفكير ، فهذا الغموض هو سر الخلود فى إنتاج الشعراء فى القديم والحديث .

وينقد محدث آخر [١] البيتين [٢] « ولا زردية تزهو بزرقتها الخ » لأن أولها رث المعنى وهو يذكرنا بمقارنات ابن المعتز الجوهرية والمعدنية والثانى ينم عن معنى ضعيف وخيال معكوس فان مرأى البنفسج بل أى زهر آخر لايشعر الانسان بالجودة التى يرمز اليها الكبريت ، كذلك لا ينفرد الحس النظرى بمشاهدته بل تصحبه خواطر وعواطف حسية جديرة بالتعبير عنها ؛ فشتان بين البنفسج العطر والكبريت الخانق برائحته الكريهة ، والنرجس يشعر فى ميله بالحياة الوادعة وبغير ذلك من المعانى النفسية فكيف يغفل هذا الشعور فيموت حبا منا فى التخلق بعيدان الكبريت .

وهذا النقد يتلخص فى :

ا — بين طرفى التشبيه بون بعيد ، وهذا عيب عند الناقد ، وقد ذكرنا من قبل أن عبد القاهر يرى ذلك سر جماله وسحره ودليل ملكة الشاعر الملهمة فى فن التشبيه .

ب — أن الشاعر صور منظر البنفسج الحسى وأغفل نواحى أخرى من نواحيه فى التشبيه ، وهذا ناحية بسطنا القول فيها سابقا .

وبعد فهذا هو ما ننقد به فن ابن المعتز فى التشبيه وما نقده به سوانا من الباحثين القدماء والمحدثين .

ورأيى أن ابن الأثير قد أطلق القول إطلاقا حين قال : « وقلما أكثر من التشبيه أحد إلا عثر كما فعل ابن المعتز وابن وكيع فانهما أكثرا من ذلك ولا سيما

---

(١) ٨٨ المنتخب من شعراء أبى شادى ط ١٩٢٦

(٢) وينسبها لابى العتاهية

فى وصف الرياض والأشجار والازهار والثمار ، لا جرم أنهما أتيا بالغث البارد الذى لا يثبت على محك الصواب [١] ، أطلق القول :

لان ابن المعتز لم يسقط فى تشبيهاته هذا السقوط الذى يصوره ، وما أخذ عليه لم يصل الى أن يكون من الغث البارد الذى لا يثبت على محك الصواب كما يقول ؛ لان ما أخذ عليه كان نادرا جدا بالنسبة الى كثرة التشبيه فى شعره ، لان التشبيه كان عند ابن المعتز ملكة وفطنة بدقائق الاشياء والصور ومن النادر القليل أن يخطىء ابن المعتز ؛ على أن ابن الاثير لم يتعمق فى قراءة شعر شاعر سوى أبى تمام والبحترى والمتنبى الذين هم لات الشعر وعزاه ومناته كما يقول [٢] ، وهو لم يرجع الى ديوان ابن المعتز أو يعن بقراءته عناية خاصة ، ويتجلى ذلك فى مثله السائر فهو لا يشير فيه الى ابن المعتز إلا فى ثلاثة مواضع على التحديد [٣] .

١٤ — والاستعارة باب من أبواب التشبيه ولابن المعتز فيها إجادة منقطعة النظير شأنه فى ذلك شأنه فى تشبيهاته .

انظر إليه يقول :

وجاءنى فى قميص الليل مستترا ... يستعجل الخطو من خوف ومن حذر

ويقول :

فلو ترانا فى قميص الدجى ... حسبتنا فى جسد واحد

ويقول :

جار هذا الدهر أو آبا ... وقراك الهم أو صابا

، ولقد أقرى الأسى ناقة أو جملا

---

(١) ٢ ٥ ١ المثل السائر

(٢) ٤ ٠ ٣ المثل السائر

(٣) ٩٨ و ١٦١ و ١٦٢ المرجع

؛ قرينا بعضهم ضربا وجيعاً

وفى الراح :

نعم قرى السمع على شربها نفخ المزامير وعزف القيان
، لله مـنى قلب يقرى البلايا شـكرا

فتجد جمالا فى استعارة القميص والحلة لليل وفى لفظ القرى لا يعد له ؛ ومثل ذلك :

وتوشـحنا بضمتـه

ويقول :

وسل البيـداء عن رجل يخطم الريح بثعبان
ساهر فيك ومقلته ليس يكسوها بأجفان

فتجد فى « توشحنا » واستعارتها للعناق ، وفى استعارة الثعبان لجواده ، وفى قوله « يخطم الريح » وفى « يكسوها » جمالا فى الاستعارة يصل بها إلى حد التجويد والابداع .

ويقول فى ظلام ليلة من ليالى الشتاء :

يقيد اللحظ فيها عن مسالكه كأنها لبست أثواب رهبان

وفى إبله المعدة لقرى الضيوف

وقيدها بالنصـل خرق كأنه إذا جد ـ لولا ماجنى السيف ـ مازح

فيروعك ويسحرك ما فى استعارة الكلمتين من إبداع ، وقوله : لولا ماجنى السيف » احتراس أو اعتراض رائع ، والبيت من قول عتبة بن بجير المازنى فى قرى الضيوف وذبح السوام لهم .

فقـام أبو ضيف كريم كأنه وقد جد من فرط الفكاهة مازح

إلى جذم مال قد نهكنا سوامه وأعراضنا فيه بواق صحائح (١)

أخذه ابن المعتز فزاد فى المعنى وأبدع فى التصوير ، وبلغ بقوله « وقيدها بالنصل » وبقوله « لولا ما جنى السيف » غاية الاجادة فى التصوير .

ويقول ابن المعتز :

وكابدنا السرى حتى رأينا غراب الليل مقصوص الجناح
فبات بليل باكية ثكول ضرير النجم متهم الصباح
حتى تبدى فى الفجر ظعنهم وسائق الصبح بالدجى عجل

ويقول : وضاع من ليلى غده طوبى لعين تجده

، ساروا وقد خضعت شمس الأصيل لهم حتى توقد فى ثوب الدجى الشفق

فتملأ نفسك هذه الاستعارات وذلك التصوير روعة وسحرا .

وفى حوافر جواده :

تصالح الترب إذا ما ما ركضت لكنها مع الصخور تصطخب

ويقول فى كلبة الصيد : « تحملها أجنحة الهواء » ؛ وفى البازى : « يحز أعناق الرياح حزا » . ويقول . « تهادى فوق أعناق الرياح » ويقول فى محبوبه :

أتى عجلا يطير به جناح الخوف والوجل

ويقول :

وقد ركضت بناخيل الملاهى وقد طرنا بأجنحة السرور

ويقول :

فرسان قطر على خيل من الدهر (٢) تحثهن سياط الريح فى الشجر

ويقول : « منتقب الوجنتين بالخجل »

---

(١) من قصيدة له فى مختصر الحماسة (٢/ ٢٤٠)

(٢) هنا خطأ عروضى يعرفه النقاد

وفى الوجنات أيضا : « تنقبت بالخجل »

وفى الساقى :

وقام بكفيه بقايا خماره   وعيناه من خديه قدجنتاوردا

وفى الساقى :

جمع الحق لنا فى أمام   قتل البخل وأحيا السماحا

وفى الساقى :

يقطع فى كأسها   رؤوس مدارى ذهب

فتجد استعارات عليها مسحة الجمال الفنى والابتكار والتجديد .

ويقول : تسيل بنا قود الجياد الزواحف .

« سالت عليه شعاب الحى حين دعا   أنصاره بوجوه كالدنانير »[1]

« وأذن الصبح لنا فى الابصار »[2] .

فتجد خصبا فى التصور والتصوير ، وثراء فى الالوان الاصباغ ، وثقوبا فى الفكر ، ونفاذا فى الخاطر وبلاغة فى الاستعارة ، وروعة فى التشبيه .

وبعد فلابن المعتز مع ذلك كله استعارات نافرة خرج فيها عن المألوف القريب فى الاستعارة . يقول :

فى وجهه ورق النعيم ملا العيو   ن ملاحة وظرافة وجمالا

فتجد « ورق النعيم » سخفا لا يقبله ذوق .

ويقول للمعتضد : « وفرشت الامن للخائفينا » فيصدك « فرش الامن » عن كل شىء بعد ذلك .

---

(١) ويشيد عبد القاهر ببلاغته (٥٨ و ٥٩ دلائل الاعجاز)

(٢) وهو — كما يقول عبد القاهر — من بديع الاستعارة ونادرها ، والمعنى حتى إذا تهيأ لنا أن نبصر شيئا (٦١ دلائل الاعجاز)

ويقول : « مالى أرى ديباج خدك أصفرا » ، فديباج الخد من السخيف المقيت . ويقول :

أغار عليه من ألحاظ قلبي　　　إذا ماصورته أكف فكرى

فتجد بعدا فى صوغ الاستعارتين : « ألحاظ قلبي » و « أكف فكرى » مما لا تحسن معه الاستارة . ويقول :

جاء بجيش الحسن فى عديده　　　وعدته

فيصور الحبيب المعشوق فى صورة القائد ، ويبعد بذلك عن الحسن والاحسان . ويقول :

لم ترد ماء وجهه العين إلا　　　شرقت قبل ريها برقيب

فتجد قبحا قبيحا فى « ماء الوجه » وفى « شروق العين بالرقيب » .

ويقول : « أشرب الراح وهى تشرب عقلى » ؛ فتشرب استعارة سخيفة ، وإنما يقلل من قبحها المشاكلة . ويقول :

ووردنا الرمح مختضبا　　　لدماء الوحش شرابا

فقوله « شرابا » استعارة نافرة عن القبول والذوق ؛ ويقول فى المطايا :

إذا نسفت أفواهها النور خلته　　　مواقع أجلام على شعر شابا

فنسفت استعارة يمجها الذوق وينفر منها الطبع . ويقول فى ربع حبيبه :

عفته الريح بعدك كل يوم　　　وجالت فيه أفراس السيول

وأفراس السيول » استعارة بعيدة لا يقبلها ذوق شاعر ويقول :

وإخوان شر قد حرثت إخاءهم　　　فكانوا لغرس الود شر بقاع

فحرث الاخاء قبيح ممقوت . ويقول :

كم صامت تخفق أكياسه　　　قد صاح فى ميزان وراث

ويروى « ميراث »، والصامت: المـال من العين من الذهب والفضة خاصة، فصياح المـال استعارة قبيحة، ولعله أتى بها ليتم له المطابقة، وقد سبقه أبو نواس فقـال:

بح صـوت المـال مما منك يشـكو ويصيح [١]

ويقول ابن المعتز: كل وقت يبول زب السحاب.

فيهوى وينزل إلى الحضيض، وهذا كما يقول ابن رشيق: أردأ من كل ردىء وأمقت من كل مقيت مع أنه كان أنقد النقاد [٢]. وبعد فنحن لا نحتج لابن المعتز فى هذه الاستعارات البعيدة النافرة بما احتج به القاضى الجرجانى للمتنبى وبما ذهب اليه من أن إبعاد الاستعارة سمة عامة فى شعر المحدثين وموجود فى شعر المتقدمين وأن عذر أبى الطيب فيه عذر سواه من الشعراء الذين أبعـدوا إبعاده وأن علينا أن نحمـل ما يجىء من ذلك على وجـــوه تقربهم من الاصابة ونلتمس لهم شتى المعاذير [٣]؛ فذلك عـذر واه ضعيف. وابن المعتز الذى قسا فى أحكامه الادبية على أبى تمـام فى رسالته فى محاسن شعر حبيب ومساويه جـدير بأن يحاسب هـذا الحساب، فذلك أولى بالانصاف، وأجدر بأحكام النقد الادبى العادلة.

وهذا آخر الفصل الثالث الذى وقفناه على بحث أغراض الشعر عند ابن المعتز وننتقل بعد ذلك الى الفصل الذى يليه ».

(١) واستهجنه النقاد (٢٤٠ /١ العمدة)
(٢) ٢٤٠ /١ العمدة
(٣) راجع ٣٢٣ ـ ٣٢٧ الوساطة

الفصل الرابع

أسلوب ابن المعتز وألفاظه

ما هو الأسلوب :

الأسلوب فى اللغة الطريق وعنق الأسد والسطر من النخيل والوجه والمذهب والفن .

والأسلوب الأدبى يعرفه ابن خلدون فى حديث طويل بأنه « المنوال الذى ينسج فيه التراكيب أو القالب الذى يفرغ فيه [١] ، فهو يراه فى الصورة الأدبية الممتازة التى يحتذيها الأدباء والشعراء وينسجون فى أدبهم وشعرهم على منوالها . ويعرفه بعض المحدثين بأنه طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعانى قصد الاقناع والتأثير ، أو هو طريقة التفكير والتصوير والتعبير [٢] ويعرفه آخر بأنه المعنى المصوغ من ألفاظ مؤلفة على صورة تكون أقرب لنيل الغرض المقصود من الكلام وأفعل فى نفوس سامعيه ؛ ويعرفه آخرون بأنه طريقة اختيار الكلمات ونظمها لتؤثر فى نفس القارىء أو السامع ، ويذكرون أن له غرضين : نقل الحقائق أو المعانى إلى ذهن السامع أو القارىء ، ونقل شعور الكاتب أو المتكلم إلى نفسيهما للتأثير .

ونعرفه نحن بأنه نهج الكاتب والشاعر فى صوغ أدبه وشعره وآداء أفكاره ومعانيه ، والطريقة التى يسير عليها فى اختيار كلماته وتراكيبه ، وما يؤثر فى لغة

---

(١) ٥٧٠ مقدمة ابن خلدون

(٢) راجع ٣٣ ٣٩ الاسلوب للشايب

تعبيره وتصويره من سهولة أو غرابة ومن عذوبة أو جزالة ومن وضوح أوخفاء وطبع أوصنعة ، وألوان الصنعة فى شعره وأدبه من تشبيه واستعارة وكناية وطباق ومقابلة وتعليل ومبالغة ، وتورية وتدبيج وعكس ومشاكلة ، وطرق الأداء التى يسير عليها فى صياغته من تقديم أو تأخير وذكر أو حذف وفصل أو وصل وإيجاز أو إطناب إلى غير ذلك من شتى أوصاف الأسلوب ، وما يراعيه الكاتب والشاعر من أوصاف فى بدء كلامه وفى فصوله وخاتمته .

والأسلوب هوالوسيلة التى ينقل بها الأديب فكرته وعاطفته وآراءه ومعانيه إلى الناس . ومقياس جودة الأسلوب هو القدرة على نقل ذلك والتعبير عنه بدقة وقوة تأثير .

ويمتاز أسلوب الشعر بما فيه من عاطفة ، وما يشيع فى نظمه من خيال وسحر وعذوبة موسيقى وحرية فى الاداء والتصوير ، وبشدة تأثيره فى النفوس وأثره فى العاطفة والشعور والوجدان ؛ أنشد أبو العتاهية المهدى قصيدته :

أتته الخلافة منقادة   إليه تجرر أذيالها
فلم تك تصلح إلا له   ولم يك يصلح إلا لها
ولو رامها أحد غيره   لزلزلت الأرض زلزالها

وكان بشار حاضرا ، فلما سمع الابيات اضطرب وسحر وقال :

أنظروا إلى أمير المؤمنين هل طار عن أعواده (١) . وسمع الجاحظ رجلا ينشد أرجوزة أبى العتاهية التى سماها ذوات الأمثال ، فبلغ قوله :

ياللشباب المرح التصابى   روائح الجنة فى الشباب

فقال للمنشد ؛ قف ؛ ثم قال : انظروا الى قوله : « روائح الجنة فى الشباب » فان له معنى كمعنى الطرب لا يقدر على معرفته إلا القلوب وتعجز عن ترجمته الألسنة إلا بعد التطويل وإدامة التفكير (٢) .

---

(١) ٣/ ١٣٧ الاغانى ، ٦٨ المثل السائر
(٢) ٣/٣٨ الاغانى ، ٣٦٦ /٢ عصر المأمون

نعم إن الشعر ينبعث غالبا عن إحساس قوى ، ويلبس حلة جميلة من النظم تصور المعانى تصويرا قويا رائعا ، فكل ذلك يجعله ذا أثر شديد فى نفوس سامعيه وقارئيه على السواء .

أسلوب ابن المعتز :

وأسلوب ابن المعتز أسلوب المحدثين فى رقتهم وعذوبتهم وجمال صياغاتهم ، وفى سحر التعبير وروعة التأثير والتصوير ، وفى التجويد والتجديد وخصب الملكة التى تساعد على خصوبة الأداء وفى تمثيله لحياة المحدثين وترفهم والحضارة التى كانت تغمر بيئتهم وعصرهم .

ويشيع فيه نضرة النعيم وترف الملك ورقة الشعور ولطف الوجدان وبراعة التصوير ودقة التصور وجودة القريحة وسهولة الأداء وجمال الفن والقدرة على الخلق والابتكار واختراع الصور الجديدة التى تعبر عن حياته ومظاهر بيئته ودقيق عواطفه التعبير الدقيق المؤثر الصادق ؛ يشيع فى أسلوب ابن المعتز الصياغة الفنية الممتلئة روحا وحياة وموسيقى ووضوحا فى دقة تصوير وقرب مأخذ وجودة قريحة فى بعد فكرة وجدة خيال ؛ ويمتاز أيضا بألفاظ الملوكية كما يقول الصولى (١) ؛ وينم أسلوبه عن سمو النفس وجلال الشخصية ونبل الخلق ودقة الاحساس والشعور بالحياة وما فيها من ألوان الجمال ؛ ويمتاز مع ذلك بجوده الوصف والابداع فيه ، وبثروته الخصبة فى وصف مناظر الطبيعة والافتنان فى تصويرها وبكثرة التشبيه والاستعارة وجودتهما وبلطف الصنعة وجمال البديع بشتى ألوانه ، وبعمق الخيال وتعدد صوره وألوانه ، وبالرونق والعذوبة فى جزالة تشيع فى أعطاف شعره حينا وسهولة ورقة يفيض بها شعره أحيانا . ويحاكى ابن المعتز الشعراء المجيدين أحيانا فى نظم القصيد وفى معانيه : كامرىء القيس فى وصف لذات الشباب ومآربه ، وكالنابغة وابن أبى ربية والعباس بن الأحنف فى

---

(١) ١١٤ الاوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء.

الغزل ، وأبى نواس فى الخمر والطرد ، وأبى تمام ومسلم فى الترف البيانى وصنعة البديع .

وبعد فأسلوب ابن المعتز فيه روح الشاعرية الملهمة ، وتتجلى فيه شخصية ابن المعتز الاجتماعية والفنية واضحة ظاهرة ، وهو يملك عليك عقلك ووجدانك وقلبك لما أودعه من جمال وبلاغة وعذوبة وسلاسة وبساطة يمتاز بها ، وهى من أهم خصائص الفن فى أسلوب ابن المعتز فى شعره ، مما سنبسط القول فيه الآن بمشيئة الله .

الجزالة والرقة فى أسلوب ابن المعتز :

١ — الجزل من الكلام هو الذى تعرفه العامة إذا سمعته ولا تستعمله فى محاوراتها [١] ، وأجود الكلام ما يكون جزلا سهلا لا ينغلق معناه [٢] .

ويقول ابن الأثير :

الالفاظ تنقسم فى الاستعمال إلى جزلة ورقيقة ، ولكل منهما موضع يحسن استعماله فيه ، فالجزل منها يستعمل فى وصف مواقف الحروب وفى قوارع التهديد والتخويف وأشباه ذلك وأما الرقيق منها فانه يستعمل فى وصف الاشواق وذكر أيام البعاد وفى استجلاب المودات وملاينات الاستعطاف وأشباه ذلك ، ولست أعنى بالجزل من الالفاظ أن يكون وحشيا متوعراً عليه عنجهية البداوة بل أعنى به أن يكون متينا على عذوبته فى الفم ولذاذته فى السمع وكذلك لست أعنى بالرقيق أن يكون ركيكا سفسفا ، وانما هو اللطيف الرقيق الحاشية الناعم الملمس كقول أبى تمام :

ناعمات الاطراف لو أنهـــا   تلبس أغنت عن الملاء الرقاق [٣]

---

(١) ٦٤ الصناعتين

(٢) ٦٦ المرجع

(٣) ٦٥ المثل السائر

ويقول :

وأما البداوة فى الالفاظ فتلك أمة قد خلت وقد عيبت على مستعملها فى ذلك الوقت فكيف الآن [١] .

وقد عرف النقاد أمر الجزالة والرقة وشأنهما فى الكلام ، وبحثها منهم كثيرون فى نقدهم ودراساتهم . فالفرزدق يقول فى جرير : ما أحوجنى مع فسوقى الى رقة شعره وأحوجه مع عفافه الى خشونة شعرى [٢] ، فهو يرى أن الجزالة والرقة بحسب الشاعر والموضوع الذى ينظم فيه . ويقول عبد الملك فى الأعشى : قاتله الله ما كان أعذب بحره وأصلب صخره [٣] . ويقول الأصمعى فى شعر النابغة : إن قلت ألين من الحرير صدقت وإن قلت أشد من الحديد صدقت [٤] . وقال أبو عبيدة فى شعره : له ديباجة إن شئت قلت شهد إن مسسته ذاب وإن شئت قلت صخر لورديت به الجبال لأزالها [٥] . وبحث الجرجانى فى وساطته الجزالة والرقة بتفصيل [٦] . وذكر أثر نفس الشاعر وخلقه وبيئته وعصره ولون معيشته فيهما ورأى أن الرقة إنما تأتيك من قبل العاشق المتيم والغزل المتهالك ودعا الى [٧] تنزيل الجزالة والرقة منازلها بحسب المعانى والأغراض والموضوعات . وقد ذكر الجاحظ فى البيان الجزالة والرقة عرضا ، فتراه يقول : ومن الكلام الجزل والسخيف والخفيف والثقيل وكل عربى وبكل قد تكلموا [٨] وذكر أن سخيف الألفاظ مشاكل لسخيف المعانى وأنه قد يحتاج إليه بعض المواضع وربما أمتع كثيرا [٨] .

---

(١) ٦٨ المثل السائر
(٢) ٢٧ الشعر والشعراء
(٣) ٣٨ الجمهرة
(٤) ٣٨٠ / ٣ العقد
(٥) ٣٢ جمهرة أشعار العرب
(٦) ٢٢ وما بعدها من الوساطة
(٧) ٢٩ المرجع
(٨) ١١٠ / ١ البيان والتبيين

ويقول «وحاجة الكلام الى الحلاوة كحاجته الى الجزالة [١]». ويدعو الى ترك الوحشى والسوقى فى مواضع كثيرة من بيانه [٢]. وعرض لها ابن المدبر عرضا فقال: لا يعتد بالمعنى الجزل ما لم تلبسه لفظا جزلا [٣]. وعرض لها أرسطو فى كتابه الخطابة فذكر أنه «لا ينبغى أن تكون الألفاظ سفسافة ولا مجاوزة فى المتانة مبلغ الأمر الذى يدل عليه فلا تبلغ درجة العامية ولا تحوج الى الكلفة المشنوءة» وذكر أنه «ينبغى أن يلاءم بين اللفظ والمعنى فالمعنى الجزل يعبر عنه بألفاظ جزلة والمعنى الرقيق يعبر عنه بلفظ رقيق [٤]».

٢ — وبعد فيقول أبو الفرج فى شعر ابن المعتز:

«وشعره وإن كان فيه رقة الملوكية وغزل الظرفاء وهلهلة المحدثين، فان فيه أشياء كثيرة تجرى فى أسلوب المجيدين ولا تقصر عن مدى السابقين، وأشياء ظريفة من أشعار الملوك فى جنس ما هم بسبيله ليس عليه أن يتشبه فيه بفحول الجاهلية، فليس يمكن واصفا لصبوح فى مجلس شكل [٥] ظريف بين ندامى وقيان وعلى ميادين من النور والبنفسج والنرجس ومنضود من أمثال ذلك، الى غير ما ذكرته من جنس المجالس وفاخر الفرش ومختار الآلات ورقة الخدم، أن يعدل بذلك عما يشبهه من الكلام البسيط الرقيق الذى يفهمه كل من حضر الى جيد الكلام ووحشيه وإلى وصف البيد والمهامه والظبى والظليم والناقة والجمل والديار والقفار والمنازل الخالية المهجورة، ولا إذا عدل عن ذلك وأحسن قيل. مسىء، ولا أن يغمط حقه كله إذا أحسن الكثير وتوسط فى البعض وتطرف فى اليسير، وينسب الى التقصير فى الجميع لنشر المقابح؛ فلو شاء أن يفعل هذا كل أحد ممن تقدم لوجده مساغا، ولو أن قائلا أراد الطعن على صدور الشعراء لقد رأى أن

---

(١) ٣٠ / ١ البيان

(٢) ١٠٥ و ١١٠ و ١٧٦ / ١ المرجع

(٣) ١١ الرسالة العذراء

(٤) راجع الفن الثامن من الخطابة فى الشفاء لابن سينا — مخطوط

(٥) الشكل بالكسر دل المرأة وغزلها

يطعن على النابغة والأعشى . ؛ وإنما على الانسان أن يحفظ من الشيء احسنه ، ويلغى ما لم يستحسنه ، فليس مأخوذا به ؛ ولكن قوما أرادوا أن يرفعوا أنفسهم الوضيعة ويشيدوا بذكرهم الخامل ويعلوا أقدارهم الساقطة بالطعن على أهل الفضل والقدح فيهم فلا يزدادون بذلك إلا ضعة ، ولا يزداد الآخرون الا ارتفاعا ، ألا ترى الى ابن المعتز قد قتل أسوأ قتلة وما يزداد بأدبه وشعره وفضله وحسن أخباره وتصرفه فى كل فن من العلوم الا رفعة وعلوا [1] » . وكلمة أبى الفرج تغنينا عن كل كلام فى هذا البحث ويشير فيها الى أمور كثيرة أهمها :

(ا) أسلوب ابن المعتز فيه الكثير من الجيد الجزل المختار .

(ب) رقة شعره ترجع إلى عده أمور :

١ — حياة الملك التى تستدعى الترف والرقة .

٢ — وصفه لألوان اللهو والترف مما يطلب رقة الأسلوب .

٣ — البعد بين الشاعر ونفسيته وحياته وبين موضوعات الشعر البدوية

(ج) يجب على النقاد ألا يغمطوا حق المحسن وأن يعرفوا المحسن إحسانه وللمقصر تقصيره وأن يضعوا الشاعر فى منزلته الصحيحة حسب ما فى شعره من إحسان وجودة أو اساءة وقبح أو توسط ومقاربة بين طرفى الجودة والرداءة دون ميل مع عصبية أو تأثر بهوى ، ويجب أن يتحرى النقد الانصاف والعدالة الأدبية فى أحكامه دون شىء آخر .

(د) والنقاد الذين يؤاخذون ابن المعتز بهلهلته ورقة شعره قد أغفلوا أثر البيئة والمعيشة ولون الحياة فيه أوتحاملوا عليه مدفوعين بعوامل العصبية والاهواء

٣ — وحقاً ان فى أسلوب ابن المعتز الكثير من الجيد الجزل الذى تلمح فيه جزالة القدماء مع عذوبة المحدثين .

---

(١) ١٤٠ وما بعدها /٩ اغانى

فأنت تقرأ مثلا قصيدته :

هاتيك دارهم فعرج واسأل   متسومة بين الصبا والشمأل

فتجد أسلوباً بدوياً جزلا مع لون من الجمال مما تأثر فيه الشاعر بالقدماء وخاصة بعنترة فى لاميته المشهورة .

وتقرأ قصيدته :

قرى الذكر منى أنة ونحيب   وقلب شج إن لم يمت فكئيب

فتجد جزالة ممزوجة بعذوبة لا تجدهما فى كثير من الشعر .

وتقرأ له :

نؤوم على غيظ الأعادى محسد   لأعلى مراقى العز تسمو خواطره

اذا ما أراد الحاسدون انهدامه   بناه إله غالب العز قاهره

أو قوله فى الغزل :

وأنت الذى ذللت للناس جانبي   وأكثرت أحزان الفؤاد المروع

أو قصيدته الجيمية التى تأثر فيها بجيمية جرير فى مدح الحجاج :

حث الفراق بواكر الاحداج   وشجاك يوم نأوا (بكتم) شاجى

وهى قصيدة غريبة قوية قد لا يكون لها نظير فى غرابتها فى شعره .

أو قصيدته :

سأثنى على عهد المطيرة والقصر   وأدعو لها بالساكنين وبالقطر

أو قصيدته الطائية :

ألا تريان البرق ما هو صانع   بدمعة صب شفه النأى والشحط

وسوى ذلك من آثاره الأدبية فستجد جزالة وأساليب قوية وروحا عربية تشاكل روح الاسلاميين القدماء ، وسترى الشاعر يظهر بمظهر بعيد عن حياة القرن الثالث وترفه ولهوه وعذوبة الشعر ورقته فيه ، وليس ذلك ببعيد على

ابن المعتز وهو الشاعر الذى تتلمذ على المبرد وثعلب وقرأ أشعار القدماء والاسلاميين وتأدب بها منذ طفولته الأولى ، فالجزالة فى شعر ابن المعتز ترجع الى : روحه العربية ، ولون ثقافته الأدبية الاولى ، والى موضوعات الشعر التى تناولها والتى لا يليق بها إلا الجزل من الاساليب كالفخر والعتاب والمدح والطرد ، والى معارضته للقدماء من الشعراء فى أساليبهم وقصائدهم ؛ وهو مع ذلك فى جزالته عذب الاسلوب حلو التعبير والاداء .

٤ — وشعره مع ذلك فى سائره رقيق الحاشية لطيف الصوغ سمح الاسلوب يمثل مدرسة المحدثين الادبيـة وذوقهم الفنى وملكاتهم التى تأثرت بالبيئة والحضارة والترف ومثلت هـذه الحياة فى فنها تمثيلا صحيحا ونأت عن التقليد للقدماء فى وحشية الاسلوب وغرابته ، وما كان لابن المعتز وهو حضرى تتمثل أمامه الحضارة فى أبهى مظاهرها وتلوح لعينيه المدنية فى أبهج وأجمل مناظرها أن ينأى عن الرقة والعذوبة والحلاوة بعد أن سرى ذلك فى نفسه وخلقه وطباعه من أثر الحياة والعيش والبيئة والعصر فيه . انظر الى عذوبته ورقته فى قصيدته :

طار نومى وعاود القلب عيد ... وأبى لى الرقاد حزن شديد
جل ما بى وقل صبرى فى قلبى ... كلوم وحشو جفنى السهود .
سهر يفتق الجفون ونار ... تتلظى منها بقلبى وقود
لامنى صاحبى وقلبى عميد ... أين مما أريده ما يريد ؟

الى آخر هذه القصيدة العذبة الممتعة .

أو فى قصيدته :

هى الدار إلا أنها منهم قفر ... وأنى بها ثاو وأنهم سفر
حبست بها لحظى وأطلقت عبرتى ... وما كان لى فى الصبر لو كان لى عذر

الى آخر هذه القصيدة الرائعة التى تمثل لك عذوبة المحدثين وجمال آثارهم الأدبية تمثيلا صحيحا والتى نظمها فى ذكرى أحبابه ووصف الطبيعة .

أو فى قوله :

تعاهدتك العهاد يا طلل ... حدث عن الظاعنين مافعلوا
فقال لم أدر غـــير أنهم ... صاح غراب بالبين فاحتملوا

أو اقرأ قصيدته :

لا مثل منزلة الدويرة منزل ... يا دار جادك وابل وسقاك

أو قصيدته :

نبهت ندمانى فيهـا ... طـربا الى كأسى ولى

وغير ذلك من سائر شعره فستجد رقة وسحرا وجمالا ولطفا وسهولة وعذوبة وفنا خالصا من شوائب التقليد وأسلوبا ممثلا للشاعر وعصره أدق تمثيل ، وسيتراءى أمامك الشاعر وفنه فى صورة يحوطها الإعجاب والتقدير مما يسمو بمكانتها فى نفسك وفى حكم الفن والذوق والشعر والشعور .

٥ — وقل أن ينزل الشاعر بأسلوبه الى درجة الساقط السوقى أو النافر الوحشى .

فلا تجد غريبا نافرا فى شعره إلا القليل جدا مما تجد مثله فى : بعض أراجيزه فى الطرد الذى استن فيه من قبل أبو نواس الغرابة وحشاه بالغريب ، وفى بعض قصائده فى العتاب كجيميته وبعض قصائده فى المدح كلاميته فى الموفق وقد سبق الإشارة الى ذلك ، وفى آثار قليلة من بقية أغراضه فى شعره .

وكذلك لا تجد له سوقيا ساقطا مبتذلا إلا القليل النادر فى شعره الذى نزل فيه أسلوبه الى درجة العامية المبتذلة [1] مما لا يقبله ذوق وينفر منه القلب والسمع والوجدان .

---

(١) كقوله : يحسب ظانى وبحه سكره ... ليس يدرى أن ظانى حنظلة
وقوله : مافى يدى منه غير عض يدى ... ورب بخت فى الحب منحوس
وقوله : فلم يزل من بين أنفاسها ... يضمها أكثر مما يبوس

الطبع والصنعة فى شعر ابن المعتز :

١ — المطبوع من الشعراء كما يقول ابن قتيبة من سمح بالشعر واقتدر على القوافى وأراك فى صدر البيت عجزه وفى فاتحته قافيته وتبينت على شعره رونق الطبع ووشى الغزيرة (١) . والمصنوع هو المنقح المثقف من الشعر الذى قومه صاحبه بالثقاف ونقحه بطول التفتيش ولم يذهب فيه مذهب المطبوعين (٢) ، مما يظهر للنقاد مهما كان محكما (٣) وتجد البيت فيه مقرونا بغير جاره ومضموما الى غير لفقه (٤) ؛ على أن أئمة الصنعة فى الشعر العربى كانوا يجعلون قصائدهم نمطا واحدا مما يجعلها مستوية الشاعرية كالحطيئة وسواه ولذلك قال الأصمعى : الحطيئة عبد لشعره ، قال الجاحظ : عاب شعره حين وجده كله متخيرا مستويا لمكان الصنة والتكلف والقيام عليه (٥) ، وقال الأصمعى أيضا : زهير والحطيئة وأشباههما عبيد الشعر وكذلك كل من يجود فى جميع شعره ويقف عند كل بيت قاله وأعاد فيه النظر حتى تخرج أبيات القصيدة كلها مستوية فى الجودة (٦) ؛ قال ابن رشيق : يريد الأصمعى أنهما يتكلفان إصلاحه ويشغلان به حواسهما وخواطرها (٧) ، وكان الأصمعى يقول : وإنما الشعر المحمود كشعر الجعدى ورؤبة ولذلك قالوا فى شعره : مطرف بآلاف وخمار بواف (٨) ، وكان

---

(١) ٢٤ الشعر والشعراء

(٢) ١٦ المرجع

(٣) ٢٢ المرجع

(٤) ٢٣ المرجع ولذلك أخذ النقاد القدماء كالصاحب والثعالبي والبديعى على المتنبي كثرة التفاوت فى شعره

(٥) ١٥٠ / ١ البيان والتبين

(٦) ٢٥ / ٢ المرجع وتروى كلمة الاصمعى برواية أخرى هي : زهير والنابغة . وكان النقاد يعدون النابغة من المصنعين ويروى عن أبي عبيدة قال : سمعت أبا عمرو يقول : زهير والحطيئة عبيد الشعر لأنهم نقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين (١٠٥ إعجاز القرآن)

(٧) ١١٢ /١ العمدة (٨) ٢٥ /٢ البيان

الأصمعي يفضله من أجل ذلك (١) ، قال الجاحظ : وكان يخالف في ذلك جميع الرواة والشعراء (٢) وأرى أنه مسبوق بذلك الرأى ، فقد روى أنه قيل للرماح : لو أصلحت شعرك لذكرت به ، فقال : إنما الشعر كنبل فى جفيرك ترمى به الغرض فطالع وواقع وقاصد (٣) ؛ ورد بشار على من عابه بالتفاوت فى شعره بأن الشاعر المطبوع كالبحر يقذف مرة صدفة ويقذف طورا خرزة (٤) . وعلى هذا الرأى يسير بعض المحدثين ممن يرى أن التفاوت فى شعر الشاعر دليل على عبقريته وطبعه وهو الآية الناطقة على شاعرية المتنبي عنده (٥) . وإذا كان الشاعر مصنعا بان جيده من سائر شعره كأبى تمام وإذا كان الطبع غالبا عليه لم يبن جيده كل البينونة وكان قريبا من قريب كالبحترى ومن شاكله (٦).

ويرى بعض المحدثين أن الشعر إذا كان صادراً عن ذات نفس الشاعر كان هو شعر الطبع أو شعر الفطرة (٧) فأينما وجدت النفس المتأثرة بما يزحمها من بواعث الشعور فقد وجدت هنالك شعر الفطرة (٨) ؛ ويذهب إلى ذلك العقاد حيث يرى أن شعور الشاعر بنفسه حد بين الطبع والتكلف فاذا كان الشعر صادقا مؤثرا فهو من شعر الطبع وإلا فهو متكلف (٩) ، ويرى أن الأديب المطبوع من كان غير مقلد

---

(١) ١٥٠ /١ البيان

(٢) ٢٦ /٢ البيان . وكان الاصمعى مع كراهته للصنعة يستحسن التفاوت فى الشاعرية لأنه مظهر الطبع وخلو الشعر من آثار الصناعة

(٣) ٨٨ /٢ الاغانى

(٤) ٢٧٥ /١ زهر

(٥) ٢٧٦ مطالعات للعقاد

(٦) ١١١ /١ العمدة

(٧) ص ٧ الطبع والصنعة فى الشعر

(٨) ١٦ المرجع

(٩) ٢٧٧ مطالعات

فى معناه أو فى لفظه وأن يكون صاحب هبة فى نفسه وعقله لا فى لسانه فقط [١]
وكذلك ذهب صاحب «تاريخ النقد الادبى عند العرب» الذى ذكر رأى ابن قتيبة وحلله بأنه يريد من الطبع فى الشعر معنى الارتجال لا الطبع والشعور والملكة الشعرية الموهوبة ثم بنى على ذلك نقده لابن قتيبة ورأيه [٢]

ورأى المحدثين اصطلاح جديد فى الطبع والصنعة ومعناهما ، وهو لا ينقض الرأى الاول الذى ذهب اليه القدماء ، بل لعل القـــدماء قد لاحظوه واكتفوا فى تعريفهم للطبع والصنعة بآثارهما الفنية فى الادب والشعر .

ونحن نرى أن الاولى فى تحديد معنى الطبع والصنعة أن نجمع بين الرأيين ، فالطبع هو الملكة القادرة فى نفس الشاعر والاديب التى توحى اليه بفنه وأدبه وحى الفطرة والطبيعة واستجابة لعواطفه ومشاعره دون تكلف ودون تعب فى الصوغ أو استجداء لترف الاسلوب والصناعة ، فاذا جاء شىء من آثار هذا التكلف الفنى فى شعر المطبوعين من الشعراء فانما يجىء عفواً وعن غير قصد اليه وتعمد له وإنما طلبه الذوق واستدعاه المعنى ونطقت به الشاعرية دون قصد ودون عناء ودون أن يطغى شىء على نفس الشاعر وشعوره وخلجات قلبه ونزعات عقله وإحساسه . والصنعة هى : إحساس الشاعر أو الاديب بآثار الجمال الفنى وترف الاداء وزخرف الاسلوب ، وحبه لهذا الجمال والترف والزخرف ، وهيامه الفنى بها وقصده اليها وتعمده لها فى شعره وأدبه ، حتى ليطلب الفن للفن ، ويستلهم الجمال للجمال ، ويستوحى الشعر من ملكاته الفنيـة التى غلبت عليها هذه النزعة واستبد بها هذا الاسلوب ، وكادت تكون فنا خالصا يطغى على نفس الشاعر وشعوره وعواطفه وإحساسه بالحياة ، ويستبد بالظهور والغلبـة عليها فى الفن ، أو يشاركها فى تراث الشاعر والاديب الفنى فيقلل من ظهور نزعاته ووجداناته فيه ،

---

(١) ٢٢٦ مطالعات
(٢) ١٣١ تاريخ النقد الادبى عند العرب

ولذلك عاب القدماء من النقاد الصنعة والتصنيع ، وكرهوا الصانعين والمصنعين ، ورأوا مذهبهم يخالف مذهب القدماء من الشعراء في الجاهلية والاسلام .

٢ — ولقد كان الشعر العربي أثراً للفطرة والقريحة ، واستجابة لمشاعر الشاعر وشعوره بالحياة في الجاهلية ، وكان أكثره ارتجالا أوما يشبه الارتجال ، ينظمه الشاعر على البديهة ، ويأتي به عفو الخاطر ، ترد إلى ذهنه المعاني وتتابع ، فتنثال عليه الألفاظ انثيالا ، وتأتيه الأساليب شعرا وشعورا وسحرا وجمالا ، كل ذلك في سهولة وتدفق وفطرة ودون تثقيف وتهذيب وتنقيح ؛ وقد يتفق للشاعر منهم في شعره من آثار الصنعة التي لم يقصدها البيت والبيتان في القصيدة ، « وربما قرئت » من شعر أحدهم قصائد من غير أن يوجد فيها بيت بديع ، وكان يستحسن ذلك منهم إذا أتى نادرا ، ويزداد حظوة بين الكلام المرسل ؛ [1] ؛ وليس متكلفا تكليف أشعار المولدين ، وإنما وقع لهم من غير قصد ولا تعمل لكن بطباع القوم عفوا ، فلم تكن العرب تنظر في أعطاف شعرها بأن تجنس أو تطابق أو تقابل فتترك لفظة للفظة أو معنى لمعنى كما يفعل المحدثون ولكن نظرها في فصاحة الكلام وجزالته وبسط المعنى وإبرازه وإتقان بنية الشعر وأحكام عقد القوافي وتلاحم الكلام بعضه ببعض [2] ؛ فكل شيء للعرب فانما هو بديهة وارتجال وكأنه الهام ، وليس هناك معاناة ولا مكابدة ولا اجالة فكرة وانما هو أن يصرف وهمه الى الكلام والى جملة المذهب والعمود الذى اليـــه يقصد فتأتيه المعاني ارسالا وتنثال عليه الألفاظ انثيالا [3] .

وفي العصر الجاهلي بدأ لون جديد من الوان التثقيف والصنعة في الشعر على يد أوس وزهير وتلاميذهما ؛ كان أوس من أصحاب التنقيح وكان يسمى محبرا

---

(١) ١٦ البديع

(٢) ١٠٨ /١ العمدة

(٣) ١٥ /٣ البيان

لحسن شعره [١] وتتلمذ عليه زهير [٢] ؛ وكان طفيل كذلك وقد قيل إن زهير روى له [٣] وتتلمذ عليه ؛ وكذلك كان النمر بن تولب من أصحاب التثقيف والتهذيب وكان أبو عمرو بن العلاء يسميه الكيس [٤] ؛ ومن أبرز رجال هذه المدرسة زهير ، « وكان زهير يصنع الحوليات على وجه التثقيف والتنقيح ، يصنع القصيدة ثم يكرر نظره فيها خوفا من التعقب ، بعد أن يكون قد فرغ من عملها فى ساعة أو ليلة ، وربما رصد أوقات نشاطه فتباطأ عمله لذلك [٥] » ، « وكان يعمل القصيدة فى ستة أشهر ويهذبها فى ستة أشهر ثم يظهرها فتسمى الحوليات [٦] » ، وعمل سبع قصائد فى سبع سنين وكان يسميها الحوليات [٧] ، وقيل كان ينظمها فى شهر ثم لا يزال يهذبها حتى يمر عليها الحول [٨] ، قال الجاحظ : ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كريتا [٩] ، وزمنا طويلا يردد فيها نظره ويقلب فيها رأيه اتهاما لعقله وتتبعا على نفسه وكانوا يسمون تلك القصائد الحوليات والمنقحات والمحكمات والمقلدات [١٠] ، وقال : وكان زهير وهو أحد الثلاثة المتقدمين يسمى كبار قصائده الحوليات [١١] ، ولعل رأى النقاد فى أنه كان يدع القصيدة عنده حولا يهذبها ويقوم ثقافها ويصبغها بصبغة من الصنعة والتنقيح مبالغة

---

(١) ١١٢ / ١ العمدة
(٢) ١٧٢ / ١ المرجع
(٣) ١١٢ و ١٧٤ و ١٧٥ / ١ العمدة
(٤) ١١٢ / ١ العمدة
(٥) ١٠٨ / ١ العمدة
(٦) ١٣٤ صناعتين
(٧) ٢٦٦ سر الفصاحة
(٨) ٣٨ / ٣ الرافعى
(٩) أى كاملا
(١٠) ٢١ / ٢ البيان والتبيين
(١١) ١٤٩ / ١ و ٢٤ / ٢ للبيان ، ١٠٥ إعجاز القرآن

فى إطالة نظره فيها وصنعته لها . وقد احتج أصحاب مذهب الصنعة بأن امرأ القيس كان يثقف شعره ويجيد فيه نظره ويسقط رديئه ويثبت جيده (١) ، وكان امرؤ القيس راوية أبي داؤد الأيادى مع قوة غريزة وكان يلوذ به فى شعره ويتوكأ عليه كثيرا (٢) . وقد سار تلامذة زهير على نهج أستاذهم ؛ فكان الحطيئة صانعاً حاذقا يقوم على شعره وينقحه (٣) ، كان يعمل القصيدة فى شهر وينظر فيها ثلاثة أشهر ثم يبرزها (٤) ؛ وكان يقول : خير الشعر الحولى المنقح (٥) أو المحكك (٦) ، ويشبهون طريقة الحطيئة فى الشعر بطريقة زهير (٧) ، وكان الأصمعى يعيبه من أجل (٨) صنعته ، وكان الحطيئة راوية زهير (٩) ، وكان الفرزدق يروى للحطيئة كثيرا وكان أبو حية النميرى وهو من أحسن الناس شعرا وألطفهم كلاما مؤتما بالفرزدق آخذ عنه كثير التعصب له والرواية عنه (١٠) ، كما كان هدبة بن الخشرم رواية الحطيئة وجميل راوية هدبة وكثير راوية جميل (١١) .

وهكذا استمر هذا المذهب مذهب التثقيف وطول التهذيب منهجا فنيا يسير عليه بعض الشعراء من المحدثين ، فكان أبو نواس يعمل القصيدة ويتركها ليلة ثم

---

(١) ١٧٤ / ١ العمدة
(٢) ١٧٢ / ١ العمدة
(٣) ٦٠ من التصحيف والتحريف للعسكرى
(٤) ١٣٥ صناعتين
(٥) ١٤٩ / ١ البيان
(٦) ٢٥ / ٢ البيان ، ١٧٥ / ١ العمدة ، ويروى ذلك عن زهير (٢٦٦ سر الفصاحة)
(٧) ٢٦٧ سر الفصاحة
(٨) ١٥٠ / ١ و ٢٥ / ٢ البيان
(٩) ٧٨ / ٧ الاغانى
(١٠) ١٧٢ و ١٧٣ / ١ العمدة ، ٢٩٩ الشعر والشعراء
(١١) ٤٨ / ٣ الرافعى ، ٣٠٠ الادب الجاهلى ، ١٧٢ / ١ العمدة وكان كثير راوية جميل ومفضلا له (١٦ / ٤ العقد)

ينظر فيها ويلغى أكثرها ويقتصر على العيون منها[١]، ويقال انه كان يعمل القصيدة ثم يتركها أياما ثم يعرضها على نفسه فيسقط كثيرا منها [٢] ، ويحرص على هذا فينفي الردىء ويبقى الجيد [٣] ، وكان مسلم صاحب روية [٤] ، وكان البحترى يلغى من كل قصيدة يعملها جميع ما يرتاب فيه فخرج شعره مهذبا وكان أبو تمام لايفعل ذلك ويرضى بأول خاطر فنعى عليه عيب كثير [٥] ، وكان أبو عبيدة ويونس يعتذران لزهير والحطيئة وأشباههما فى هذا الاتجاه الفنى الذى قصدوه بتكسبهم بالشعر والتماسهم به صلات الاشراف والقادة [٦] مما كان يدعوهم الى القيام على الشعر ومعاودة النظر فيه وتتبع الشاعر على نفسه حتى يخرج شعره جيدا [٧] .

٣ — وفى عصر المحدثين أو قريب منه بدأ لون جديد من ألوان الصنعة يدخل الشعر العربى . وهو أهم ألوانها وأبرز سماتها ، وهو الذى سماه النقاد بالبديع [٨] .

---

(١) ١٣٥ صناعتين

(٢) ٢١١ /٧ مهذب الاغانى

(٣) ١٧٥ /١ العمدة . وكان مسلم صاحب روية وفكرة (١٦٦ /١ العمدة) . وفى طبقات الشعراء لابن المعتز (ص ٩١) ما يناقض ذلك ففيها أن أبا نواس كان لايحلل شعره ولا يقوم عليه

(٤) ١٦٦ /١ العمده

(٥) ١٣٥ صناعتين

(٦) ٢٦ / البيان

(٧) راجع ٣٧ /٣ الرافعى

(٨) كان البديع يأتى قبل ذلك عفوا للشعراء والادباء ولكنهم كانو يكرهونه ، فقد روى أن معاوية أملى كتابا إلى رجل فقال فيه : لهو أهون على من ذرة أو كلب من كلاب الحرة ثم قال : امح « من كلاب الحرة » واكتب « من الكلاب » . كأنه كره اتصال الكلام والمزاوجة والسجع (راجع ١٥٥ رسائل الجاحظ)

هذا والبديع فى اللغة يدور حول الجديد والمحدث والمخترع ، جاء فى لسان العرب : بدع الشىء بدعا وابتدعه : أنشأه وبدأه ، والبديع : المحدث العجيب ؛ وأبدعت الشىء : اخترعته لا على مثال ، والبديع من أسماء الله تعالى لابداعه الاشياء وإحداثه إياها لا عن غير مثال سابق ، وأبدعه الشاعر : جاء بالبديع

كان الشعراء المحدثون يقصدون الى ألوان خاصة من الأساليب الساحرة التى يتجلى فيها ترف الفن وجمال الصنعة وسحر الأداء : من استعارة وتشبيه وجناس وتطبيق ومقابلة وحسن تعليل وسوى هذه الالوان ، التى يقصدونها قصدا ويفتنون فيها افتنانا ، ويحرصون على توشية شعرهم وقصائدهم بها وتجميل آثارهم بزخرفها ، وكان الراعى مقدمة لهذا اللون من الصنعة « فكان كثير البديع فى شعره [1] .

وأول من فتق البديع من المحدثين بشار وابن هرمة [2] ، ولم يكن فى المولدين أصوب بديعا منهما [3] ، ثم اتبع بشارا وابن هرمة مقتديا بهما العتابى والنمرى ومسلم وأبو نواس [4] ؛ فالعتابى يذهب شعره فى البديع [5] ، وكان يحتذى حذو بشار فى البديع [6] ، كان يجمع الخطابة والشعر الجيد والرسائل الفاخرة مع البيان الحسن وعلى ألفاظه وحذوه ومثاله فى البديع يقول جميع من يتكلف مثل ذلك من المولدين كالنمرى ومسلم وأشباههما [7] ؛ وأستاذه بشار أبو المحدثين وأستاذهم [8] وكانت تتباين طبقات شعره فيصعد كبيرها ويهبط قليلها بكثيرها وكذلك كان حبيب [9] ، وكان نواس ثانى بشار فى منزعه لفظا ومعنى وكثيرا ما صب على قوالبه وجرى فى مضماره . حتى قال الجاحظ فيهما : معناهما واحد والعدة اثنان !

---

(١) ٢٤٢ /٣ البيان
(٢) ١١٠ /١ العمدة
(٣) ٥٥ /١ البيان
(٤) ١١٠ /١ العمدة
(٥) ٢٤٢ /٣ البيان
(٦) ٥٥ /١ البيان
(٧) ٥٤ /١ البيان
(٨) راجع ٢٠ /٣ الاغانى ، ١١٠ /١ العمدة ، ١٣ / ٢ زهر ، ٢٥٠ موشح ، ص ٣ طبقات ابن المعتز . وكان الاصمعى يقول هو خاتمة الشعراء (٢٣ /٣ الاغانى)
(٩) ٢٦٣ رسائل البلغاء من رسالة الانتقاد لابن شرف

بشار حل من الطبع بحيث لم يتكلف قط قولا ولا تعب من عمل شعر ، وأبو نواس حل من الطبع بحيث يصل شعره الى القلب بلا اذن وليس بعد بشار مولد أشعر من أبى نواس [١] ؛ وكان أبو نواس يشبه بالنابغة [٢] ، وكان أسير المحدثين شعرا [٣] . والصنعة واضحة بشكل ملموس فى ميمته ؛

وذى رحم قلمت أظفار ضغنه بحلمى عنه وهو ليس له حلم [٤]

على أن هذه الصنعة الشعرية لم تصبح ظاهرة فنية مقصودة وتهذيبا أدبيا واسعا للشعر ومذهبا جديدا مأثورا إلا على يد المحدثين عامة [٥] وعلى يد مسلم وأبى تمام على الخصوص ؛ فمسلم أول من تكلف البديع من المولدين وأخذ نفسه بالصنعة وأكثر منها ولم يكن فى الأشعار المحدثة قبله إلا النبذ اليسيرة وهو زهير المولدين وكان يبطىء فى صنعته ويجيدها [٦] ، بل هو فيما زعموا أول من قال هذا الشعر المعروف بالبديع وهو لقب هذا الجنس بالبديع واللطيف [٧] ، وأول من أفسد الشعر بالبديع [٨]، ويشيد به النقاد جميعا فى مذهب الصنعة والبديع منوهين بأثره فى هذا الباب [٩] ، كان يتخذ الصنعة مذهبا يطبق عليه نماذجه بيتا بيتا فعنى بضروب التصنيع والزخرف المختلفة من جناس وطباق واستعارة ومشاكلة وأقام الفاظه وتعابيره كما يقيم المثالون تماثيلهم وحقا كان مسلم زعيم التصنيع فى عصره فقد

---

(١) ١٦١ العصر العباسى للاسكندرى
(٢) ١١٠ /١ العمدة
(٣) ١٧٣ /٢ العمدة
(٤) وهى فى ديوانه ، وتنسب لمعن بن أوس خطأ
(٥) ١٧٣ /١ العمدة
(٦) ١١٠ /١ العمدة
(٧) ٢٠ /١ معاهد التنصيص
(٨) ٨ الموازنة
(٩) ٦٨ المثل السائر ، ١٠٩ طبقات ابن المعتز ، ٣٧٢ معجم الشعراء ، ٢٤٨ رسائل البلغاء ، ١٣٢ / ٤ زهر

استطاع أن يجعله الغاية من صنع نماذجه فالقصيدة عنده لا تعبر عن خواطر وإنما تعبر عن ألوان (١) .

وعمت موجة التصنيع بعد مسلم ، وعلى نمطه وحذوه سار أبو تمام والبحترى ، فكانا يطلبان الصنعة ويولعان بها ، فأما حبيب فيذهب الى حزونة اللفظ وما يملأ الأسماع منه مع التصنيع المحكم طوعا وكرها يأتى للاشياء من بعد ويطلبها بكلفة ويأخذها بقوة ، وأما البحترى فكان أملح الناس صنعة وأحسن مذهبا فى الكلام يسلك منه دماثة وسهولة مع أحكام الصنعة وقرب المأخذ لايظهر عليه كلفة ولا مشقة (٢) ، كان لابى تمام مذهب فى المطابق هو كالسابق اليه جميع الشعراء (٣) ؛ وربما أسرف فى المطابق وفى المجانس ووجوه البديع من الاستعارة وغيرها (٤) ، ولا تجتمع الاستعارة اجتماعها فيما نظمه (٥) ، وهو أول من شرع البديع وأنبع عيون التقسيم والتصريع والاستعارة وأرى الناس غرائب أنواع الجناس (٦) ، وعلى أى حال فأبو تمام ومسلم هما اللذان طرقا الى الصنعة ومعرفتها طرقا سابلة وأكثرا منها فى أشعارهما تكثيرا سهلها عند الناس على أن مسلما أسهل شعرا من حبيب وأقل تكلفاً (٧) ، كان أبو تمام يستخدم فى صناعة شعره وشى التصنيع الذى عرف عند مسلم من طباق وجناس ومشاكلة وتصوير وأضاف اليها شيئاً آخر من الثقافة والفلسفة وعقد فيها تعقيدا فكان يعتمد

---

(١) ٨١ و ٨٣ الفن ومذاهبه

(٢) ١٠٩ / ١ العمدة

(٣) ١٩٨ / ٧ مهذب الاغانى

(٤) ٩٦ إعجاز القرآن

(٥) ٩٢ رسالة الغفران

(٦) ٣٠٥ الريحانه للشهاب من ظلامة أبي تمام التى ذكرها الشهاب الخفاجى فى ريحانته (٣٠٤ — ٣٠٩) وقد صنفها الخالدى على لسان أبي تمام يشكو فيها الطائي من الواعظ الموصلي الذي كان يغير علي شعر أبي تمام فى كلامه وشعره

(٧) ١١٠ / ١ العمدة

فى تصويره على صبغ التدبيج وقد استوعب الفلسفة والثقافة وحولها الى فن وشعر فالطباق والجناس والمشاكلة كل ذلك وسواه تجتمع فى شعره فيجعله الغموض فى كثير من جوانبه وأجزائه وهو الغموض الفنى الذى أخذه به النقاد فهو يبتكر أفكارا وصورا جديدة ولكنه يحس بأن اللغة لا تستطيع أن تؤدى ما يريد وجانب الغموض والمعانى الغويصة فى شعره هو الذى أثار ضجة واسعة حول شعره تشبه تلك الضجة التى شبت فى فرنسا حول مذهب الرمزيين حين تفرع من مذهب البرناسيين ؛ وكان أبو تمام يستخدم الطباق استخداما معقدا يلونه بأصباغ فلسفية وكان يسميه توافر الأضداد [1] وهو المقابلة وكان البحترى يتشبه بأبى تمام وينحو نحوه ويحذو حذوه فى البديع [2]

وكان لا يرى فى التجنيس ما يراه أبو تمام [3] ويمل التصنع له فاذا وقع فى كلامه كان فى الأكثر حسنا رشيقا وتصنعه للمطابقه كثير حسن وتعمقه فى وجوه الصنعة على وجه طلب السلامة والرغبة فى السلاسة [4] ، والبحترى على أى حال لم يكن متفلسفا ولم يكن من رجال الفكر العميق كان بدويا أعرابيا فظلت أدوات الصناعة عنده ساذجة بسيطة [5] ، كان يتتبع الألفاظ وينقدها نقدا شديدا كما يقول الباقلانى ، وكانت ألفاظه كأنها نساء حسان عليهن غلائل مصبغات وقد تحلين بأصناف الحلى كما يقول صاحب المثل السائر ، بل كانت كالعسل حلاوة [6] ، أما ابن الرومى فقد كان من الشعراء الذين يؤثرون المعنى على اللفظ فيطلبون صحته

(١) راجع ١١١ و ١١٥ و ١٢١ و ١٢٣ و ١٢٤ و ١٣١ الفن ومذاهبه فى الشعر العربى
(٢) ١٨٣ /٧ مهذب الاغانى
(٣) أى من إسرافه فيه
(٤) ٩٦ إعجاز القرآن
(٥) ٩٠ الفن ومذاهبه
(٦) ٣٥ طبقات ابن المعتز . والآمدى يفضل ابتداءاته (٥٠٥ /١ العمدة) وكان مقصرا فى الخروج من النسيب الى المدح (٤١ إعجاز القرآن) ، ويفضله الجرجانى بجودة الابتداء على حبيب والمتنبي وفضلهما عليه بالخروج والخاتمة (٢٠٥ /١ العمدة)

ولا يبالون حيث وقع من هجنة اللفظ وخشونته [١] ، فكان يصنع شعره على طريقة المدرسة المحافظة ولم يستطيع أن يخرج الى المدرسة الحديثة مدرسة التصنيع [٢] ، فهو حديث في ثقافته ولكنه لا يستطيع أن ينهض في فنه بألوان التصنيع وزخارفه وحقا قد شغف بالتصوير ولكن هذا الشغف لا يخرجه إلى مجال المصنعين [٣] ، وهو مع ذلك قد يأتي بألوان الزخرف الفني في شعره ولكن دون أن يتخذها مذهبا ، وكان يستخدم الطباق والجناس في شعره وهو يشبه البحتري في ذلك إلا أن البحتري يكثر من الجناس ، وقد استعار من أبي تمام صبغ التدبيج [٤] .

٤ — وانتهى علم البديع والصنعة إلى ابن المعتز وختم به [٥] ؛ وكان ابن المعتز هو الشاعر الذي انتهت إليه الصناعة الشعرية فقد كان يحب الفن للفن وينظم الشعر ليلهو به وكان في العباسيين كالوليد في الأمويين وكان متكلفا مجيدا في تكلفه كما كان الوليد مطبوعا مجيداً في طبعه .

ويقول عبد القاهر فيه :

وطريقة ابن المعتز طريقة أبي تمام ولم يكن من المطبوعين [٦] ، وكان عبد القاهر يؤثر المطبوع وما قاربه من المصنوع ، ويصف ابن رشيق صنعة ابن المعتز فيقول :

---

(١) ١٠٦ / ١ العمده ، وابن الرومي أكثر الشعراء اختراعا للمعاني (٢٣٢ ج ١ العمدة) ، وأدبه أكثر من عقله وكان يتعاطى علم الفلسفة (١٦١ رسالة الغفران)

(٢) ٩٤ الفن ومذاهبه

(٣) ٩٥ المرجع

(٤) وكان يلتزم حركة ما قبل الروي في أكثر شعره (١٣٣ / ١ العمده) وكان يلتزم مالا يلتزم في القافيه ١٣٧ و ١٣٨ / ١ العمدة وقد يلتزم الحرف ، وحركته قبل الروي ١٧٢ سر الفصاحة

(٥) ١١٠ ج ١ العمدة

(٦) ٢٦٢ أسرار البلاغة

وما أعلم شاعراً أكمل ولا أعجب تصنيعاً من ابن المعتزفان صنعته خفية لطيفة لا تكاد تظهر فى بعض المواضع إلا للبصير بدقائق الشعر وهو عندى ألطف أصحابه شعراً وأكثرهم بديعاً وافتنانا وأقربهم قوافى وأوزانا ولا أرى وراءه غاية لطالبها فى هذا الباب [1] ؛ ولقد صدق ابن رشيق فى حكمه الأدبى على ابن المعتز وصنعته فان له من رائع الصنعة وسحر البديع وجمال الأداء ولطف الأساليب ودقة المذهب وحلاوة الصياغة فى صناعته ما يروع القارىء ويستبد باعجاب المنصف من النقاد «كان أبو تمام متكلفا للبديع وكان البحترى وابن المعتز يجريان مع الطبع وكان مسلم ينهج نهجاً وسطا » [2] . ولا شك أن ذلك أثر لعصره وبيئته وحياته ووجدانه وشعوره ، وآية ناطقة بحبه للجمال السارى فى الحياة . وسآخذ فى تحليل ألوان الصناعة فى شعره وفى شرحها ونقدها لنعرف الى أى حد بلغ ابن المعتز فى هذا الباب

ألوان الصنعة فى شعر ابن المعتز :

ا — التشبيه والاستعارة : —

وقد رأيت فى الفصل الذى عقدناه للتشبيه فى شعره كيف بلغ ابن المعتز درجة الجمال والروعة الفنية ، وكيف ملك زمام الأجادة وانفرد فيهما بالحسن والاعجاب ، وأتى فيهما بالرائع النادر والجديد المبتكر ، مما سبق فيه جميع الشعراء ، وتفرد فيه على كل شاعر سبقه أو أتى بعده ، حتى ضرب المثل بتشبيهاته وصارت دلالة على شاعريته ، وسمة على ملكاته الفنية فى باب القريض

ب — جودة الابتداء : —

وابن المعتز فى هذا مجيد مبدع ، تسرى فى شتى ابتداءاته روح الجمال وملكة

---

(١) ١٠٩ و ١٠ ؛ ج ١ العمدة

(٢) ١٧٠ وما بعدها الاسلوب للشايب

الأجادة ويملك عليك شعورك وعاطفتك ويستبد بتقديرك وإعجـابك ، فأنت تقرأ له :

سقى المطيرة ذات الظل والشجر   ودير عبدون هطـال من المطر
و : طار نومى وعاود القلب عيد   وأبى لى الرقاد حزن شـديد
و : سأثنى على عهد المطيرة والقصر   وأدعو لها بالساكنين وبالقطر
و : شجتك لهـند دمنة وديار   خلاء كما شاء الفراق قفار
و : الدار أعرفها ربى وربوعا   لكن أساء بها الزمان صنيعا
و : طال ليلى وساورتنى الهموم   وكأنى لكل نجم غريم
و : نبهت ندمانى فهـبا   طربا الى كأسى ولى
و : بحـياتى ياحيـاتى   اشربى الكأسى وهاتى
و : من يذود الهموم عن مكروب   مستكين لحـادثات الخطوب

وغير ذلك من مطالع قصائده ، وابتداء شعره التى يسرى فى اعطافها السحر ويشيع فيها روح الشاعرية والجودة والأحسان . وإنه ليعز عليك أن تجد لابن المعتز ابتداء نافرا أو مطلعا غير مقبول ، وكثير من ابتداءاته مصرعة ، وله بعض ابتداءات أخرى ترك فيها التصريع وإلحاق العروض بالضرب مما تجده مفرقا قليلا فى شعره ، وعدم التصريع مذهب لكثير من الشعراء [1] ، وكان بعض الشعراء كامرىء القيس يلهجون بالتصريع [2]

أما ختام قصائده فيغلب عليه الجمال الفنى والأحسان والجودة ، ولكن ختام قصائده لايصل فى بلاغته إلى جودة ابتداءاته

وأما التخلص فى شعره ، ويسميه ابن المعتز فى كتابه « البديع » خروجا ،

---

(١) ١٥٢ / ١ العمدة
(٢) ١٧٩ سر الفصاحة

فضئيل الحظ من الجودة والبلاغة والجمال فتراه فى قصيدة له يقول فى الغزل بعد عدة أبيات :

فلم يكن بيننا سوى اللحظ والد مع كلام لنا ولا رسل

ثم يتخلص بعد ذلك البيت من الغزل إلى غرضه من القصيدة تخلصا سخيفا مثل ما ألف عند الجاهلية فيقول :

هذا لهذا ، فالذى إحن يدس كيده لى ويختتل

وفى قصيدة له فى المكتفى وصف فى أولها لذاته فى الحب وقال :

نقرع الثغر بثغر طيب عند الورود

ثم قال بعد ذلك مباشرة يمدح الخليفة :

مرحبا با لملك القا دم بالجد السعيد

ج ـ الطباق فى شعر ابن المعتز :

والطباق من الوان البديع ، وذكره ابن المعتز فى كتابه « البديع » ، وهو الجمع بين الشيء وما يقابله فى الكلام .

وهو أحد ألوان البديع ، التى أجاد فيها الشاعر وتفوق فيها على كثير من الشعراء ؛ فأنت تقرأ له :

، أبصرته فى المنام معتذرا إلى مما جناه يقظانا

، ساءت بك الدنيا وسرت مرة فأراك من حسناتها وذنوبها

، خاضوا الظلام بعدى وكنت فيهم فجرا

، وشعره من ظلام ووجهه من نور

، يامن عنانى حسده يقيمه ويقعده

سهرت ليلا أرقده حظ الحسود كمده

وفى دار أحبابه .

حبست بها لحظي وأطلقت عبرتى وما كان لى فى الصبر لو كان لي عذر

إلى غير ذلك من أبياته التى وشاها بلون الطباق ، فتجد فنا ساحرا وصنعة رائعة وجمالا لا ينقصه شىء من الروح والحياة ، وقل أن تجد فى شعره طباقا نافرا غير مقبول ، وقد استقصيت ذلك فلم أجد فيه إلا هذه المثل القليلة .

وقال ابن المعتز :

وإنى رأيت الدهر فى كل ساعة يسير بنفسى المرء والمرء جالس

فهذا طباق سخيف وأسلوب قبيح .

وقال :

أيا من حسنه عذر اشتياق ويحسن سوء حالى فى هداه

فتجد طباقا لا يستوفى حظه من الجمال لتكلفه وعدم طلب المعنى له وبعده عن الذوق والقبول .

ويقول :

يكون سرور فى الهوى وشقاء .

وكان الأولى أن يقول « يكون نعيم فى الهوى وشقاء » .

د — المقابلة فى شعر ابن المعتز :

والمقابلة مع صعوبتها الفنية إلا على الممتازين من الشعراء تجىء فى شعر ابن المعتز جميلة رائعة ساحرة وبليغة نادرة ، وتحوز من القارىء والسامع الأعجاب والثناء ، وهاك مثلا لها فى شعره :

قال ابن المعتز :

فأمامى المر من عمرى وورائى منه ما طابا

ويقول فى إخوانه :

إذا قل مالى قل مدحى وإن أثريت غالوا فى امتداحى

ويقول .

أبا جيش إذا غدوت وحيدا ووحيد فى الجحفل الجرار

ويصح أن يكون من باب العكس .

ويقول :

مات وصال وعاش صد وذل مولى وعز عبد

ويقول :

هو سقم حين أفقده وشفاء السقم لو أجده

ويقول :

أصدق الناس بلا أكذب الناس نعم

ويقول :

وللدهر أيام تسيء عوامدا وتحسن ان أحسن غير عوامد

ويقول :

رب أمر تتقيه جر أمرا ترتجيه
خفي المحبوب منه وبدا المكروه فيه

والمقصود البيت الثاني وحده .

ويقول :

قد لبسنا صباحا وخلعنا ظلاما

ويقول :

ضاحكا من الأسى باكيا من الفرح

ويقول :

نبادر أيام السرور فانها سراع ، وأيام الهموم بطاء

ويقول :

ويا من مدحه كذب ويا من ذمه صدق

ويقول .

صديق وفري عدو فقري

فتجد شعرا وسحرا وصنعة وجودة وحسنا واحسانا وجمالا واتقانا وفنا من الصنعة فى باب المقابلة لا تجده الا عند القليل من الشعراء ، حتى ليأتى بها فى شطر واحد من البيت وفى سهولة فنية لا تشعرك بتكلف ولا تحس فيها أثرا للتعمل البغيض ؛ وبعض أبياته فى المقابلة تتركب من ثلاث طباقات كما فى قوله :

اذا ما التقينا سرنى منه ظاهر فان غاب عنى ساءنى منه باطن

ويقول :

رب عذر حلو أبيتم وعبتم ووفاء مر صبرتم عليه

وقل أن تأخذ على ابن المعتز شيئا فى هذا الباب ، ومن ذلك قوله :

ثم ظنى بأنما يسعد العا قل والحاسد المعنى الشقى

فالمقابلة بين العاقل والحاسد مقابلة غير تامة الا على سبيل التسامح والمجاز .

هـ — الجناس فى شعر ابن المعتز :

وفن ابن المعتز فى الجناس فن جيد غالباً ونازل ضعيف فى القليل النادر من شعره ، وابن المعتز يتصرف فى شتى ألوان الجناس فى قدرة وجمال صنعه .

يقول :

سقى المطير ذات الظل والشجر ودير عبدون هطال من المطر

ويقول :

طار نومى وعاود القلب عيد .

ويقول :

الدار أعرفها ربى وربوعا .

ويقول :

سأثنى على عهد المطيرة والقصر وأدعو لها بالساكنين وبالقطر

ويقول .

بنو العم لا بل هم بنو الغم والأذى وأعوان دهرى ان تظلمت من دهرى

ويقول فى ربع أحبابه ،

أبلى جديد مغانيك الجديدان

ويقول . نطقت مناطق خصره بصفاته

» . عذرته السلافة العذراء .

ويقول .

تاه علينا فتاه منا فلا نراه ولا يرانا

ويقول . هذا الفراق وكنت أفرقه .

ويقول .

قل لمن حيا فأحيا ميتا يحسب حيا

ويقول . وقوما فامز جاراحا بروحى .

وسوى ذلك . فتجد تجنيسا مقبولا بليغا ، وصنعة مطبوعة أو كالمطبوعة ، وفنا استدعاه المعنى وظهرت فيه خلجات الشاعر وشعوره .

ولابن المعتز بعض أبيات من الجناس الممقوت الذى يظهر عليه أثر التكلف والصنعة ويغطى فنه فيه على روح الشاعر واحساسه بالحياة ، وسأذكر مثلا لذلك الآن .

قال ابن المعتز :

المـال يفرق من كف تفرقـــه

جاءت كلمة « يفرق » فى الأسلوب طلبا للجناس

وقال :

أبا حسن قراك الله حســـنا

ولو قال :

جزاك الله خيراً ، لـكان أحسن من هـذا الجنـاس البغيض .

وقال :

تعاهـــدتك العهاد يا طلل

والتجنيس هنا لم يضعف روح الشاعر وإحساسه ولكنه مشعر بالتكلف الممقوت .

ويقول :

ومال قد سخوت به وجاه   وجيه لا يخاف أذى الحجاب

ويقول :

ألم تحزن على الربع المحيل   وآثار وأطلال محول

فتجد فى البيتين صنعة متكلفة وتجنيساً مقصودا لنفس التجنيس .

ويقول :

أبى آبى الهوى ألا تفيقا

ويقول :

وصاحب سوء وجهه لى أوجه

ويقول فى الأسد :

ويبطل أبطال الرجال من الذعر

ويقول فى المعتضد :

له راحة ما لها راحة

ويقول فيه :

فكم فضة فضها فى سرو   ر يوم وكم ذهب قد ذهب

ويقول فيه :

أيحمل شر برق أم براق ؟

فتجد فى ذلك كله سخفا وتكلفا وصنعة متعملة وأسلوبا نازلا لا فائدة فيه ولا معنى وراءه لأنه لايجرى وراء المعنى المقصود ولايمثل شعور الشاعر وعواطفه وخلجات قلبه ، وليت ابن المعتز حذفها من شعره

و — الاعتراض فى شعر ابن المعتز :—

وفن ابن المعتز فى الاعتراض فن جميل موهوب ، وصنعته فيه صنعة جيدة

مختاره لا تجد لها نظيراً عند كثير من الشعراء.

وإن شئت فاقرأ قوله :

شيبتى وما شيبنى السن همـوم تترى ودهر مريد

أو قوله :

شـجتك لهند دمنـة وديار خلاء ـ كما شاء الفراق ـ قفار

أو قوله فى دار أحبابه :

حبست بها لحظى وأطلقت عبرتى وما كان لى فى الصبر ـ لو كان لى ـ عذر

أو قوله :

هل تذكرين ـ وأنت ذاكرة ـ مشى الرسـول إليـكم سرا

أو قوله :

شقيت ـ كمن يشقى ـ بريم أحبه على وجهه نور من الحسن يشرق

أو قوله :

أراد ـ لمـا رأى سقمى فرق له ـ برئى فقـد زادنى سقما على سقم

أو قوله فى الطيف :

ولا ـ حتى إذا هممت به نبهت عند الصبـاح ، لا كانا

أو قوله فى إخوانه .

عسى أرجى رجوع غايتهم فكيف ـ لا كيف ـ لى بأموات

أو قوله .

يا قوم ـ بل لا قوم لى ـ هبوا من الرقدات

وسوى ذلك ، فستجد جمالا وسحرا لا نظير لها فى شعر وصنعة الشعراء .

ز ـ صور أخرى من الصنعة فى شعر ابن المعتز .

ولابن المعتز صور أخرى رائعة لصنعة الشعر وفنه ، من كناية ومجاز وبلاغة إيجاز وحسن تعليل واستطراد وإيغال واقتباس وقسم وتقسيم وتوجيه وسوى ذلك من ألوان الصنعة وزخارفها .

١ — يقول ابن المعتز .

وقمت إلى الكوم الصفايا بمنصلى فصيرتها مجدا لقومى وأحسابا

ويقول فى ضيفه .

وبات بمسى ليلة غاب شرها وقمت فأطعمت الثناء وأسقيت

ويقول .

وضاع من ليلى غده طوبى لعين تجده

ويقول .

أخذت من شبابى الأيام وتولى الصبا عليه السلام (١)

ويقول .

والنجم فى مغربه وسنان والصبح فى مشرقه حيران

ويقول .

وناقة فى مهمه رمى بها هم اذا نام الورى سرى بها

ويقول

تصغى إلى أمر الندام كما عطفت يد الجانى ذرى الغصن

ويقول .

قد أكل الحمد تلادى أكلا

ويقول .

ورب نار أقمت الجود يوقدها فى ليلة من جمادى ذات تهنان

فتجد روعة فى التصوير وجمالا فى التجوز ولطفاً فى الصياغة وسحراً فى الأسلوب يبلغ حدود الاحسان والتجويد .

٢ — ويقول ابن المعتز .

والصبا ممتلىء حاجة وأملا

---

(١) البيت ساحر فى تناسب القسمين كما يقول ابن حجة (٣ خزانة الأدب)

ويقول .

وظباء غرائر مشبعات المآزر

فيبهرك جمال التصوير وروعته فى البيت الأول وحسن الكناية وعذوبتها فى البيت الثانى

ويقول .

لا ورمان النهود فوق أغصان القدود

ويقول :

لا والذى لا إله إلا هو أنت بهذا على تياه

فلا تجد أبلغ من هذا القسم الجميل ، الذى يعجبك منه هذا الهيام فى الحب والهوان أمام عزة المحبوب .

ويقول ابن المعتز فى الراح :

نور وإن لم يغب ووهم إذا صح وماء لو كان ينسكب

ويقول فى أقداحها :

وتحسب الماء زجاجا جرى وتحسب الأقداح ماء جمد

ويقول :

فاذا طنا كيد رسا وإذا رسا كيد طفا

فتجد صورا من الصنعة رائعات ، وجمال فى الفن لا يعدله جمال .

ويقول ابن المعتز :

فما بكت عليهم السماء لما أتيح لهم القضاء

فتجد اقتباسا جميلا من كتاب الله الكريم « فما بكت عليهم الأرض والسماء » .

ويقول :

لا تحسبوا اليوم الجديد كأمسكم أين الصباح من الظلام الغاسق

فتجد تدفقا وروعة وقوة تأثير .

٣ — ويقول:

تعاونت في دمي محاسنها ... لكن خذوا سحر عينها بدمي

فتجد عمقا في المعنى وجمالا في التصوير، فحبيبه كل حسن وسحر، وما يدرى أي عضو من أعضائه وحسن من محاسنه يحمله دمه ويطالبه بثأره؟ ولكن عينه هي التي تنفذ الى أعماق القلوب وتؤثر في حبات الأفئدة وتجعل العزيز في حبها مهانا، فليطالبها الشاعر بدمه المسفوك، وهل بعد ذلك جمال في التصوير والأداء؛ ومثله:

أراقت دمي عمدا محاسن وجهه ... فأضحى وفي عينيه آثاره تبدو

وهو من بليغ حسن التعليل، أتى بحمره العين وجعل إراقة الدم في صورة العلة، وهو يعلم أنها مخترعة موضوعة فليس ثمة إراقة دم.

ويقول:

والورد يضحك من نواظر نرجس ... قذيت وآذن حيها بممات

الضحك في الورد وكل زهر ونور يتفتح مشهور، ولكنه في هذا البيت جعل الورد كأنه يعقل ويميز فهو يشمت بالنرجس لانقضاء زمنه وإدبار دولته وظهور آثار الفناء فيه، وأعاد هذا الضحك من الورد فقال:

ضحك الورد في قفا المنثور ... واسترحنا من رعدة المقرور

أراد إقبال الصيف وحر الهواء كما يوضح ذلك قوله بعده:

واستطبنا المقيل في برد ظل ... وشممنا الريحان بالكافور

فالرحيل الرحيل ياعسكر اللذات ... عن كل روضة وغدير

فهذا من شأن الورد الذى عابه ابن الرومى وفضل النرجس عليه (١) . وقد جعله ابن المعتز لهذا الطرد ضاحكا ضحك من استولى وظفر ؛ ومما يشوب الضحك فيه شيء من التعليل . قول ابن المعتز أيضا :

وإذا أردت تصابيا فى مجلس فالشيب يضحك بى مع الأحباب

فلهذا الضحك زيادة معنى على قول دعبل « ضحك المشيب برأسه فبكى » لأنه جعل المشيب يضحك ضحك المتعجب من تعاطى الرجل ما لا يليق به ؛ وكذلك قوله : « فى شارق يضحك من غير عجب » ، وذلك لأن نفيه العلة اشارة الى أنه من جنس ما يعلل وأنه ضحك قطعا وحقيقة (٢) .

ويقول ابن المعتز .

ضعيفة أجفانه والقلب منه حجر
كأنما ألحاظه من فعله تعتذر

ويقول :

سقانى وقد سل سيف الصبا ح والليل من خوفه قد هرب

لم يقنع بالتشبيه الظاهر والقول المرسل كما فعل فى قوله .

حتى بدا الصباح من نقاب كما بدا المنصل من قراب

ولكنه أراد أن يحقق دعواه أن هناك سيفا مسلولا ويجعل نفسه كأنها لا تعلم أن ههنا تشبيها فجعل الظلام كالعدو المنهزم الذى سل السيف فى قفاه فهو

---

(١) وذلك فى قوله .

خجلت خدود الورد من تفضيله خجلا توردها عليه شاهد

ويقول فى هذه القطعة .

فصل القضية أن هذا قائد زهر الرياض وهذا طارد

هذا الاولى إشارة للنرجس والثانية للورد

ولابن لنكك البصرى رسالة فى تفضيل الورد على النرجس (٢٠٩ / ٢ الفرج بعد الشدة) ،

(٢) راجع ٢٥٢ أسرار وما بعدها

يهرب مخافة أن يضرب به ، ومثل هذا فى أن جعل الليل يخاف الصبح قوله .

سبقنا إليها الصبح وهو مقنع　　كمين وقلب الليل منه على حذر[١]

ويقول ابن المعتز .

قالوا اشتكت عينه فقلت لهم　　من كثرة القتل نالها الوصب
حمرتها من دماء من قتلت　　والدم فى النصل شاهد عجب

ويقول .

لعمرك ما أزرت بيوسف لحية　　ولكنه زاد حسنا وأضعفا
فلا تعتذر عن حبه بالتحائه　　فما يحسن الدنيار إلا مشنفا

ويقول :

ألا أيها الربع الذى عطل الدهر　　عفاك بكائى فيك لم يعفك القطر

ويقول :

قالت كبرت وشبت قلت لها　　هـذا غبار وقائع الدهر

أنكر أن يكون الذى نزل به شيبا ورأى الاعتصام بالجحد أخصر طريقا الى نفى العيب وقطع الخصومة ، ولم يسلك الطريق العامية فيثبت المشيب ثم يمنع العائب أن يعيب ويريه الخطأ فى عيبه كما فعل البحترى فى قوله :

وبياض البازى أصدق حسنا　　إن تأملت من سواد الغراب

وقول أبى تمام :

فلا يرعك إيماض القتير به　　فان هذا ابتسام الرأى والأدب

ويقول ابن المعتز :

فى كفه عضب إذا هزه　　حسبته من خوفه يرتعد

اخترع لهزة السيف علة فجعلها رعدة تناله خوفا من الممدوح [٢] .

(١) راجع ٢٥٤ وما بعدها أسرار البلاغة
(٢) ٢٥١ راجع

وقال :

عاقبت عينى بالدمع والسهر إذ غار قلبي عليك من بصرى
واحتملت ذاك وهى رابحـــة فيك وفازت بلذة النظر

العادة فى دمع العين وسهرها أن يكون السبب فيه إعراض الحبيب أو اعتراض الرقيب ونحو ذلك ولكن ابن المعتز ترك ذلك كله وادعى أن العلة غيرة القلب منها على الحبيب وإيثاره أن يتفرد برؤيته ؛ ولابن المعتز أيضا فى عقـوبة العين بالدمع والسهر :

قـل لأحلى العباد شكلا وقـدا أبجد ذا الهجر أم ليس جـدا
ما بذا كانت المنى حـدثتنى لهف نفسى أراك قـد خنت ودا
ما ترى فى متيم بك صب خاضـع لا يرى من الذل بدا
إن زنت عينه بغيرك فاضربها بطول السهـاد والدمع حـدا

جعل البكاء والسهاد عقوبة على ذنب أثبته للعين كما فعل فى الأول ، إلا أن صورة الذنب ههنا غير صورته هناك، فالذنب ههنا نظرها الى غير الحبيب واستباحتها من ذلك ما هو محرم محظور ، والذنب هناك لنظرها الى الحبيب نفسه ومزاحمتها القلب فى رؤيته ، وغيرة القلب من العين سبب هناك فأما هنا فالغيرة كائنة بين الحبيب وشخص آخـر ، ولا شك فى قصور الثانى عن الأول وأن للأول عليه فضلا كبيرا ، وذلك بجعله بعضه يغار من بعض وجعل الخصـومة فى الحبيب بين عينه وقلبه ، فأما الغيرة فى البيت الثانى فعلى ما يكون وما ألف أبدا ، ولفظة « زنت » وإن كان ما يتلوها من إحكام الصنعة يحسنها وورودها فى الخبر « العين تزنى » يؤنس بها ، فلا تخلو من إدخال نفرة على القلب والنفس ؛ وحول هذا المعنى يقول شاعر :

تقول وفي قولهـا حشمة أتبـكى بعين ترانى بهـا

فقلت إذا استحسنت غيركم أمرت الدموع بتأديبها [1]

إلا أن الاستاذية تعد ظاهرة فى بيت ابن المعتز ، فانه لا يكون أبلغ فى الذى أراد من تعظيم شأن الذنب من ذكر الحد وذلك لا يتم إلا بلفظة « زنت »، ومن هذه الجهة يلحق الضيم كثيرا من شأنه [2] .

وهكذا تجد جمال التعليل وجودة الحجاج والاحتجاج مما يصعد بفن ابن المعتز وصنعته فى مصاعد الجودة والإحسان .

٤ — ويقول ابن المعتز فى البازى :

لا يتقيه هارب بفوت لاعيب فيه غير عشق الموت

فتجد تأكيدا للمدح بما يشبه الذم يبلغ فيه الشاعر ما أراد من جودة وحسن صنعه .

ويقول فى صديق له .

عين أصابت وده لا رأت وجه حبيب أبدا مقبل

ويقول فى المعتضد .

ما يحسن القطر أن يهل عارضه كما تتابع أيام الفتوح له

فتجد صورتين من صور الصنعة يبلغان فى البلاغة وجودة التصوير ودقة الاداء لما يريد الشاعر أداءه من معان مبلغا كبيرا .

ويقول .

نطق اللثام فمن يقول ومن سبحانك اللهم يا رب

---

(١) الابيات موجودة فى الصناعتين ومن الغريب نسبتها لابن العربى م ٣ ٥٤ ه كما فى أزهار الرياض (٨٨ / ٣)

(٢) راجع ٢٦٠ أسرار

حتى وحتى لست أذكرهم　　　إنى لاكرم عنهم سبي

ويقول .

وجفاه الاخوان حتى وحتى　　　سم ماشئت من حبيب قريب

ويقول يصف بازيا . مبارك اذا راى فقد رزق .

ويقول . سقى الله اهل الحمى وابلا　　　سفوحا وقل لاهل الحمى

فتجد بلاغة فى صنعته الايجاز ، وجمالا فى توشيته للأسلوب .

ويقول .

يا مسكة العطار وخال وجه النهار

ويقول : ورضا لحظ مقلة بعد عتب

ويقول فى النجوم .

ركوع رهبان دير فى صلاتهم

ويقول .

وظلت تدير الراح أيدى جآذر　　　عتاق دنانير الوجوه ملاح

فتجد جمالا فى هذه الأضافات مع تعددها ومع قبح هذا التعدد فى شعر كثير من الشعراء

٥ — ويقول ابن المعتز .

دعونا ظالمين فما نكللنا　　　وجئنا فافترعنا بالصفاح

، صببنا عليها ظالمين سياطنا　　　فطارت بها أيد سراع وأرجل[1]

---

(١) ذكر أنهم ضربو هامن غير أن تمنع شيئا مما عندها من العدو فكانوا ظالمين لها ، ويشبهه قوله . « أضيع شىء سوطه إذ تركبه » ولولم يقل ظالمين لجاز أن يفهم أنها إنما ضربت لبطئها فى السير كما عاد على امرىء القيس فى قوله . « فللسوط الهوب وللساق درة » ، فقالوا إذا أحوج الى هذا كله فليس بسريع ، فقال ابن المعتز « ظالمين » تحرزاً من هذا الطعن (٢٥٨ سر الفصاحة)

، وإنا لنعطى الحق من غير حاكم ... ولو شئنا لملنا مع الظلم

فيعجبك هذا الأسلوب الجيد أسلوب الاحتراس للمبالغة فى أداء المعنى المقصود كل الإعجاب .

ويقول :

لئيم إذا جاد اللئيم تخلقا ... يحب سؤال القوم شوقا الى المنع

ويقول فى النحول :

ماذا ترى فى مدنف ... يشكوك طول سقمه
أضنيته فما يطيق ... ضعفه حمل اسمه
فلا يراك عائدا ... إلا بعين وهمه

فتأخذك جمال هذه المبالغة بحسنها وجمال الصنعة فيها .

ويقول ابن المعتز فى الاستطراد :

ولقد شربت مدامة كرخية ... مع ماجد طلق اليدين حميد
علت بماء بارد فكأنما ... علت ببرد قصيدة ابن سعيد

وله فى الأيغال :

فأنتم بنو بنته دوننا ... ونحن بنى عمه المسلم

وله فى الآذريون :

آذريون أتاك فى طبقه ... كالمسك فى نشره وفى عبقه
قد نفض العاشقون ماصنع الهجر ... بألوانهم على ورقه (١)

٦ — وبعد لجميع هذه الالوان تنطق بمكانة ابن المعتز فى صناعة الشعر ،

(١) ويعده أسامة بن منقذ من الاطناب لأن البيت الاخير كل معناه أنه أصفر (٣٥١ لباب الآداب ط ١٩٣٥)

ومنزلته فى فن البديع ، وهيامه بمذهب الصنعة ، وولعه بمنهج الترف والرونق والجمال فى الاسلوب ، وهو هيام اشتهر به ابن المعتز عند النقاد ودفعه الى ما دفعه اليه من صور الصناعة المتعددة الالوان الباهرة الحسن والاحسان المزدحمة فى البيت من الشعر ، والتى تشابهت جميعا فى أنها كانت قريبة من الطبع قريبة من الشعور ، فلم تحل بين الشاعر ورسم عواطفه والتعبير عن مشاعره ووجداناته ، اللهم إلا حيث كان يتعمد الغوص فى بحار الترف ويستمد من شتى ألوان الملوكية وحياتها صور تشبيهات أثقلها بحلى الصنعة والزخرف إثقالا شديدا واستمد جمالها من جمال الفن الخالص .

ولم يأت بعد ابن المعتز أحد يشبهه فى صنعته أو يضارعه فى مذهبه ، والشعراء الذين أولعوا بالجمال الفنى وترف الاداء بعده مقصرون عن مداه ونازلون عن مكانته أو متأثرون به محتذون حذوه فى هذا الباب ، وبحق ما قال ابن رشيق أنه قد « انتهى علم البديع والصنعة اليه وختم به » ، فهو بحق خاتمة المصنعين والغاية الفذة التى وصلت اليها الصنعة فى الشعر العربى القديم .

بعض خصائص أخرى لأسلوب ابن المعتز :

١ — وبعد فأسلوب ابن المعتز فيه روح الشاعرية الموهوبة وتظهر فيه بوضوح شخصية ابن المعتز الاجتماعية والفنية ، وهو يملك عليك عقلك وقلبك لما أودعه من جمال وبلاغة وعذوبة وسلاسة وبساطة يمتاز بها ابن المعتز وهى من أهم خصائص أسلوبه فى شعره .

٢ — وأظهر سمة لأسلوب ابن المعتز هى المقدرة على الخلق الفنى والابتكار فى الأساليب والتجديد فى صور الأداء ، وظهور ملكات الشاعر بمظهرها البارع القادر على الاحساس والحياة والتجويد واختراع الصور الخاصة للمعانى والاغراض التى تمثل نفسيته وحياته وخصائص فنه الادبى وسمات مذهبه فى البلاغة والبيان ، والتى تمتلىء بالروح والشعور والحياة والوضوح والموسيقى مع

دقة التصوير وجودة القريحة وجدة الخيال ؛ فاللغة عند ابن المعتز ليست صورا جامدة ولا أساليب تقليدية وإنما هى حياة متدفقة تنطق بها الكلمات والتعابير فى بساطة وتجديد ، ولذلك كان له أساليب خاصة ينفرد بها وحده ، وقد سبق ذكر كثير منها فى شتى فصولنا الماضية ؛ وأنت تقرأ له :

والصبا ممتلىء حاجة وأملا

فتجد روحا تتحدث ، وحياة تتدفق ، وبيانا يصور أمامك حياة الشباب وآماله ولذاته . وتقرأ له .

بحياتى يا حياتى اشربى الكأس وهاتى

أو : نبهت ندمانى فهبا طربا إلى كأسى ولبى

أو : والنجم فى مغربه وسنان والصبح فى مشرقه حيران

فتجد أسلوبا بارعا ، وسحرا نادرا ، وجمالا فنيا يتدفق من صياغته ، وحياة تتمثل فى هذه الصياغة وذلك الفن وتقرأ له فى وجنة الحبيب حين يدنى فاه منها محب وامق .

تفاحة معضوضة كانت رسول القبل

تناولت كفى بها ناحية من أملى

وله يصف الساقى وقد قام ترنحه سنة الكرى .

وقام بكفيه بقايا خماره وعيناه من خديه قد جنتا وردا [1]

وله : والنجم فى حلة ليل يسرى

و : لما رأى فى الليل فجرا يمشى

و : وشعره من ظلام ووجهه من نور

---

(١) أخذه الخالدى فقال .

فقام وفي أعطافه فضل سكرة وفي عينه من ورد وجنته إبعض

و : ياليلة سرقتها من دهرى

و : ووجنة كأنما يقدح منها الشرر

وتقرأ له كثيرا من أشباه ذلك فتجد صورا جديدة وخلقا فنيا ساحرا وملكة بيانية طيعة قادرة على تصوير مظاهر الحياة والشعور . ويعد بعض المحدثين من الصور الحية الدقيقة قوله ابن المعتز فى موقف التوديع .

ولما استمرت من دجى الليل دولة وكاد عمود الصبح بالصبح ينجلى
فلم تر إلا عبرة إثر عبرة مرقرقة أو نظرة بتأمل

فهو يصور موقف التوديع كما يكون فى الواقع بين الأحبة فهو نظرة المتأمل وعبرة الباكى وبين ذلك صمت لا يقطعه غير حديث العيون [1] .

٣ — وسمة أخرى فى أسلوب ابن المعتز هى الوقف غالبا بالسكون على المنون المنصوب [2] ، كقوله :

قدرت لى فحبذا هذا القدر وإن ملأت العين دمعا وسهر

وقوله :

خل قلبى هكذا لا تزد قلبى هم

وقوله :

لم أبك ربعا مقفرا ولا طلل

وقوله :

وزوبعة من بنات الرياح تريك على الأرض شدا عجب

وسوى ذلك من الشواهد الكثيرة لهذا الباب فى شعر ابن المعتز .

٤ — ويكثر فى شعر ابن المعتز عدم استقلال كل بيت بمعناه ، بل يحتاج

---

(١) ١٤٥ الطبع والصنعة

(٢) وهي لهجة شائعة في لغة ربيعة (١٣٣ / ٤ الاشمونى حاشيه الصبان)

الأول إلى ما بعده ليتم الغرض الذى قصده الشاعر ، وكثيرا ما يكون محتاجا اليه في تركيب الأسلوب أيضا ؛ فتراه يذكر المطيرة ويدعو لها بالمطر ويقول :

فطالما نبهتنى للصبوح بها في غرة الفجر والعصفور لم يطر
أصوات رهبان دير فى صلاتهم سود الملاحف نعارين فى السحر

ويقول :

لما رأونا فى خميس يلتهب

وبعد ذلك بكثير يقول :

تترسوا من القتال بالهرب

ويقول :

هل لدنيا قد أقبلت نحونا دهراً فصدت وليس منا صدود
من معاد أم لا معاد لديها فاسل عنها فكل شىء يبيد

ويقول :

إن أكن قد عشت بعد أناس كان فيهم للمروءة ذخر

وبعده بأبيات يقول :

فعلى منهاجهم أنا ساع وورائى سائق مستمر

ويقول :

حاشا لشرة بل طوبى لعاشقها لو كانت الشمس تحكيها أو القمر
إذا لكان يرى فى كل ما طلعت شبه لها فيقل الهم والفكر

ويقول :

سقانى وقد سل سيف الصبا ح والليل من خوفه قد هرب
عقارا إذا ماجلتها السقا ة ألبسها الماء تاج الحبب

فتجده فى ذلك وفى كثير غيره مما تركناه اختصارا يجعل المعنى حده أساسا

فنيا لوحدة الأبيات . فيجعل البيت الأول متصلا معناه بما بعده وقد يجعل الأسلوب نفسه في صدر البيت أو وسطه مفتقرا فى التركيب الى شيء فى البيت الثانى وذلك كله ليس عيبا عند علماء الشعر ، انما المعيب تعليق قافية البيت وحدها بما بعده مما يسميه العرضيون « تضمينا » ، ومثاله فى شعر ابن المعتز .

وقـدت الجمر تحسبها فى ليلها إذا ما
تنفس الصبح ولمـا يشتعل بين النجوم مثل فرق مكتهل

٥ ــ ويدخل ابن المعتز فى أسلوبه أحيانا كلمة « ذا » فتجده .

يقول :

أنت لا تحسنين وعدك هـذا كل من شاء أخلف الميعادا
ليس كل العشاق صبا ولكن ذا حسام يقطع الأكبادا

ويقول فى تقبيل الحبيب .

لست أرجى غـير ذا يا ليت ذا قد دام لى

ويقول .

ألا ما لذا الليـل لا ينقضى كذا ليـل كل محب طويل

ويقول فى حبه للسفر :

تسعدن الأقدار جهدى وإلا لم أمت فى ذا الحى موت النساء

ويحصى معايب الصبوح ثم يقول : هـذا كذا وما تركت أكثر

ويقول .

كن جاهلا أو فتجـاهل تفز للجهـل فى ذا الدهر جاه عريض

ويقول .

وقالوا النصول مشيب جـديد فقلت الخضاب شباب جديد
إسـاءة ذا باحسان ذا فان عاد هذا فهـذا يعود

وهذه هى الظاهرة الفنية الواضحة فى شعر المتنبى أيضا والتى آخذه عليها النقاد وربما كان مصدرها شعور الرجلين بالعظمة : عظمة ابن المعتز فى مجده وحسبه وتعاظم أبى الطيب فى نفسه وأدبه ، مما دعاهما إلى النظر إلى الأشياء بشيء من عدم

الاكثرات والمبالاة ، والتعبير عنها بما يتلاءم مع هذا المزاج النفسى والشعور الغالب على نفس الشاعرين .

٦ — والسمة الأخيرة لأسلوب ابن المعتز هى غلبة القصص على فنه وشيوع الأسلوب القصصى فى شعره، وخاصة غزله وخمرياته ، وأرجوزته فى ذم الصبوح قطعة فنية يشيع فيها أسلوب القصص الجميل ، وكذلك (ملحمته) التاريخية فى المعتضد ، وكثير من قصائده ومقطوعاته فن جميل ، وقصص طريف ، ومقالات عذبة ، وحوار جيد . والسبب الأول فى ذلك راجع إلى حياته الخاصة وعيشته الاجتماعية التى جعلته ينصت للمجتمع ويتحدث عنه ، وكثرة الجوارى والقيان والغلمان فى بيته وبيوت أسرته التى تدفعه إلى الحديث والحوار معهن فى حياته وفى بيانه وشعره .

ألفاظ ابن المعتز : —

١ — وألفاظ ابن المعتز تجدها فى كثير من الاحيان سلسلة سهلة وجميلة عذبة بعيدة عن التقعير والوحشية والغرابة ، وكان ابن المعتز يذم المتقعرين وينعى عليهم حبهم للغريب ، ويذم أبا الصقر الوزير .

فيقول :

يستعمل الغريب فى كلامه ... وغامضات النحو فى كتابه

ويزجر الناس إذا تكلما ... مفخما مجوهرا ملغصما

كأنه قحطان أو معد ... وداره تهامة أو نجد

فينعى عليه حبه للغرابة والحوشية والظهور بمظهر البدوى أو المتبدى كأنه يسكن نجداً أو تهامة مع أنه حضرى مترف ومدنى غذى الرقة والسلاسة وعذوبة الحياة والتفكير .

وهذا المذهب — مذهب السهولة والسلاسة وترك الغريب من الألفاظ — كان سائداً فى القرن الثالث فى الشعر والكتابة ، وهو الذى أكثر النقاد — كالجاحظ

وسواه — من الدعوة اليه بعد عصر ابن المعتز أيضا ، حتى قال ابن الاثير : وأما البداوة والعنجهية فتلك أمة قد خلت ومع أنها قد مضت وكانت فى زمن العرب العاربة فانها قد عيبت على مستعملها فى ذلك الوقت فكيف الآن (١) ، ومع حب ابن المعتز لمذهب السلاسة والسهولة فى الاسلوب فقد كان أحيانا يحب إظهار ملكاته ومقدرته اللغوية التى أفادها من أستاذيه : المبرد وثعلب فينظم بعض القصائد يحشوها بالالفاظ الغريبة كما ترى فى جيميته « حث الفراق بواكر الاحداج » وفى بعض قصائد أخرى وأبيات مفرقة فى شعره .

٢ — وألفاظه عربية إلا فى القليل النادر حين ذكر بعض الالفاظ الاعجمية فى شعره تظرفا واستعملها فى الندرة وعلى سبيل الخطرة « كما فعل الاعشى قديماً وأبو نواس حديثا (٢) ، وكان الشعراء يتملحون بأن يدخلوا شيئاً فى شعرهم من كلام الفرس كما فعل العمانى والعـــذافر الكندى وأسود ابن أبى كريمة ويزيد ابن مفرغ (٣) .

ومن ذلك قول ابن المعتز :

وما زلت قديما فرسا فيه ففرزنتا

ويقول .

وخده من در مزرر التلويز
كأنه فرنيـة كثيرة الشونيز (٤)

ويقول :

ومقرطق يسعى إلى الندماء بعقيقة فى درة بيضـاء (٥)

---

(١) ٦٨ المثل السائر
(٢) ١٠٧ / ١ العمدة
(٣) راجع ٨١ — ١١٠ / ١ البيان
(٤) التلويز . الحشو باللوز الفرنية . الرغيف الغليظ . الشونيز . الحبة السوداء
(٥) المقرطق . لابس القرطاق وهو قباء ذوطاق واحد

وقوله من أبيات يذم بها بغداد .

وحيطان كشطرنج صفوف فما تنفك تضرب (شاه) ماتا

ويقول :

أما ترى أربعا للهو قد جمعت جنك وعود وقانون ومزمار

ويكثر فى أوصافه من ذكر الاذريون والنيلوفر والنرجس وكثير من هذه الاسماء المعربة .

٣ — وفى ألفاظ ابن المعتز بعض أسماء اصطلاحية استعارها من الفلسفة والكلام وشتى العلوم ، ويقول ابن رشيق . والفلسفة وجر الأخبار باب آخر غير الشعر فان وقع فيه شيء منهما فبقدر ولا يجب أن يجعلا نصب العين فيكونا متكأ واستراحة وانما الشعر ما أطرب وهز النفوس وحرك طباع [1] ، وينهى بشر ابن المعتمر فى وصيته فى البلاغة عن استعمال ألفاظ المتكلمين [2] ، قال الجاحظ . وقد تحسن هذه الألفاظ فى مثل شعر أبى نواس وفى كل ما قالوه على جهة التظارف والتملح [3] .

ونجد لابن المعتز من ذلك كثيرا من الأبيات كقوله .

خرج كثير ودخل نزر فلم لا أعزى
فالخرج لا يتناهى والدخل لا يتجزى

وقوله فى أبى الصقر يذمه فى أرجوزته فى المعتضد .

وذكر السعود والنحوسا والجوهر المعقول والمحسوسا

ويذكر لفظ الفقيه فى الغزل فيسمج وينزل عن الأحسان حين يقول .

ألا تسألون الله برء متيم تمكن منه السقم فى اللحم والدم

---

(١) العمدة ١/ ١٠٧

(٢) البيان ١/ ١٠٦

(٣) راجع البيان ١/ ١٠٨

وقد (سألوا[١]) غير الفقيه بأمره ومن يلق مالاقى من الناس يعلم

أخطأ فى ألفاظ الشاعر وأساليبه : —

ومع ذلك كله فابن المعتز يقع أحيانا كثيرة فى خطأ مقيت فى صياغة ألفاظه وأساليبه مما نعدد لك كثيرا منها الآن .

١ — قال

ما على الناصح أن ينتهى من جهلا

وقال فى كلب الصيد .

وهو اذا عرى لصيد فاضطرب عروا سكاكينهم من القرب

وهو خروج عن المألوف من قواعد النحو الأولى ، وكان الصواب . « عرى وينتهى » لولا ضرورة الوزن التى أوقعته فى ذلك .

ويقول فى الحمام:

وقد علون غير مكرمات منابرا ولسن خاطبات

ويقول :

مالى أرى ديباج خدك أصفرا ونرجستى عينيك ذابلتين

ويقول : أبى الله إلا كل ما سر أحدا .

بتنوين هذه الاسماء وهى لا تستحق التنوين لأنها ممنوعة من الصرف .

ويقول فى عمه ابن المتوكل .

يعرفن المعروف طبعا ويثنى بيد الجود فى عنان الثناء

والتأكيد هنا لا يدعو الى وجوبه أو استحسانه شيء .

وهذه كلها أخطاء ترجع الى النحو وقواعده .

(١) فى الديوان « وقد قيدوا » ولامعنى له

٢ — ويقول ابن المعتز .

كنت امرأ من الأنام معتزل على سثر دون دمى مسدل

بتشديد نون « دمى » للوزن ، وتشديدها خطأ لغوى واضح .

ويقول :

أثمرت أغصان راحته لجناة الحسن عنابا

فعدى « أثمرت » ، وقد أنكره صاحب الدميه [1] .

ويقول :

أين مسك من حمأة وبحور من بحار وصفوة من قذى

البحور والبحار . جمع بحر وهو الماء الكثير أو الملح فقط فالتفرقة بينهما لغويا غير معروفة ؛ وصفوة الشيء : ما صفا منه ، وهنا فى البيت لا يريد الشيء الموصوف بالصفو وإنما يريد الصفو نفسه .

ويقول :

لا ويوم الرقيب وقت التلاقى وارتداء الاثنين بالاعتناق

فقطع همزة الوصل :

ويقول :

فمن قد بكى شجوه الاصدق ومن زار صاحبه الاشوق

والصواب « الاشد شوقا » ، لان هذه المادة لا يصاغ منها أفعل التفضيل .

ويقول :

مرت بنا سحر طير فقلت لها طوباك يا ليتنا إياك طوباك

عابوا عليه قوله « طوباك » قالوا وصوابه طوبى لك ، قال الشهاب الخفاجى [2]

---

(١) راجع ٣٢١ الريحانة للشهاب الخفاجى

(٢) راجع ٣٢٢ الريحانة

وفيه نظر عندى فانه إذا استعمل لفظ فى كلامهم على وجه من الوجوه ثم استعمل على وجه آخر جار على قواعد العربية مؤد لذلك المعنى كيف يعـــد خطأ ، فان اللام هنا مقدرة والمقدر فى حكم الملفوظ .

٣ — ويقول ابن المعتز :

وسط غاب وأيكة يتغنى فوق أغصان أيكها القمرى

فأيكها حشو غير مقبول .

ويقول فى البازى .

كأنه لما غدا والصبح لم ينبلج
قائد جيش جحفل سار لقبض المهج

و « جيش جحفل » من الحشو المذموم

ويقول فى الراح .

تخرج من دنها وقد حدبت مثل هلال بدا بتقويس

وهو تشبيه رائع وإن كان قوله « بدا بتقويس » حشو لايحتاج اليه لأن الهلال لايبدو الا كذلك

ويقول :

ويبرز للرائين وجهـا كأنه كساه أبوه من قشور الخنافس

وشتان بين هـذه القشور والقشور التى ذكرها فى قوله الراح

موج من لذهب المـذاب تضمه كأس كقشر الدرة البيضاء

وان كان الأول يناسب غرض الشاعر من الذم والثانى يناسب قصـده من والوصف الجميل

يقول :

ولقـد أصابنى الزمان ببؤسه ونعيمه فغفرت ذاك لذاك

فتجد أسلوبا ركيكا ولفظا سخيفا .

ويقول :

موتى كذا ألم الهوى   لكن صبرى لا يكون

ويقول ؛

لما انثنى رسله بالرضا   أنسيت ما مر على رأسى

ويقول :

وحويت بنت وزارة   كالشمس حين طلوعها

فترى عامية وابتذالا وسخفا وقبحا شديدا

ويقول .

ياليلتى بالكرخ دومى هكذا   ياليلتى لاتذهبى لاتذهبى

ويقول .

عناء المحب طويل طويل   وصبر المحب قليل قليل

فتجده يبعد فى هذا الأسلوب عن الأحسان والجمال الذى امتاز بهما عن سواه من الشعراء

هذا (١) ومن خطأ ابن المعتز قوله فى المكتفى

فلقد أصبح أعدا   ؤك كالزرع الحصيد
ثم قد صاروا حديثاً   مثل عاد فى ثمود

يريد كحديث قوم عاد فى قوم ثمود ، وهذا المعنى مع دقته قبيح ، لان حديث عاد وسوء فعلهم وقبيح مصائرهم قد صار حديثاً على مر الاعصار ، فالتخصيص بأنه صار حديثاً فى ثمود لاداعى له ولاقيمة لذكره وكان الأبلغ أن يقول :

---

(١) ذكر هذا النقد هنا عرضا وتتميما للفائدة وإن كان متصلا بالمعنى أكثر من اتصاله بالاسلوب

مثل عاد وثمود وكان ذلك يرتفع بالاسلوب وبلاغته إلى حد كبير .

وبعد فهذا خاتمة حديثنا عن اسلوب ابن المعتز والفاظه وسنلحق به الكلام على أوزانه وقوافيه

أوزان ابن المعتز وقوافيه : —

١ — نظم ابن المعتز على شتى الاوزان المألوفة عند العروضيين ، وأكثر من النظم على الاوزان الخفيفة السهلة التي تلائم الغناء والترف وموضوعات قصائده وسلتس معانيه ، كمجزوء الرجز ، والمديد ومجزوئه[1] ، والوافر ومجزوئه ، والمنسرح ومجزوء الكامل والبسيط ، والسريع ، والمتقارب ، والرمل ومجزوئه كقصيدته :

منزل أقوى لسلمى وربوع تعذر الانفاس فيه والدموع
ولقد كنت أراها آهلات وكذلك الدهر يعصى ويطيع

وهو هنا يجعل العروض صحيحة في كل أبيات القصيدة ، مع أنها لاتجيء في الرمل إلا محذوفة ، فتكون « فاعلاتن » في عروض الرمل « فاعلن » بحذف السبب الخفيف ، ولا تجيء فاعلاتن فيه غير محذوفة إلا للتصريع في أول القصيدة ؛ كما نظم على الخفيف ومجزوئه كثيرا كقوله .

طال وجدى وداما وفنيت سقاما

فالقصيدة من مجزوء الخفيف والضرب مجزوء مخبون مقصور والعروض

---

(١) ومما نظمه على مشطور المديد قوله

خان عهدى وظلم جائر فيما حكم الخ

ويقول الصاحب . كنت أقرأ على ابن العميد شعر ابن المعتز متخيرا الانفس فالانفس فابتدأت قصيدة على المديد الاول فرسم تجاوزها ، وقدرته يحفظها ولا يرضاها فسألته عنها فقال . هذا الوزن لا يقع طلبه للمحدثين جيد الشعر ، فتتبعت عدة قصائد على هذا الضرب فوجدتها في نهاية الضعف (ص ٧ الكشف عن مساوي شعر المتنبي)

مثله تصريعا ، ولكن ابن المعتز يلتزم ذلك فى أعاريض هذه القصيدة ، وهو خروج على الصحيح من قواعد الاوزان فى الشعر

وقصيدة ابن المعتز :

فك حر الوحد قيد البكاء فاعذر ينى أولا فموتى بدائى

ومنها :

زمن مرقـد مضى بنعيم وصباح غافـل ومساء

تجدها مختلطة الوزن تترددبين الخفيف والمديد فى شتى أبياتها ولكن ذلك من خطأ الديوان ، ولعل ذلك تحريف من الناسخين والناشرين لديوانه ، والبيتان المذكوران وكل أبيات القصيدة تسير على هذا الاضطراب ، والصواب فى البيتين حذف . « لا » و « قد » ليتلاء ما مع وزن المديد

وهكذا نظم ابن المعتز أكثر شعره على الأوزان السهلة التى تصلح للغناء وحياة الترف التى كان يحياها الشاعر

٢ — والقافيـة أساس الشعر العربى وعنصر من عناصره وهناك لغات لا تعرفهامطلقاكما فى الشعر اللاتينى واليونانى ، ولغات أخرى تشتمل عليها وتخلو منها أيضا كمعظم اللغات الأوربية الحديثة

وكان ابن المعتز يلتزم غالبا فى شعره القوافى السهلة ، ومع ذلك نجد له الكثير من القوافى على الجيم والصاد والشين والضاد والزاى والطاء والغين ، مما يصعب النظم عليها الا على القادرين من الشعراء

واذكان المتنخل الهذلى الشاعر المحسن صاحب الطائية التى يقول منها .

كأن مزاحف الحيات فيه قبيل الصبح آثار السياط

والتى يقول الاصمعى . إنها أجود طائية قالتها العرب [1] فان طائية ابن المعتز .

---

(١) ١٧٩ المؤتلف

ألا تريان البرق ما هو صانع بدمعة صب شفه النأى والشحط

تعد من أجمل القصائد المنظومة على هذه القافية الصعبة وفى شعر ابن المعتز بعض الأخطاء فى القافية نذكرها فيما يلى .

قال ابن المعتز :

يحسب ظلى ويحه سكرة وليس يدرى أن ظلى حنظلة

وهو رجز سار فيه على التزام اللام والهاء ، فقوله سكرة خطأ واضح .

ويقول ابن المعتز من قصيدة عينية له مكسورة الروى :

وأن الجديدين الذين تضمنا حياتى بأحداث الى سراع

فسراع بالضم خبر ان ، مع أن القافيه مكسورة ، فيكون فى البيت اقواء لاختلاف حركة الروى بالكسر والضم

ويقول ابن المعتز فى المعتضد :

أفنى العداة إمام ما له شبه ولا ترى مثله فينا ولم تره

ضار إن انقض لم تحرم مخالبه مستوفز لاتباع الحق منتشبه

ما يحسن القطر أن ينهل عارضه كما تتابع أيام الفتوح له

الهاء هنا قد تحرك ما قبلها فهى صلة وما قبلها يجب أن يكون رويا ملتزما ، ولكن ابن المعتز لم يلتزمه هنا حين أتى بالراء وبالباء وباللام خطأ وظنا منه أن القافيه هى الهاء لا ما قبلها ، وهذا مخالف لقواعد علم القافية ؛ ووقع فى مثل هذا الخطأ أيضا فقال يصف كلاب الصيد فى أرجوزة .

إن خرجت من قدها لم ترها

الا وما شاء من الصيد لها

وقد وقع ابن المعتز فى الايطاء ، وهو من عيوب القافيه مما لاداعى لذكر مثله

٣ — وابن المعتز يجيد فى القصائد وفى المقطوعات [١] ؛ وكان أبو تمام على جلالته وتقدمه مقصرا فى القطع عن رتبة القصائد [٢] . وابن المعتز لا يطيل فى كثير من قصائده اللهم إلا فى أرجوزته فى المعتضد وأرجوزته فى ذم الصبوح .

وكان فوق ذلك من المجيدين فى الأراجيز والمشهورين به والمتفوقين المطيلين فيه[٣] ، وديوانه مملوء بالأراجيز الطوال الجيدة ، ومن أشهرها أرجوزته فى الخليفة المعتضد وهى نحو ٤٢٠ بيتا ، وأرجوزته فى ذم الصبوح وهى نحو ١٢٠ بيتا وهى حوارمع صاحب له يستحسن الشراب فى الصباح فيذمه ابن المعتز فيه . وطرده — إلا القليل جداً — من الاراجيز .

وبعد فهذا خاتمة حديثنا عن أسلوب ابن المعتز وألفاظه وأوزانه وقوافيه ويتلو ذلك الفصل الخامس فى الكلام على أخيلته ومعانيه .

---

(١) راجع ٦٣ : / ١ العمدة حيث عده ابن رشيق مع المشهورين بجودة القطع . وكان ابن الرومى مجيدا فيهما (١٦٤ / ١ العمدة)

(٢) ١٦٣ / ١ المرجع ؛ ولكن أبا تمام يشهد لنفسه بالاجادة فيهما :

سبقت حتى اقتطعت دونهم ... ما شئت من تمه ومن قطعه

(٣) كان الشعر كله رجزا وقطعا ، وقصد على عهد هاشم بن عبد مناف على يد مهلهل وامرىء القيس قبل الاسلام بنحو مائة وخمسين سنه (١٦٤ / ١ العمدة ، ١٤ / ٣ الرافعى) . وأول من طول الرجز وجعله كالقصيد الأغلب العجلى شيئا يسيرا وكان على عهد النبى ثم أتى العجاج بعده فافتن فيه فالاغلب والعجاج فى الرجز كمهلهل وامرىء القيس فى القصيد (١٦٤ / ١ العمدة) ، فالاغلب أول من أطال الرجز (٢٣٥ الشعر والشعراء)

الفصل الخامس

أخيلة ابن المعتز ومعانيه

- ١ -

الخيال فى شعر ابن المعتز : —

١ — الخيال ملكة خصبة تقدر على تخيل الأشياء وتصوير العواطف والآراء تخيلا وتصورا يوضح لنا نواحيها الغامضة ويعرض علينا ما فيها من أسباب الروعة والجمال عرضا مؤثرا تحسبه حقيقة أو كالحقيقة الملموسة ؛ يأخذ الشاعر الأشياء المألوفة التى يراها الناس ويحسون بها جميعا ثم يعمل فيها خياله فيخرجها فى صورة جديدة لم نكن نتوهمها ، فليس الخيال دائما مجافاة للحقائق وبعدا عن المألوف وقدرة على الاغراب والاتيان بما لا يكون ، بل المهم أنه مرآة تنطبع فيها الصور فيعكسها وقد صفاها من كل شائبة وأخرجها إخراجا جديدا . الخيال خادم للحقيقة وغايته تصوير ما حجب عنا من حقائق الوجود ، وهو فى حسن اختيار التفاصيل المميزة وحركة الذهن فى انتقاء هذه التفاصيل وضم بعضها الى بعض وترتيبها ، فالشاعر يشعر بما حوله ويعتاد الملاحظة الدقيقة فى الحياة المحيطة به مما يتصل بالاحساس والشعور والعاطفة والتفكير ويلاحظ ذلك جملة وتفصيلا فتجله ذاكرته بدقة ثم يركز ذلك فى ذهنه وأعماق شعوره تركيزا تاما ويأخذ فى الغوص فى أغوار الذهن على التفاصيل ودلالاتها ، مستغرقا فى نشوته الروحية ، وفى تأملاته وتصوره وتخيله استغراقا تاما يساعده على نشر المطوى من الملاحظات وإظهارها فى فن جميل وآية من سحر القريض ، وهذا الاستغراق وتلك النشوة والغبطة بالتعبير عن النفس بفجران ينبوعا من القوة الباطنة يلهم

الشاعر روائع الشاعرية وآثارا من الفن والجمال ، فمادة الشعر الأولى فى العواطف الانسانية من حب وحزن وأمل ويأس وغير ذلك مما يشعر به الشاعر ويحس به الانسان .

وهذه العواطف هى الينابيع الصادقة للشعر (١) ، وهى التى يعمل الخيال عمله لتصويرها ويسعى ليركب الصور المودعة فى العقل الباطن ومشاهده ليصوغها فنا شعريا يعبر عنها ويوضح ما خفى منها ، فليس الشعر صورا وألفاظا وعبارات إنما هو عواطف الشاعر وشعوره يركبها خيال صناع وملكات قادرة ومقدرة فنية موهوبة فى صور من الألفاظ والأساليب ، وجمال الشعر وروعته موقوفان على مدى إحساس العاطفة وقدرة الخيال على تصويرها ، فاذا كانت صور الخيال غير محكمة إحكاما شديدا أو ناشئة عن عاطفة سقيمة أو سطحية كان الأثر الأدبى متكلفا مصنوعا لا حظ له من التقدير ، وإذا كان عمل الخيال محكما وإحساس العاطفة قويا نال حظه من الجودة والأعجاب ، والخيال إذا كان عمله وتأليفه لصور جديدة اختيرت عناصرها من بين الحقائق والمشاهدات المبعثرة المخزونة فى الذاكرة وألفت تأليفا جديدا سمى خيالا مبتدعا ؛ ونهاية هذا الحديث أن هناك صلات وثيقة بين الخيال والعاطفة فهو الذى يصورها ويبعثها قوية مؤثرة ، وقوة الخيال مرتبطة بقوة العاطفة ، فاذا كانت صادقة قوية خلقت خيالا رائعا ، وإذا أردنا للأدب قوة وخلودا فعلينا أن نعنى بتهذيب الشعور ليكون إدراك الشاعر للحياة صادقا عميقا وآثاره الأدبية جميلة رائعة ، وخياله الادبى موهوبا ملهما ، فالخيال أنفع المواهب والملكات فى فن الشعر لانه المعبر عن العاطفة واللغة الطبيعية لاداء الانفعالات والعواطف الانسانية .

(١) والقدماء من النقاد يختلفون فى مادة الشعر اختلافا كبيرا ، فالجاحظ يراها فى الاسلوب والنظم كما يدلنا على ذلك قوله : والمعانى مطروحة فى الطريق وإنما الشأن فى إقامة الوزن وتخير اللفظ وجودة السبك فانما الشعر صياغة وضرب من التصوير (٤٠ /٣ الحيوان) ، وعلى رأى الجاحظ يسير عبد القاهر فى الدلائل ؛ أما قدامة فيرى أن مادة الشعر هى المعانى (١٤ نقد الشعر) والآمدى وابن خلدون يريانها فى الالفاظ (١٨٣ الموازنة ، ٥٧٧ مقدمة ابن خلدون)

٢ - والخيال فى شعر ابن المعتز يقظ مشبوب يعتمد على إحساس الشاعر وعواطفه وشعوره بالحياة اعتمادا كبيرا ؛ وهو خيال واقعى يستمد من صور الوجود وألوان الحياة ومظاهرها كل ما يريد من معنى ووصف، ويعنى بالمشاهدات والمحسات من الاشياء خاصة ، ذلك أن ذهن ابن المعتز كان مفعما بصور شتى لالوان الحضارة والعيش فى عصره ، وكان فى هيام شديد بهذه الالوان والمشاهدات ففاضت هذه الصور والالوان التى أثرى بها خياله وتصوره على صفحات شعره ، فلكن الخيال عند ابن المعتز شديدة الاتصال بحسه المادى وهو قوى الحس قوى الشعور بما يحسه ويلمسه من أشياء قوى اتصال الخيال بهذا الاحساس والشعور شديد الاعتماد على حواسه فيما يؤلفه تخيله من الصور الشعرية ، فهو يرى الهلال لا كما يراه كل الناس قوسا صغيرا من الضوء يبدد ظلام السماء ويزداد على مر الليالى سعة وضوءا ولكنه يراه ويتخيله فى صورة يركبها خياله مما ألفه فى حياته وبيئته من أشياء ومشاهدات ، يتخيله زورقا فضيا لا يطفو منه على سطح الماء إلا جزء صغير شبيه بقوس الهلال ، لان هذا الزورق مثقل بحمولة عنبر تدفع به الى باطن الماء لولا ما يؤثر على الاجسام الطافية على سطح الماء من قوانين ارشميدس ، أو يتخيله فى صورة منجل فضى يحصد من زهر الدجى نرجسا كما يقول أو يمزق أحشاء الظلام كما تقول . والناس إذا استطرفوا زورق ابن المعتز الفضى الذى شبه به الهلال أو أعجبوا به « فسبيلهم سبيل من يعجب بأمل لن يظفر به ولن يحصل عليه ولو أتيح له مرآه لانيحت به السعادة ونعمة البال ولعمرى ما حدث ابن المعتز نفسه بأن يرى على ضفاف دجلة يوما ما زورقا من فضة تقله حوله عنبر انما ذلك حديث الخيال وزخرفة التصور والتصوير [1] » وهو قد استعمل الاصباغ الحسية فى وصفه وتصويره ، وآثر منها الاصباغ التى تكثر مشاهدته لها فى قصور الخلفاء والامراء من أسرته . ويرى ابن المعتز القمر قد بدا منه نصفه فلا يشعر به

---

(١) راجع ٢١٠ تجديد ذكرى أبى العلاء ١٩٣٧

كما يشعر به كل الناس ، ولكنه يشعر به شعوراً خاصاً ، ويتخيله خياله فى صورة بجرفة العطر كما يقول :

في قمر مسترق نصفه كأنه بجرفة العطر

ويرى الحمام وحو اصله فيستحضر خياله لها صورة يستمدها مما ألف وشاهد وأحس به من آلات عيشه وحياته ويشبهها بصرار اللؤلؤات كما يقول « كأنها صرار لؤلؤات » ؛ ويشاهد ليمونة فيتخيلها كافورة لها غشاء من الذهب حيث يقول :

كأنها كافـــورة لها غشاء من ذهب

ويرى كلبة الصيد وهى تتمطى وتثب على ما تريد أن تصيده فيصورها فى هذه الحالة بصورة جان :

وكلبة غدابها فتيان أطلقهم من يده الزمان
كأنها إذا تمطت جان والنجم فى مغربه وسنان
والصبح فى مشرقه حيران

الى غير ذلك من شتى صوره التى يبرزها خياله فى صورة مادية تتصل ألوانها وأشكالها بشعور الشاعر وحياته وبيئته وثيق الاتصال .

وحين تتكاثر هذه الالوان المادية التى يصبغ بها الشاعر أوصافه وتزدحم فى البيت الواحد يخيل اليك أنك أمامها فى معرض من الصور التى قلما أخرجها وأبرزها خيال شاعر ، وتكاد تحس بأثر الفن الخالص الذى لا أثر للعاطفة والشعور فيه لان كثرة الالوان والاصباغ والصور غطت على شخصية الشاعر وشعوره فى فنه ، واستنفد تخيلها وتركيبها والمجهود الذى بذل فى صياغتها ونشرها كل نشاطه .

وبعد فان ابن المعتز كثيرا ما كان يلون خياله بصور من التشبيه والاستعارة ليسمو بمعانيه الى إلهام الفن وحقائق الخيال ، وليبزع بشعره دائما نحو إجادة التصوير والبراعة فى الوصف .

- ٣ -

معانى الشعر فى أدب ابن المعتز : —

(أ) ولابن المعتز مكانة ظاهرة فى معانى الشعر تعادل مكانته فى باب الاساليب.

نحن نعلم مكانة امرىء القيس فى معانى الشعر فقد اخترع كثيرا منها مما ذكر ابن رشيق بعضا منه فى باب المخترع (١) ، وبذلك فضل « لان الذى فى شعره من دقيق المعانى وبديع الوصف ولطيف التشبيه وبديع الحكمة فوق ما استعار سائر الشعراء فى الجاهلية والاسلام ولولا لطيف المعانى واجتهاد امرء القيس فيها وإقباله عليها لما تقدم على غيره ولكان كسائر شعراء أهل زمانه ألا ترى أن العلماء بالشعر إنما احتجوا فى تقديمه بأن قالوا هو أول من شبه الخيل بالعصى وذكر الوحش والطير وأول من قال قيد الاوابد الخ فهل هذا التقديم إلا لاجل معانيه (٢) » . وللشعراء الاسلاميين كثير من المعانى التى ابتكروها « وفى أشعار طبقة جرير والفرزدق وأصحابهما من التوليدات والإبداعات العجيبة التى لا يقع مثلها للقدماء إلا فى الندرة القليلة ثم أتى بشار وأصحابه فزادوا معانى ما مرت قط بخاطر جاهلى ولا مخضرم ولا إسلامى » (٣) ، وكان بشار يهتدى الى حقائق فى الوصف لا يبلغها تمييز المبصر (٤) ، وسئل بم فقت أهل عصرك وسبقت أبناء عصرك فى حسن معانى الشعر وتهذيب الفاظه ؟ فقال : لانى لم أقبل كل ما تورده على قريحتى ويناجينى به طبعى ويبعثه فكرى ونظرت الى مغارس الفطن ومعادن

---

(١) ٢٣٢ / ٢ العمده

(٢) ١٨٠ الموازنة

(٣) ٢٢٦ / ٢ العمده

(٤) ١٦١ / ١ البيان

الحقائق ولطائف التشبيهات فسرت أليها بفكر جيد وغريزة قوية فأحسنت سبرها وانتقيت حرها وكشفت عن حقائقها [١] .

ومعانى أبى نواس واختراعاته كثيرة [٢] .

ويقولون :

كانت المعانى مدفونة فأثارها أبو نواس [٣] ، ويجعله أبو عبيدة فى المحدثين مثل امرىء القيس فى المتقدمين لأنه فتح لهم هذه الفطن ودلهم على المعانى [٤] . وأكثر المولدين اختراعا وتوليدا أبو تمام وابن الرومى [٥] ؛ فأبو تمام أكثر الشعراء المتأخرين ابتداعا للمعانى [٦] ، بل هو رب المعانى [٧]، وكان شغوفا بشعر مسلم وأبى نواس [٨] ، وله استخراجات لطيفة ومعان طريفة [٩] ، ولا يدفع عن لطيف المعانى ودقيقها والابداع والأغراب فيهـا والاستنباط لها [١٠] ، وكان كثير الأخذ من ديك الجن[١١] وقد شهد له بكل معنى مبتكر لم يمش فيه على أثر وأراد المتنبي أن يسلك مسلكه فقصرت عنه خطاه [١٢] ؛ وكان ابن الرومى ضنينـاً

---

(١) ٢٣٧ /٢ العمدة ، ١٥٠ /١ زهر
(٢) ٢٣١ /٢ العمدة
(٣) ٦٤ أخبار أبى نواس لابن منظور
(٤) ٢٠٩ /٧ مهذب الاغانى
(٥) ٢٣٥ /١ و ٢٣١ /٢ العمده
(٦) ١٢٥ المثل السائر
(٧) ٦ الابانة للعميدى
(٨) ١٣٤ طبقات ابن المعتز ، ٣٢ رسائل ابن المعتز ، ١٠٦ إعجاز القرآن
(٩) ٩٦ أخبار أبى تمام للصولى ، ١٢ رسائل ابن المعتز
(١٠) ١٨٠ موازنة
(١١) ٥٦ /١ و ٣١٦ /٢ ديوان المعانى
(١٢) ٣٠٢ المثل السائر

بالمعانى حريصاً عليها كثير التوليد [١] لها، وكان أكثر الشعراء اختراعا [٢]، وكان ممن يؤثرون المعنى على اللفظ فيطلبون صحته ولا يبالون حيث وقعوا من هجنة اللفظ [٣]، وهو أولى الناس باسم شاعر لكثرة اختراعه وحسن افتنانه [٤] وكان من مخلقى معانى الشعر والمجودين فى القصير والطويل وكان أقل أدواته الشعر [٥]، وكان أدبه أكثر من عقله وكان يتعاطى علم الفلسفة [٦]

ب — وقد ورث ابن المعتز هذه الثروة الشعرية فى المعانى وحفظ الكثير منها واحتذاه فى شعره، كما ابتكر معانى كثيرة وولد توليدات عجيبة تشهد بحذقه وفطنته وثقوب ذهنه وترفع من منزلته بين المحدثين من الشعراء، ومعانيه تتصل بنفسه وحسه وحياته وكثيرا ما يكون فيها دقيق الفكرة بعيد المنزع محكم التصوير مجددا حينا ومقلدا محتذيا أحيانا أخرى.

حـ — وهو حين يأخذ معانى الشعراء قبله يأخذها غالبا بحذق ولطف وصفاء طبع وعذوبة لفظ وحلاوة أسلوب، مع استكمال شروط الاخذ إذا لحظ المعنى البديع، واستيفاء حدود الاحتذاء إذا نقله إلى صورة أخرى وكساه لفظا غير اللفظ الذى كان فيه، مع غوصه الدقيق فى سبيل نشدان ما يستصفى ماؤه ورونقه وقد مضى حكم النقاد بأن الشاعرين إذا تعاورا معنى ولفظا أن يجعل السبق لاقدمهما وأولهما موتا وينسب الاحتذاء الى المتأخر [٧]، ولا يعلم فى الارض شاعر متقدم فى تشبيه مصيب أو فى معنى غريب عجيب أو فى معنى

(١) راجع ٢٢٦ /٢ العمدة
(٢) ٢٣٢ /٢ العمدة
(٣) ١٠٦ /١ العمدة
(٤) ٢٥٥ /١ العمدة
(٥) ٢١٤ /٤ المسعودى
(٦) ١٦١ رسالة الغفران
(٧) ١٠٠ أخبار أبى تمام للصولى، وراجع فى ذلك ٢٧٦ /٢ العمدة

شريف كريم ، أو فى بديع مخترع إلا وكل من جاء من الشعراء من بعده إن هو لم يقدر على لفظه فيأخذه فانه لا يدع أن يستعين بالمعنى ويجعل نفسه شريكا فيه[١] فليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تبادل المعانى ممن تقدمهم والصب على قوالب من سبقهم على أن المعانى مشتركة بين العقلاء ، إنما تتفاضل الناس فى الالفاظ وتأليفها [٢] ، والمخترع معروف له فضله غير أن المتبع إذا تناول معنى فأجاده فهو أولى به فأما ان ساوى المبتدع فله فضيلة حسن الاقتداء لا غيرها فان قصر كان ذلك دليلا على سوء طبعه وضعف قدرته [٣] ، ويقول أبو العتاهية :

ان خير الكلام ما يستعير الناس منه ولم يكن مستعارا

ويجعل البحترى الاحتذاء فى الاسلوب سرقة وأخذا وان اختلف المعنى [٤] والسرقة انما تقع فى البديع النادر والخارج عن العادة [٥] والذى ليس للناس فيه اشتراك [٦] وقد تشترك الجماعة فى الشيء المتداول وينفرد أحدهم بلفظة تستعذب أو ترتيب يستحسن أو تأكيد يوضع موضعه أو زيادة اهتدى لها دون غيره فيريك المشترك المبتذل فى صورة المخترع [٧] ، فالمشترك الغامى قد يصير خاصيا اذا غيرت صورته وهذبت طريقته [٨] ، ولا يعذر الشاعر فى سرقته حتى يزيد فى

---

(١) ٩٦ /٣ الحيوان
(٢) ١٨٩ صناعتين
(٣) ٢٧٤ /٢ العمدة
(٤) راجع ١٦٦ /٣ زهر
(٥) ١٤ قراضة الذهب لابن رشيق
(٦) ٢٣ موازنة
(٧) ١٥٠ وساطة
(٨) ٢٩٥ أسرار البلاغة

اضاءة المعنى أو يأتى بأجزل من الكلام الأول أو يسنح له بذلك معنى يفضح به ما تقدمه ولا يفتضح به [١] ؛ على أن كثيرا من أهل العلم بالشعر لم يكونوا يرون سرقات المعانى من كبير مساوىء الشعراء وخاصة المتأخرين إذ كان هذا بابا ما تعرى منه متقدم ولا متأخر [٢] .

وسنحاول استقصاء معانى ابن المعتز التى وجدته قد أخذها من الشعراء قبله أو احتذاهم وتأثر بهم فيها رغم ما فى ذلك من مشقة الدراسة وعنت البحث وإجهاد الفكر والتفكير والنقد وكثرة الاستقصاء لأشعار ابن المعتز وأشعار القدماء ، فلقد كان ابن المعتز كثيرا ما يأخذ من الناس ويستعين فيحسن وكثيرا ما يتكىء على نفسه [٣] » ، وقد مضى كثير من هذه المعانى التى اخذها من الشعراء وسأكتفى الآن بذكر بعض معانى ابن المعتز التى احتذىء فيها الشعراء .

١ — قال امرؤ القيس يصف كثرة شعر محبوبته : تضل العقاص فى مثنى ومرسل .

وقال ابن أبى ربيعة :

مثل الأساود قد أعيا مواشطه تضل فيـــه مداريها وتنكسر

فقال ابن المعتز فى وصف الشعر وطوله :

دعت خـــلاخيلها ذوائبها فجئن من قرنها إلى القـــدم

ومن المبالغة المشهورة قول امرىء القيس :

من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر فوق الأتب منها لأثرا

أخذه حسان فقال :

لو يدب الحولى من ولد الذ ر عليها لأنـــدبتها الكلوم

(١) ٢٤ رسائل ابن المعتز

(٢) ١٣١ الموازنة

(٣) ١١٣ الاوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء

وتناول ابن المعتز هذا المعنى فقال :

رق فلو مرت به ذرة في رجلها نعل من الورد
لمزقت ديباجتي خده من غير أن جازت على الخد

فبالغ أشد مبالغة وتجاوز الحد في المعنى :

سلوا سكاكينهم من القرب

وقال امرىء القيس يصف بقايا أطلال أحبابه :

كما خط عبرانية بيمينه بتيماء حبر ثم عرض أسطرا

أخذه ابن المعتز فقال يصف ظعائن أحبابه :

بدت في بياض الآل والبحر دونها كأسطر رق أمرض الخط كاتبه

فأوضح العبارة وأبرز المعنى ، وقول امرىء القيس عرض أسطرا » ليس من العرض خلاف الطول ولا العرض الذي هو الناحية ولكنه من التعريض كأنه أدق السطور فصار كأنه معرض مخف لم يظهر ولم يصرح .

وقال امرىء القيس :

فقمت بها أمشي تجر وراءنا على أثرنا أذيال مرط مرحل

فيه تكلف لأنه قال « وراءنا على إثرنا » ولو قال على إثرنا لكان كافيا — فضلا عما في الاضافة المتتالية لضمير واحد هنا من البغض — فالذيل انما يجرر وراء الماشي فلا فائدة لقوله « وراءنا » ، وتقدير الكلام « فقمت أمشي بها » وهذا أيضا ضرب من التكلف ، وقوله « أذيال مرط » كان سبيله أن يقول « ذيل مرط » ، وقد روى « على أثرينا ذيل مرط » ؛ وقد قال ابن المعتز ما هو أحسن من بيت امرىء القيس ، وهو قوله :

فبت أفرش خدي في الطريق له ذلا وأسحب أذيالي على الأثر

٢ — وقال قيس بن الخطيم :

وقد لاح فى الصبح الثريا كما ترى　　كعنقود ملاحية حين نورا [(١)]

فقال ابن المعتز :

كأن الثريا فى أواخـــر ليلها　　تفتح نور أو لجام مفضض

فرق كبير بين تشبيه الثريا بعنقود ملاحية حين نور وتشبيهه بتفتح النور على الاطلاق من غير تفصيل ، ولذلك قصر ابن المعتز فى بيته تقصيرا كثيرا عن قيس ؛ ومثل البيت أيضا فى المعنى ويشبهه فى التقصير قوله :

وقـــد لاحت لساريها الثريا　　كأن نجومها نور الأقاحى

ولسويد بن أبى كاهل :

مغرب اللون إذا الليل انقشع .

يعنى الصبح وإنما شبه بالمغرب من الخيل وهو الذى تتسع غرته حتى تجاوز عينيه ؛ ولذلك قال ابن المعتز :

والصفح قد أسفر أو لم يسفر　　حتى بدا فى ثوبه المعصفر .

كأنه غرة مهر أشقر

وللمخبل السعدى يصف دارا مقفرة :

وكأنما أثر النعام بجوها　　بمدافع الركنين ودع جراد

أخذه ابن المعتز فقال فى وصف دار :

كأن آثار وحشى الظباء بها　　ودع تخلفه أظـــلافها سبق

ولعلقمة بن عبدة :

كأن إبريقهم ظبي على شرف　　مفدم بسبا الكتان ملثوم

---

(١) الملاحى: عنب طويل أبيض . نور الزرع : أدرك ، ونور التمر : خلق فيه النوى . وفى البلغة (ص ٨٥) البيت منسوب لابى قيس بن أبى الاسلت

أراد بسبائب أى حبال فحذف ؛ ولابن المعتز :

وكأن إبريق المدامة بيننا ظبي على شرف أناف مدلها

وله :

كأن أباريق اللجين لديهم ظباء بأعلى الرقتين قيام

وللفند الزمانى :

فلما صرح الشر فأمسى وهو عريان
ولم يبق سوى العدوا ن دناهم كما دانوا

فقال ابن المعتز :

جزينا الامويين ودناهم كما دانوا

وللأسود بن يعفر :

جرت الرياح على مقر ديارهم فكأنهم كانوا على ميعاد

ولابن المعتز يصف روضة :

تبدو إذا جاء السحاب بقطره فكأنما كانا على ميعاد

وللمأمون الحارثى يخاطب قلب حبيبته :

أحديد أنت أم حجر

أخذه ابن المعتر فقال :

ضعيفة أجفانه والقلب منه حجر
كأنما ألحاظه من فعله تعتذر

٣ — وقال الفرزدق وهو أبو عذرة هذا المعنى :

وركب كأن الريح تطلب عندهم لها ترة من جذبها بالعصائب

ألم به ابن المعتز وأجاد إجادة منقطعة النظير وزاد عليه زيادة جميلة فقال :

والريح تجذب أطراف الرداء كما أفضي الشفيق الى شبيه وسنان

وأخذه الشريف الرضى :

وأمست الريح كالغـــيرى تجاذبنا   على الكثيب فضول الريط واللمم

وقال ابن زيدون متأثراً بابن المعتز :

وللنسيم اعتلال فى أصائله   كأنه رق لى فاعتل إشفاقا

وقال عدى بن الرقاع يصف ولد الظبي :

تزجى أغن كأن إبرة روقه   قلم أصاب من الدواة مدادها

وقدحسده جرير على هذا التشبيه (١) ، والبيت من داليته المشهورة وأنشدها الأصمعى للرشيد فى مجلس سمره فأعجب بها إعجابا شديدا (٢) ، وقال ابن المعتز متبعا له فى ذلك ووصف غزلانا :

قد أطلعت إبر القرون كأنها   أخذ المراود من سحيق الأثمد

وقال الطرماح :

لقد زادنى حبا لنفسى أننى   بغيض الى كل امرىء غير طائل

فقال مروان بن أبى حفصه :

ما ضرنى حسد اللئام ولم يزل   ذو الفضل يحسده ذوو التقصير

وقال أبو تمام :

لقد آسف الأعداء فضل ابن يوسف   وذو النقص فى الدنيا بذى الفضل مولع

وقال ابن المعتز :

ما عابنى إلا الحسو   د وتلك من إحدى المناقب

---

(١) ٢ / ١٣٢ أسرار البلاغة ، ٢ / ٩٤ للمبرد

(٢) راجع هذه الرواية الأدبية بطولها فى العقد الفريد (٣ / ٤٠٣ - ٤٠٦) ، وفى (٣ / ٩٦ - ١٠٠ أمالى المرتضى)

وقال المتنبي :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لى بأنى كامل

أتى أبو الطيب فى المعنى بلفظ مخالف للفظ مروان وأتى أبو تمام به فى جزء من لفظ مروان وتممه بلفظ من عنده وأتى به ابن المعتز فى لفظ غير لفظيهما مع الاختصار وحسن السبك .

٤ — وقال بعض العباسيين المتقدمين :

دعوا الأسد تكنس أغيالها ولا تضربوها وأشبالها

فقال ابن المعتز من قصيدته فى مناقضة ابن طباطبا العلوى :

دعوا الأسد تكنس غاباتها ولا تدخلوا بين أنيابها

ولكنه أخذه ساجا ورده عاجا وغل قطيفة ورد ديباجا كما يقول البغدادى[1]

وقال ابن المعتز :

ورأيا كمرآة الصناع أرى به سرائر غيب الدهر من حيث ما سعى

أخذه من قول المنصور لابنه المهدى : لا تبرم أمرا حتى تفكر فيه فان فكر العاقل مرآته يريه قبحه وحسنه ؛ ولما دفن المنصور وقف الربيع على قبره وقال من كلمة له : وكنت ترى باطن الأمر بمرآة من الرأى كما ترى ظاهره »

ويقولون [2]

---

(١) ٣٥٢ /١ الخزانة للبغدادى نشر محي الدين عبد الحميد

(٢) ٢٣٧ /١ الكامل للمبرد

الفكر مرآة تريك حسنك من قبيحك [١] .

وقال عبد الملك بن صالح للرشيد لما سأله من ليل منبج . سحر كله ؛ وفى البيان والتبيين . سئل رجل كيف ليلكم ؟ فقال . سحر كله وقال أبو تمام .

أيامنا مصقولة أطرافها ... بك والليالى كلها أسحار

أخذه ابن المعتز فقال .

يا رب ليـــل سحر كله ... مفتضح البدر عليل النسيم

وغضب ابن المعتز على بعض وكلائه فاستشفع الوكيل بالمبرد فكتب اليه : أنت والله كما كتب مسلم فى جدك الرشيد :

يغدو عدوك خائفـــاً فاذا رأى ... أن قد قدرت على العقاب رجاكا

وهو معنى كثير .

قال أعرابى :

وكالسيف إن لاينته لان متنه ... وحـــداه إن خاشنته خشنان

وهذا يناسب قول ابن المعتز فى بعض جهاته :

ويجرح أحشائى بعين مريضة ... كما لا متن السيف والحق قاطع

وقال أعرابى :

ألا ياشفاء الناس ليس بعالم ... بك الناس حتى يعلموا ليلة القدر

سوى رجمهم بالظن والظن كاذب ... مرارا ، وفيهم من يصيب ولا يدرى

---

(١) ولابن المعتز من نثره الادبى :

« لا يحمد الله إلا بتوفيق منه يقتضى حمدا » ، وقد أخذه من قول محمود الوراق :

إذا كان شكرى نعمة الله نعمة ... على له فى مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله ... وإن طالت الايام واتصل العمر

وأخذه الوراق من قول أبى العتاهية :

أحمد الله فهو ألهمنى الحمد ... على الحمد والمزيد للمزيد

وأخذه العباس بن الأحنف :

قد جرر الناس أذيال الظنون بنا فرق الناس فينا قولهم فرقا
فكاذب قد رمى بالظن غيركم وصادق ليس يدرى أنه صدقا

وقال ابن المعتز :

لما رأيت الدمع يفضحنى وقضت عليه شواهد الصب
ألقيت غيرك فى ظنونهم فسترت وجه الحب بالحب

وقال على بن جبلة :

وأرى الليالى ما طوت من قوتى زادته فى عظتى وفى أفهامى

أخذه ابن المعتز فقال :

وما ينتقص من شباب الرجال يزد فى نهاها وفى ألبابها

وقلبه أبو الطيب .

ليت الحوادث باعتنى الذى أخذت منى بحلمى الذى أعطت وتجريبى

وقال ابن أبى فنن وهو شاعر عاش فى عصر المتوكل ومدح وزيره الفتح ابن خاقان :

وحياة هجرك غير معتمد إلا رجاء الحنث فى الحلف
ما أنت أحسن من رأيت ولا كلفى بحبك منتهى كلفى

أراد أنها أحسن من رأى وأن كلفه بها فوق كل كلف فأقسم بحياة هجرها وتوخى الخلاف فى الجواب ليظهر أنه لا يريد الهجر وأنه يتمنى أن ينتهى الصدود إلى غير رجعة .

وقد أشار ابن المعتز إلى هذا المعنى بقوله .

وحياة عاذلتى لقد صارمته وكذبت ، بل واصلته وحياته

وقال الواثق بالله الخليفة العباسى .

لم تكن عينه لتجحد قتلى ودمى شـاهد على وجنتيه

أخذه ابن المعتز فقال :

قالوا اشتكت عينه فقلت لهم من كثرة القتل نالها الوصب
حمرتها من دماء من قتلت والدم فى النصل شاهد عجب

٥ — وقال بشار :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبـات الفاتك اللهج

أخذه مسلم فقال :

من راقب الناس مات هما وفاز باللـذة الجسور

وابن المعتز فقال .

وتقـدم ولا تقف فاز فى الحب من جسر

فأتى بالمعنى فى أبدع لفظ وأخصر عبارة .

وقال أبو نواس .

مالى فى الناس كلهم مثل مائى خمر ونقـلى القبل

أخذه ابن المعتز فقال :

فشربنا من المدام كؤوسا وجعلنا التقبيل نقل الشراب

فأطال المختصر وقصر عنه .

وقال مسلم :

فبت أسر البدر البدر طورا حديثها وطورا أناجى البدر أحسبها البدرا

وقال البحترى .

وباتت ترينى البدر والبـدر طالع وقامت متمـام البدر لما تغيبا

فقال ابن المعتز .

باتت يرينيها هلال الدجى حتى إذا غاب ارتنيه

وقال المتنبى .

واستقبلت قمر السماء بوجهها فأرتنى القمرين فى وقت معا

وقال مسلم .

يكسو السيوف دماء الناكثين به ويجعل الهام تيجان القنا الذبل

أخذه ابن المعتز ونقل جميع معنى البيت وبعض ألفاظه فقال .

ويجعل هامات أعدائه قلانس يلبسهن الرماحا

فجعل القلانس مكان التيجان ، ويلبس مكان يكسو ، وقصر عن صريع لأنه أسقط المعنى بتركه ذكر السيوف والدماء ، أو الذى ابتكر هذا جرير فى قوله .

كأن رؤوس القوم فوق رماحنا غداة الوغى تيجان كسرى وقيصرا

ولابن المعتز أيضا :

ألا رب يوم قد كسوكم عمائما من الضرب فى الهامات حمر الذوائب

فاستوفى المعنى وأجاد الأخذ والسبك ؛ وللسرى فى هذا :

وكست مفرق عمامة ضرب أرجوانية الذوائب تندى

٦ — وقال أبو تمام :

وقفت وأحشائى منازل للأسى به وهو قفر قد تعفت منازله

فقال البحترى : عفت الديار وما عفت أحشاؤه .

وقال ابن المعتز :

بؤسا لدهر غيرتك صروفه لم يمح من قلبى الهوى ومحاك

وقال المتنبى :

لك يامنازل فى القلوب منازل أقفرت أنت وهن منك أواهل

وبيت المتنبى أرجح من بيت الطائى لأنه ذكر منازل الحزن فخص والمتنبي ذكر المنازل فعم ، وقد أحسن ابن المعتز فى شطره الأخير جمع المعنى وحسن سبك اللفظ .

وقال أبو تمام يصف الكأس :

أو درة بيضاء بكر أطبقت   حبلا على ياقوتة حمراء

فقال ابن المعتز فى زامرة بيضاء فى فمها ناى من الأبنوس :

كأنما تلثم طفـــلا لها   زنت به من ولد الزنج

فجاء ذكر الزنا أقبح شيء ؛ وقال الصابى فى غالية فى قدح بلور .

كأنها فيه وقـد حازها   رومية حبـلى بزنجيه

فحبيب أجودهم لفظا مع سبقه وابن المعتز أرزلهم لفظا ومزج الصابى بين الاجادة والتقصير .

وقال أبو تمام فى المدح بثبات الجنان فى الحرب :

أنسى ابتسامك والألوان كاسفة   تبسم الصبح فى دأج من الظلم

أخذه ابن المعتز فقال :

لما تفرى أفق الضياء   مثل ابتسام الشفة اللمياء

جعل الشفة بازاء الليل واللمى بازاء الصبح .

وقال البحترى .

قد طلبنا فلم نجد لك فى السؤ   دد والمجد والمكارم مثلا

ولابن المعتز .

جل امرء منفردا وجلا   فى زمن لم ير فيه مثلا

وقال المتنبي .

وما عزه فيها مراد أراده   وإن عز الا أن يكون له مثل

وقال البحترى فى الليل : لم تكد أواخره من بعد قطريه تلحق . أخذه ابن المعتز فقال فى ليلة :

بعيدة ما بين البياضين لم يكد يصدق فيها صبحها حين بشرا

وحول هذا المعنى ووصف طول الليل يقول ابن المعتز أيضا :

كأن نجوم الليل فى حجراته دراهم زيف لم يجزن على النقد

وهو معنى رائع وتشبيه جميل ، يريد أن نجومه واقفة لا تسير فكأنها دراهم زائفة فليست تنقد :

وبعد فهذا وما سبق فى شتى أبواب الرسالة يصور لنا كيف كان ابن المعتز يصوغ معانيه ، وكيف كان يجىء أحيانا سابقا وإماما ، وأحيانا فى وسط الميدان ، وأحيانا متخلفا وانيا ؛ ويكفينا ذلك فى هذا المقام ففيه كفاية .

د — وابن المعتز فوق ذلك له كثير من المعانى المبتدعة التى ابتكرها وسلم الشعراء اليها واحتذوه فيها وهى مبثوثة فى ديوانه وفى تشبيهاته على الخصوص ، وقد سبق ذكر كثير منها فى باب التشبيه ؛ ونحن الآن نلم ببعض قليل منها حسبما يتسع له المقام .

١ - روى ابن رشيق له البيت .

وتحت زنانير شددن عقودها زنانير أعكان معاقدها السور

فى باب المعانى المحدثة وقال : إنه تشبيه لم يسبق اليه (١) .

وقال العسكرى . ومن الفرد الذى لا شبيه له قول ابن المعتز .

ومحجل غر اليمين كأنه متبختر يمشى بكم مسبل (٢)

ويقول . ومن غريب ما قيل فى الهلال وعجيبه قول ابن المعتز .

---

(١) ٢٣١ / ٢ العمدة

(٢) ١١٢ / ٠ ديوان المعانى

إذا الهــلال فارقته ليلته بدا لمن يبصره وينعته
كهامة الاسود شابت هامته

قد سبق إلى هذا المعنى ولم يأخذه عن أحد أعرفه [١] .

وقال ابن المعتز فى رثاء عبيد الله بن سليمان الوزير .

هــذا أبو القاسم فى نعشه قوموا انظروا كيف تزول الجبال

وهو أول من نطق بهذا المعنى [٢] كما يقولون ، وفى رأيى أنه مأخوذ من قولهم فى المدح ، هو كالجبل الراسخ وكالطود الشامخ ، ثم قيل فى الرثاء . زال الطود ورضوى يسير على كواهل الرجال ، وما شابه ذلك ، ويقول عدى بن الرقاع .

أبت لكم مواطن طيبات وأحلام لكم تزن الجبالا

وقال الفرزدق .

أحلامنا تزن الجبال رزانة وتخالنا جنا اذا ما نجهل

وقال أيضا .

انا لتوزن بالجبال حلومنا ويزيد جاهلنا على الجهال

وقال آخر .

وعظيم الحلم لو وازنته بثبير أو برضوى لرجح

وقد احتذى ابن الرومى قول ابن المعتز كما يقولون فقال .

من لم يعاين سير نعش محمد لم يدر كيف تسير الأجبال

وقال المتنبى .

ما كنت آمل قبل نعشك أن أرى رضوى على أيدى الرجال السير

وقال الشريف الرضى فى رثائه الصاحب .

أكذا المنون تقطر الأبطالا وكذا الزمان يضعضع الاجبالا

---

(١) ٣٤٠ /١ ديوان المعانى

(٢) ١٦١ /١ سمط اللآلى

٢ ـ ومن جيد معانيه قوله فى الحية ،

كأنها حين تبدو من مكامنها   غصن تُفتح فيـه النور والورق

وهو تشبيه لم يسبق إليه فيما أعلم .

ومن جديد معانيه المبتكر تشبيهه الهلال بزورق من فضة أثقلته حولة عنبر كما يقول ، وتشبيهه إياه بمنجل من فضة يحصد من زهر الدجى نرجسا ، وسوى ذلك من جديد تشبيهاته وجيد أوصافه التى يضيق المقام عن تعدادها

ومن جديد معانيه قوله :

ياليالى بالمطـيرة والكرخ   ودير السوسى بالله عودى
كنت عندى أنموذجات من الجنة لكنها بغير خلود

وقوله فى دار هند :

لو حللنا وسط جنـة عدن   لاقترحناك عليها اقتراحا

ويشبهه قول شوقى .

وطنى لو شغلت بالخلد عنه   نازعتنى اليه فى الخلد نفسى

وهذا البيت يستبد بشرف المعنى وجمال اللفظ وسحر الأسلوب والتصوير وبلاغة الاعجاز.

ومن جيد معانيه فى الراح قوله .

نور وإن لم يغب ووهم إذا   صح وماء لو كان ينسكب

وهو فى هذا التهكم الساخر مجدد مجيد .

ضحك المشرقات فى يوم عيـد   إذا رأوا جعفراً يحث العنانا
قلن لما رأينـه حالكا أسود جعداً ينـاسب السودانا
ليت هذا لنـا فنعمل من جلدته فى وجوهنا خيلانا

ويبدع كل الابداع فى قوله فى ناقته.

وقيـــدها بالنصـــل خرق كأنه إذا جد لولا ما جنى السيف مازح

كما يبدع فى قوله فى ليلة مظلمة .

يقيـد اللحظ فيهـا عن مسـالكه لأنهـا لبست أثواب رهبـان

وليس لهذا البيت نظير فى الجودة والاحسان وهو قوله فى وصف الفرس .

بحر شر يشـاغب الصخر قرعا بصخور وينبـــذ الترب نبـذا

ووصف الرسول العظيم صلوات الله عليه فرسا بالبحر ، ومن هـنـا استمد ابن المعتز وصفه الجميل فى بيته السابق .

ويصف صديقا له فيقول .

كماء طريق الحج فى كل منهل يذم على ما كان منه ويشرب

وفى طول الليل يقول .

والنجم فى مغـربه وسنان والصبح فى مشرقه حيران

فتجد صورة جديدة يرسمها الشاعر ببراعة الحاذق الصناع .

ويقول يصف بخيلا وهو من معانيه الغريبة .

يا بخيلا ليس يدرى ما الكرم حرم اللـؤم على فيـه نعم
حدثونى عنـه فى العيد بما سرنى من لفظه حين حكم
قال : لا قربت إلا بدنى ذاك خير من أضاحى الغنم
فاســتخار الله فى كربتـــه ثم ضحى بقفـــاه واحتجم [١]

إلى غير ذلك من جيد معانيه وجديدها المبتكر .

ه — وإذا كان ابن المعتز قد اقتبس من معانى الشعراء الذين تقدموه أو عاصروه

---

(١) ويعجب الشهاب الخفاجى بهذه الابيات ومعناها إعجابا كثيرا (٣٢٠ ريحانة الالبا)

وأخذ عنهم بعض معانى شعره ، فان الشعراء الذين أتوا بعده قد احتذوه وتأثروا به إلى حد كبير :

١ — فأبو الطيب المتنبي كان كثير الأخذ من ابن المعتز على تركه الأقرار بالنظر فى شعر المحدثين [١] ، وكان يجحد فضل من تقدمه من الشعراء وينكر حتى أساميهم ويزعم أنه لايعرف الطائيين وهو على ديوانيهما يغير ولم يسمع بابن الرومى وهو من بعض أشعاره يغير ، ويسبهم ويظراءهم إذا قيل : فى شعرهم إبداع [٢] ، ونحن نذكر بعض ما أخذه أبو الطيب من ابن المعتز من معان :

قال ابن المعتز :

لا أشرك الناس فى محبته   قلبي عن العالمين قد ختما

وقال المتنبي :

أروح وقد ختمت على فؤادى   بحبك أن يحل به سواكا

وقال ابن المعتز يصف فرسا :

يرى بعيد الشيء كالقريب

فقال المتنبي :

وكاتب من خيل بعيد مرامها   قريب على خيل حواليك سبق

وقال المتنبي فى راحة ممدوحه :

إن يكن النفع ضر باطنها   فربما ضر ظهرها القبل

وما علمت أن أحدا جعل القبل تضر إلا المتنبي فى المبالغة .

ولابن المعتز :

ويح الطبيب الذى بالجهل مس يدك   ما كان أجهله فيما به اعتمدك

لو أن لحاظه كانت مباضعه   ثم انتحاك بها من رقة فصدك

---

(١) ١ / ١١٤ اليتيمة ، ٣٠ نقد شعر المتنبي للثعالبي ط ١٩١٦

(٢) ٧ الابانة للعميدى

واللحظ دون القبل ، وأبلغ من هذا قوله وفيه مبالغة .

ومر بفكرى خاطراً فجرحته ولم أر شيئا قط يجرحه الفكر

وقال ابن المعتز .

وأرى الثريا فى السماء كأنها قدم تبدت فى ثياب حداد

وقال المعوج الرقى .

كأن بنات نعش حين لاحت نوائح واقفات فى حداد

فقال أبو الطيب .

كأن بنات نعش فى دجاها خرائد سافرات فى حداد

وقال ابن المعتز .

فكرت كمنصل السيف تتلو لواقحا كأن حصا الصمان من وقعها رمل

فقال المتنبى .

إذا وطئت بأيديها صخوراً يفئن بوطء أرجلها رمالا

وقد أحسن فى الشطر الثانى ، وزاد بأن جعل للأيدى ما جعله الأول لجملة القوائم ، وللاول من الفضل أنه خص الحصا وهو أشد من الصخر وأصلب ، وهذا المعنى كثير مبتذل ، وإنما ذكرنا ما تنازعه الشبه لفظا ومعنى .

وقال المتنبى .

أزورهم وسواد الليل يشفع لى وأنثنى وبياض الصبح يغرى بى

وقد أجاد فيه وكرره فى مواضع من شعره كقوله .

وكم لظلام الليل عندك من يد تخبر أن المانوية تكذب

وإنما أخذه من مصراع لابن المعتز :

لا تلق إلا بليل من تـواعده   فالشمس نمامة والليل قـواد [١]

وقد هجن المعنى بذكر « نمامة » « وقواد » ، وأجاد أبو الطيب فى حسن السبك وجودة المقابلة وجمال الأسلوب .

وقال ابن زيدون فى هذا المعنى :

سران فى خاطر الظلماء يكتمنا   حتى يكاد لسان الصبح يفشينا

فزاد فيه على المتنبى بجميل الاستعارة ، وكل من الى هذا أشار فحوالى المثل دار « الليل أخفى للويل » ، ولشاعر : الليل أخفى والنهار أوضح » [٢] .

وقال ابن المعتز .

وجالت صـواهلها المقربات   بأفعال جن وأشباح ناس

فقال المتنبى .

نحن ركب من الجن فى زى ناس   فوق طير لهـا شخوص الجمال

وقال ابن المعتز :

يا من سبا قلبي بأول نظرة   فى نظرة أخرى الى شفاء

فقال المتنبى .

فنى تغرم الأولى من اللحظ مهجتى   بثانية والمتلف الشىء غارمه

فجاء بمعنى بيت ابن المعتز ونقل من قوله « أول نظرة » وقـوله « فى نظرة أخرى » ، فقال . الأولى من اللحظ . بثانية ، غير أنه زاد ذكر الغرامة ، وذيل البيت بمـا ذيله به وعقب بلزوم ذلك .

وقال ابن المعتز .

البدر من شمس الضحى نوره   والشمس من نورك تستملى

---

(١) وقيل إنما أخذ المتنبى بيته من قول أبى عبد الله الانصارى :

وليلة سرت سرا فى حنادسها   حتى افترقنا وضوء الصبح نمام

ومصراع ابن المعتز على صغره ولين لفظه فيه معنى بيت المتنبى على جلالة لفظه وحسن تقسيمه (راجع ٣١ نقد شعر المتنبى للثعالبى ، ١١٤ / ١ اليتيمة)

(٢) ١١٤ / ١ البيان

فقال المتنبي ،

تكسب الشمس منك النور ساطعة … كما يكسب منها نوره القمر

وقال ابن المعتز يعزى عبيد الله بن سليمان عن ابنه أبي محمد ويسليه ببقاء أبي الحسين القاسم .

ولقد غبنت الدهر اذ شاطرته … بأبى الحسين وقد ربحت عليه

وأبو محمد الجليل مصابه … لكن يَنى المرء خير يديه

أخذه المتنبي فقال يعزى سيف الدولة عن أخته الصغرى ويسليه ببقاء الكبرى .

قاسمتك المنون شخصين جورا … جعل القسم نفسه فيك عدلا

فاذا قست ما أخذن بما غا … درن سرى عن الفؤاد وسلى

وتيقنت أن حظك أوفى … وتيقنت أن جدك أعلى

٢ — وكذلك كان غير أبي الطيب من الشعراء يرجعون الى ابن المعتز ويقتبسون من معانيه ويحذون حذوه فى القريض ونظمه ، ونحن نحصى بعضا من ذلك الآن .

قال ابن المعتز .

غلالة خده صبغت بورد … ونون الصدغ معجمة بخال (١)

فقال الأسعد الاندلسى .

توهم عطف الصدغ نونا بخده … فبات بمسك الخال ينقطه نقطا

وقال ابن برد الأصغر الأندلسى :

يا شاربا ألثمنى شاربا … قد هم فيه الآسى أن ينبتا

---

(١) نثره بعض الكتاب فقال : أعجمت يد الجمال نون صدغه بخال (١٥٥/٣ زهر)

أخذه من قول ابن المعتز .

وشارب قد نم أو هم عليه الشعر

وليس ابن برد بمقصر عن مرمى ابن المعتز لولا التكرار الذى فى بيته وإطنابه فى صياغة المعنى وركاكة أسلوبه بعض الشيء، وقول ابن المعتز على عذوبته وإيجازه ووضوحه لا يكاد يخرج عن لفظ العامة ، والجناس فى بيت ابن المعتز بين « نم وهم » أروع وأعذب من الجناس فى بيت ابن برد « شارب وشارب » .

وقال ابن المعتز .

بكيتك حتى قيل قد ألف البكا ونحتك حتى قيل إلف حنين
ورقت دموع العين حتى كأنها دموع كروم لا دموع جفون

أخذه الصابى فقال .

وكأن ما فى العين من كأس جرى وكأن ما فى الكاس من أجفانى

وقال ابن المعتز .

والله لا كلمتها ولو أنها كالبدر أو كالشمس أوكالمكتفى (١)

أخذه الصاحب فقال .

والله لا راجعته ولو أنه كالبدر أو كالشمس أو كبويه

وقال ابن المعتز .

وكأن الربيع يجلو عروسا وكأنا من قطره فى نثار

فقال الصاحب .

فكأن السماء صاهرت الارض فصار النثار من كافور

وقال ابن المعتز .

كم من عناق لنا وكم قبل مختلسات حذار مرتقب

---

(١) هكذا ذكر الثعالبى (٢٥١ /٣ اليتيمة) حيث نسب البيت لابن المعتز . على أنه وهو الصحيح ينسب لابى بكر ابن السراج النحوى (٣٢٢ /٢ و ١٠ /٧ معجم الادباء)

نقر العصافير وهى خائفة ‏ ‏ ‏ من النواطير يانع الرطب

أخذه ابن رشيق فقال :

وملنا لتقبيل الثغور ولثمها ‏ ‏ ‏ كمثل جنوح الطير يلتقط الحبا [١]

قال فى الوافى : ومقام ابن المعتز غير مقام ابن رشيق لان ابن رشيق ذكر أنه فى ليلة أمن وهى عنده من حسنات الدهر فلهذا أحسن فى تشبيه التقبيل مع الامن بالتقاط الطير الحب لانه يتوالى دفعة بعد دفعة ، وأما ابن المعتز فانه كان خائفا يختلس التقبيل ويسرقه كما يفعل العصفور فى نقر الرطب اليانع لانه يقدم جازعا خائفا من الناطور الحارس ، فلا يطمئن فيما يلثم .

وقال سيف الدولة فى هذا المعنى فأحسن :

أقبله على جزع ‏ ‏ ‏ كشرب الطائر الفزع
رأى ماء فواقعه ‏ ‏ ‏ وخاف عواقب الطمع
وصادف فرصة فدنا ‏ ‏ ‏ ولم يلتذ بالجرع [٢]

وقال ابن المعتز :

محاسنها نزهة للعيون ‏ ‏ ‏ ومعرضها كل ما تلبس

فقال كشاجم .

كل اللباس عليها معرض حسن ‏ ‏ ‏ وكل ما تتغنى فهو مقترح

وقال ابن المعتز .

كأن الثريا فى أواخر ليلها ‏ ‏ ‏ تفتح نور أو لجام مفضض

فقال كشاجم فى فرس وزاد فى المعنى .

فكأنه ببنات نعش ملبب ‏ ‏ ‏ وكأنما هو بالثريا ملجم

---

(١) يفضله الابيوردى على قول ابن المعتز (٧٢ /٣ معجم الادباء)
(٢) راجعها فى ٢٤ و ٢٥ /١ اليتيمة

وللشاشى .

والثريا كأنها رأس طرف   أدهم زين باللجام المحلى

وقال ابن المعتز .

وزنا لها ذهبا جامدا   فكانت لنا ذهبا سائلا

فقال ابن الحجاج [١] :

أوفيه خلاص التبر وزنا   فيسبكه ويعطينيه كيلا

وقال ابن المعتز :

كالنار تأكل نفسها   إن لم تجد ما تأكله

فقال أبو سعيد الرستمى :

كذلك النار حين أعوزها   ما أحرقته تسبيت تحترق

وقال الوأواء الدمشقى [٢] :

متى أرعى بروض الحسن منه   وعينى قد تضمنها غدير ؟

ألم فيه بقول ابن المعتز :

وإنك تك فى خديك للحسن روضة   فان على خدى غديرا من الدمع

وقوله :

فبخديك للربيع رياض   وبخدى للدموع غدير

وقال السرى الرفاء [٣] :

---

(١) ترجمته ٢٥ — ٨٨/٣ اليتيمه

(٢) من حسنات الشام وصاغة الكلام كما يقول الثعالبي (٢٣٥ /١ اليتيمة) . وهو حسن الاستعارة جيد التشبيه (١٤٦ / ٢ فوات الوفيات) . وترجمته فى اليتيمة ، ٢٣٥ — ٢٤٤ /١)

(٣) صاحب سر الشعر الجامع بين نظم عقود الدر والنفث فى عقد السحر كما يقول الثعالبي (١٠٣/٢ اليتيمة) ، وكان فى طريق كشاجم يذهب وعلى قالبه يضرب (١٠٤ /٢ المرجع نفسه) . واتصل بسيف

فمضى وقد منع الجفون خفوقها   قلب لذكرك لا يقر خفوقا

أخذ اللفظ من قول ابن المعتز : ما بال قلبك لا يقر خفوقا .

وقال السرى :

ضعفت معاقد خصره وعهوده   فكأن عقد الخصر عهد وفائه

اللفظ من قول ابن المعتز : وشادن ضعيف عقد الخصر ، ومعنى السرى رائع .

وقال ابن المعتز .

وصلوا عليه خاشعين كأنهم   وفود وقوف السلام عليه

فقال ابن الانبارى فى ابن بقية الوزير لما صلب .

كأن الناس حولك حين قاموا   وفود نداك أيام الصلات

وقال المعرى .

يذيب الرعب منه كل عضب   فلولا الغمد يمسكه لسالا

وكأنه نظر الى قول ابن المعتز .

يكاد أن يخرج من إهابه   إذا تدلى السوط لولا اللبب

وقوله .

يكاد يجرى من القميص من   النعمة لولا القميص يمسكه

* * *

وبعد فهذا نهاية حديث فى معانى شعر ابن المعتز ويلى ذلك الفصل السادس فى طبقة ابن المعتز .

الفصل السادس

طبقة ابن المعتز

- ١ -

والطبقة كل جماعة عاشوا متقاربين فى الزمان وجرت عليهم أحكام واحداة من تأثير البيئه وإن لم يتحدوا فى المنزع أو يدخلوا فى مناقضة أو يتزاحموا على باب ملك [١] ، ومعنى الطبقة أنهم نظراء [٢] وأنهم قريبون من بعض فى منزلتهم الأدبية العامة وإن اختلفوا فى اتجاهاتهم الفنية وإنتاجهم الأدبى .

والشعراء أربع طبقات : جاهليون ومخضرمون وإسلاميون ومولدون وهم الذين فسدت فيهم ملكة اللسان فعالجوها بالصناعة وهم شعراء بنى العباس [٣] ، ويضيف اليهم الشهاب الخفاجى . المحدثون ثم المتأخرون والعصريون [٤] .

والشعراء العباسيون يقسمون الى طبقات :

فالطبقة الاولى من العباسيين هم مخضرمو الدولتين . كابن هرمة وأبى دلامه م ١٦١ ه والحسين بن مطير وأبو حية النميرى وسديف بن ميمون ويحي بن زياد وأبو الهندى وابن الخياط المكى [٥] وبشار م ١٦٧ ه وصالح بن عبد القدوس م ١٦٧ ه أيضا [٦] وحماد عجرد م ١٦٨ ه ومطيع م ١٦٩ ه والسيد الحميرى م ١٧٣ ه ومروان بن أبى حفصه (١٠٥ — ١٨١ ه) ، ومن رجازها أبو نخيلة السعدى ورؤبة م ١٤٥ ه .

(١) ١٠٤ الادب العباسى لمحمود مصطفى

(٢) ٨٤ تاريخ النقد الادبى عند العرب

(٣) ٤٥ تاريخ الادب العربى للزيات

(٤) ٣١٠ و ٣١١ الريحانة

(٥) شاعر ظريف ماجن مدح المهدى (٩٤ / ١٨ الاغانى)

(٦) وفي الدميرى أنه قتل عام ١٩٢ ه (٢٧ / ١ الدميرى) ولعله تحريف

وقد تأثرت هذه الطبقة ولاسيما بشار بالفرس وحضارتهم تأثرا قويا وكان تأثرهم بعلوم اليونان قليلا بالقياس إلى من بعدهم

وزعيم هذه الطبقة بشار، وهو أشهرهم وأشعرهم (١)، فهو أستاذ المحدثين (٢)، وتقدمه فى طبقاتهم ورياسته عليهم من غير اختلاف فى ذلك يغنى عن وصفه وإطالة ذكر محله (٣)، وسمى أبا المحدثين لأنه فتق لهم أكمام المعانى ونهج لهم سبل البديع فاتبعوه (٤)، وهو أستاذ المحدثين وبدرهم وصدرهم (٥)

ويجعل ابن رشيق أبا العتاهية م ٢١١ ﻫ من هذه الطبقة (٦) والصواب عده من الطبقة الثانية

والطبقة الثانية: نشأت فى صدر الدولة، ومن شعرائها: والبة م ١٧٥ ﻫ، وسلم م ١٨٦ ﻫ (٧)، والعباس بن الأحنف م ١٩٢ ﻫ، وأشجع م ١٩٥ ﻫ، وأبو الشيص م ١٩٦ ﻫ (٨)، وأبو نواس م ١٩٨ ﻫ (٩)، والحكم بن قنبر، والفضل الرقاشى م ٢٠٠ ﻫ، وأبان م ٢٠٠ ﻫ (١٠)؛ ومحمد بن كناسة م ٢٠٧ ﻫ؛ وعلى بن جبلة العكوك (١٦٠ — ٢١٣ ﻫ)، وبكر بن النطاح، ومحمد بن بشير الرياشى؛ ومنصور النمرى (١١)، ومسلم بن الوليد م ٢٠٨ ﻫ؛ وأبو العتاهية م ٢١١ ﻫ؛

---

(١) ٨٣ / ١ العمدة

(٢) ٢٥٠ الموشح

(٣) ٢٠ / ٣ الاغانى

(٤) ١٣٦ / ٢ زهر

(٥) ٨٤ خاص الخاص

(٦) ٨٣ / ١ العمده

(٧) ويعده بعض النقاد من الطبقة الاولى (٨٣ / ١ العمده، ٢٨٠ العصر العباسى للسباعى بيومى)

(٨) راجع ترجمته فى ٢٤٥ — ٢٤٨ / ٧ مهذب الاغانى

(٩) وفى الدميرى (٤٣ / ١) أنه توفى عام ١٩٤ ﻫ

(١٠) ترجمته فى ١ — ٥٢ الاوراق قسم أخبار الشعراء

(١١) تلميذ العتابى وراويته ووصف اسحاق الموصلى شعره وشعر مسلم أمام الفضل بن يحيى وصفا رائعا (راجع ٦٥ — ٦٩ / ١٣ تاريخ بغداد)

وأبو سعيد المخزومى(١) ؛ والعتابى م ٢٢٠ﻫ ، وعمارة بن عقيل م ١٤٠ﻫ ؛ ودعبل (١٤٨ — ٢٤٦ ﻫ) وهو سافتهم (٢) ؛ وعوف بن محلم الخزاعى م ٢٤٨ ﻫ ، والحسين بن الضحاك م ٢٠٠ ﻫ

وليس فيهم نظير أبى نواس وليس يفضل عليه مولد سوى بشار (٣) ، واشتهر منهم أبو العتاهية ؛ وكان شيخ الطبع (٤) ؛ وكان غزير البحر لطيف المعانى سهل الألفاظ كثير الافتنان قليل التكلف إلا أنه كان كثير الساقط المرذول وهو وبشار والسيد أطبع الناس (٥) ، ويقول فيه ابن الأعرابى : ما رأيت أجمع ولا أقدر على بيت شعر منه وما أحسب مذهبه الا ضربا من السحر (٦) ، وقال الأصمعى (٧) : شعره كساحة الملوك يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والخزف ، وروى أبو حاتم عن أصحابه : لو أن طبع أبى العتاهية بجزالة لفظ لكان أشعر الناس (٨) ، وشعره كالماء الجارى رقة ألفاظ ولطافة سبك (٩) ، والبارد فى شعره كثير (١٠) ويقول المبرد فيه : وهو حسن الشعر قريب المأخذ .

وزعيم هذه الطبقة أبو نواس ؛ وتجد له من بهجة اللفظ ودقيق المعنى ما يتحير فيه (١١) ؛ ويقول فيه النظام : كأنه جمع له الكلام فاختار أحسنه (١٢) ؛ وامتاز

---

(١) بغدادى كثير الشعر جيده . ومدح المأمون (٥٧٨ / ١ سمط اللآلى ، ٢٦٠ معجم الشعراء ، ١٣٩ — ١٤٠ طبقات ابن المعتز ، وفى الأمالى قصيدة لامية له (٢٥٩ / ١ الامالى)

(٢) ويعده بعض الباحثين فى الطبقة الثالثة (٤٠٢ الأدب العباسى لمحمود مصطفى)

(٣) ٨٣ / ١ العمدة

(٤) ٨٢ / ١ العمدة

(٥) ١٢٢ /٣ الاغانى

(٦) ١٢٧ /٣ الاغانى

(٧) ١٤٠ /٣ الاغانى

(٨) ١٥٢ /٣ الاغانى

(٩) ٦٨ المثل السائر

(١٠) ٥٩ صناعتين

(١١) ١٧٣ إعجاز القرآن للباقلانى (١٢) ٢١٤ /٧ مهذب الاغانى

بفحش مجونه وتصويره لأخلاقه ولبيئته ووصفه الخمر ؛ وهو ثانى بشار فى منزعه لفظا ومعنى .

وبعد هذه الطبقة يختلف النقاد :

١ — ففريق يجعل أبا تمام م ٢٣١ ﻫ والبحترى م ٢٨٤ ﻫ وابن الرومى م ٢٨٣ ﻫ وابن المعتز م ٢٩٦ ﻫ طبقة واحدة هى الطبقة الثالثة التى خلفت طبقة أبى نواس[١] ويقول ابن رشيق طبقة حبيب والبحترى وابن الرومى وابن المعتز طبقة متداركة وتلاحقوا وغطوا على من سواهم حتى نسى معهم بقية من ادرك أبا نواس لم يذكر من أصحاب ابن الرومى وابن المعتز الا من ذكر بسببها فى مكاتبة أو مناقضة [٢] .

٢ — وفريق يقسم هؤلاء ومن عاصرهم طبقتين فيجعل فى الطبقة الثالثة : أبا تمام (١٩٠ — ٢٣١ ﻫ) ، وديك الجن (١٦١ — ٢٣٥ ﻫ) ، ومحمود بن الحسين الوراق م ٢٣٠ ﻫ ؛ وعبد الصمد بن المعذل م ٢٤٠ ﻫ ؛ وأخوه أحمد ؛ والحمدونى اسماعيل بن ابراهيم بن حمدويه البصرى ، وأبا العميثل كاتب ابن طاهر م ٢٤٠ ﻫ ؛ والعطوى ؛ وعلى بن الجهم م ٢٤٩ ﻫ . ويجعل فى الطبقة الرابعة : محمد ابن اسحق الصيمرى ؛ وعلى بن يحيي المنجم م ٢٧٥ ﻫ ؛ وابن الرومى (٢٢١ — ٢٨٣ ﻫ) ؛ والبحترى (٢٠٥ — ٢٨٤ ﻫ) ؛ وأبا العباس الانبارى م ٢٩٣ ﻫ ؛ وابن المعتز م ٢٩٦ ﻫ ؛ والبسامى م ٣٠٢ ﻫ ؛ والخبز أرزى م ٣١٧ ﻫ [٣] .

٣ — وفريق يقسمهم ثلاث طبقات : فيجعل فى الثالثة أبا تمام وديك الجن ودعبل وابن الجهم ؛ ويجعل فى الرابعة البحترى وابن الرومى ؛ وفى الخامسة ابن المعتز والبسامى [٤] ؛ وأنا أستحسن ذلك ؛ لان ابا تمام وطبقته ورثت مجد

---

(١) ٨٣ / ١ العمدة

(٢) ٨٣ / ١ العمدة

(٣) ٤٠٢ الادب العباسى لمحمود مصطفى ، ١٤٣ العصر العباسى للاسكندري

(٤) ٣٨٠ العصر العباسي للسباعي بيومي

القريض من أوائل القرن الثالث إلى نحو ثلثه الأول؛ وطبقة البحترى وابن الرومى تتلمذت على هذه الطبقة وظلت الى ما بعد عام ٢٨٠ هـ بقليل؛ وطبقة ابن المعتز تتلمذت على هاتين الطبقتين وشغلت الثلث الأخير للقرن الثالث كله على وجه التقريب؛ هذا من ناحية النشأة والتكوين الأدبى؛ أما من ناحية المذاهب الأدبية العامة فاننا نجد فى القرن الثالث اتجاهين مستقلين: اتجاها يجمع بين الشعر وشتى الثقافات وهو المنهج الذى سلكه أبو تمام؛ واتجاها يحتفظ للشعره بطابعه العربى القديم مع مسايرته للحضارة فى عذوبة ألفاظه وأساليبه وهو المنهج الذى كان يمثله البحترى

وبعد فقد كان ابن المعتز على رأس الطبقة الخامسة من شعراء المحدثين؛ ومن أشهر رجال هذه الطبقة: الناشىء م ٢٩٣ والبسامى م ٣٠٢ والخبز أرزى م ٣١٧ هـ وأبو بكر الحسن بن على المعروف بابن العلاف م ٣١٨ هـ وابن طباطبا العلوى الاصفهانى م ٣٢٢ هـ وسواهم من الشعراء.

وتمتاز هذه الطبقة بجمعها بين مذهبى أبى تمام والبحترى فى الشعر، فهى تتعمق فى المعانى والافكار الحديثة والثقافات العامة كما كان أبو تمام وابن الرومى وهى تحافظ على عذوبة الاسلوب وجماله وتوشيته بآثار الصنعة والترف وألوان البديع كما كان يفعل البحترى وسواه، وشعر شعراء هذه الطبقة ما عدا ابن المعتز يكاد يكون مفقودا مما يتعسر معه الموازنة بين ابن المعتز وسواه من رجال طبقته، وابن المعتز على أى حال زعيم هذه الطبقة ومكانته فى الشعر دفعت النقاد أو كثيرا منهم الى أن يضعوه مع أبى تمام والبحترى وابن الرومى فى طبقة واحدة، وفى الحق ان فن ابن المعتز فى الشعر فن رائع يصعد به الى مكانة كبيرة بين الشعراء الموهوبين ويرتفع به عن طبقته الى طبقة أبى تمام وصاحبيه.

واذا كان شعر طبقة ابن المعتز مفقودا كله أوجله، واذا كان ابن المعتز قد وضع فى الموازنة الادبية مع أبى تمام والبحترى وابن الرومى، فقد وجب علينا بصرف النظر عن طبقته التى آثرنا وضعه فيها أن ندرس ونحلل ونوازن بينه وبين هؤلاء الشعراء: حبيب وأبى عبادة البحترى وابن الرومى.

— ٣ —

وهذه موازنة ادبية جديدة بين هؤلاء الشعراء حيث سندرس كثيرا من الآثار الأدبية التى تجمعها وحدة واضحة فى الغرض أو فى الاتجاه ؛ لنكون من هذه الدراسة رأيا صحيحا فى أحكامنا الأدبيه على هؤلاء الشعراء وبالله التوفيق ومنه السداد :

١ — قال أبو تمام فى الغيث :

ديمة سمحة القياد سكوب   مستغيث بها الثرى المكروب
لو سعت بقعة لاعظام أخرى   لسعى نحوها المكان الجديب
لذ شؤبوبها وطاب فلو تستطيع   قامت فعانقتها القلوب
فهى ماء يجرى وماء يليه   وعزالى[1] تنشا وأخرى تذوب
كشف الروض رأسه واستسر   المحل منها كما استسر المريب
فاذا الرى بعد محل وجرجا   ن لديها يبرين أو ملحوب
أيها الغيث حى أهلا بمغدا   ك وعند السرى وحين تؤوب

وقال ابن الرومى :

سحائب قيست بالبلاد فألفيت   غطاء على أغواها ونجودها
حدتها النعامى مثقلات فأقبلت   تهادى رويدا سيرها كركودها
غيوث راى الامحال فيها حمامه   فرين حياة الارض بعد همودها
اظلت فقال الحرث والنسل هذه   فتوح سماء اقبلت فى سدودها
فأطفأ نيران الغليل مواطر   مضرجة نيرانها فى وقودها

وقال البحترى :

ذات ارتجاز بحنين الرعد   مجرورة الذيل صدوق الوعد

---

(١) جمع عزلاء : مصب الماء من الراوية ونحوها

مسفوحة الدمع بغير وجد | لها نسيم كنسيم الورد
جاءت بها ريح الصبا من نجد | فانتثرت مثل انتثار العقد
فراحت الارض بعيش رغد | من وشى انوار الربا فى برد

وقال ابن المعتز :

وغيث خصيب الترب تندى بقاعه | بهيم الذرى أثواب قيعانه خضر
رحيب كموج البحر يلتهم الربا | ويغرق فى أكلائه النعم الدثر
ألحت عليه كل طخياء ديمة | إذا ما بكت أجفانها ضحك الزهر
فما طلعت شمس النهار ضحية | ولا أصلا إلا ومن دونها خدر
كأن الرجاب الجون والفجر ساطع | دخان حريق لا يضىء له جمر

وقال أيضا :

وسارية لا تمل البكا | جرى دمعها فى خدود الثرى
سرت تقدح الصبح فى ليلها | ببرق كهندية تنتضى
فلما دنت جلجلت فى السما | ء رعدا أجش كجر الرحا
ضمان عليها ارتداء اليفاع | بأنوارها واعتجار الربا
فما زال مدمعها باكيا | على الترب حتى اكتسى ما اكتسى
فأضحت سواء وجوه البلاد | وجن النبات بها والتقى

فتجد لأبى تمام الأسلوب الجيد والتصوير الجميل والاستعارات الرائعة والمعانى المبتكرة والمبالغة المقبولة والشعور العميق بأثر الغيث فى الأرض وحاجة الأرض للماء .

ونجد ابن الرومى يصف الغيث بالكثافة والأطباق وكثرة الماء وحاجة الأرض اليه ، مع تقصير عن أبى تمام فى التصوير والوصف والأسلوب ، ومع اعتماد عليه وأخذ من معانيه كما تراه فى بيته الذى قبل الأخير .

ونجد للبحترى أسلوبه الجميل وصياغته الفنية ولكنك لا تحس بأثر لشخصيته

فيما وراء الاسلوب من معنى وتصوير وخيال ، بل هو فى ذلك مقلد كسواه من الكثير من الشعراء .

ولكنك تجد ابن المعتز قد ازدحمت فى أسلوبه الصياغه الفنية الدقيقة والصور الشعرية الكثيرة التى تغلب عليها روح الايجاز وجزالة الأسلوب فى قطعته الاولى وعذوبته فى الثانية مع جمال التشبيه والاستعارة والطباق وهو فى قطعته الثانيـة يقف بجانب أبى تمـام فى المعانى والتصوير وظهور أثر شخصيته الواضحة فى الاسلوب والتعبير .

٢ — وقال أبو تمـام فى ذكر فراق أحبابه له :

نسائلهـا أى المـواطن حلت	وأى بلاد أوطنتهـــا وأيت
وماذا عليها لو أشارت فودعت	الينا بأطراف البنان وأومت
وما كان إلا أن تولت بهـا النوى	فولى عزاء القلب لمـا تولت
فأما عيون العاشـقين فأسخنت	وأما عيون الكاشحين فقرت
ولمـا دعانى البين وليت إذ دعا	ولمـا دعاها طاوعته ولبت
فلما أر مثلى كان أوفى بعهـدها	ولا مثلها لم ترع عهدى وذمتى

ويقول فى موقف الوداع :

أما وقد كتمتهن الخدور ضحى	فأبعد الله دمعاً بعدها اكتتما
لما استحر الوداع المحض وانصرمت	أواخر الصبر إلا كاظما وجمـا
رأيت أحسن مرئى وأقبحـه	مستجمعين لى : التوديع والعنما
فكاد شوقى يتلو الدمع منسجما	إن كان فى الأرض شوق فاض فانسجما

وقال ابن الرومى :

لست أنسى امتنـاع صبرك للتو	ديع والبين مؤذن بشتات
وانحـدار الدموع كاللؤلؤ الرطـــب	هوى من مـدامع قرحات
والتفاتا نحوى وقد قبضتنى	عنك أيدى الفراق حال التفاتى
ومقالا جرى للشوق فى الأحشـــاء	نار أليمـة الحـــرقات

حاطك الله بالكلاءة والصنع ووقاك أعين العائدات

وقال البحترى :

ما أرى البين مخليا من وداع أنفس العاشقين حتى تبينا
وبود القلوب يوم استقلت ظعن الحى أن تكون عيونا
منزل هاج لى الصبابة والشو ق قرينى فيه فساء قرينا
يوم كان المقام فى الدار شكا يبعث الحزن والرحيل يقينا

وقال :

قد ارتك الدموع يوم تولت ظعن الحى ما وراء الدموع
عبرات ملء الجفون مرتها حرق للفراق ملء الضلوع
إن تبت وادع الضمير فعندى نصب من عشية التوديع

وقال ابن المعتز :

لا مثل من يعرف العشاق حبهم بل أنت من بينهم تشقى بمن تمق
نأوا بليل فزموا كل يعملة ويعمل جمل فى أنفه الحلق
إنى وأسماء والحى الذين غدوا بها على الكره من نفسى وما وثقوا
لكا لربيط وقد سيقت قرينته ينازع الحبل مشدوداً وينطلق
فطيروا القلب وجدا بين أضلعه وعذبوا النفس حتى ما بها رمق
ما أنس لا أنس إذ قامت تودعنا بمقلة جفنها فى دمعها غرق
تفتر عن مقلة حمراء موقدة تكاد لولا دموع العين تحترق
كأنها حين تبدوا من مجاسدها بدر تمزق أركانه الغسق

فتجد أبا تمام يتصرف فى المعانى المعروفة تصرفا حسنا ويصوغها صياغة قوية فيها صنعة كثيرة أظهرها المقابلة ، فهو فى البيت الاول يتساءل فى حزن عن الديار التى أمتها محبوبته مع بعض القبح فى تكرير « أى وأيت » إذ لا فائدة لهذا التكرار ولا جديد وراءه ، وفى البيت الثانى يتحسر لعدم توديع محبوبته له قبل

سفرها البعيد ولو باشارة عابرة بأطراف البنان ، ويصور فى الثالث حزنه لفراقها وكذلك فى الرابع إلا أنه يضيف فيه الى ذلك فرح خصومه بهـذا الفراق وفى البيتين الاخيرين يصور وفاءه لعهد الحب وخيانتها لهذا العهد المقدس؛ وكذلك هو فى أبياته الاخرى : معان واضحة معروفة يلم بها الشاعر فى كثير من تعقيده الفنى فى صياغته وصناعته الشعرية .

ولكنك تجد لابن الرومى تصويرا بارعا ، ينطق عن شعور صحيح بألم الوداع ، وإدراك صادق لاحزان الفراق ، وتأثر واضح بهذه الساعات الحافلة بالذكريات ، والتى يعز فيها على الأحباب الصبر، فتنحدر الدموع من عيونهم القرحات ، ويعزون أنفسهم بتتبع أبصارهم للحبيب الراحل حين رحيله ، وبالدعاء له بأن يحوطه الله بالرعاية ، وأن يحفظ عليه شبابه وجماله ، ويمنع عنه أذى الحاسدين والعائدات .

وينزل البحترى عن هذه الدرجة العالية التى بلغها ابن الرومى فى أبياته ، فهو لا يشعر إلا بما يشعر به سائر الناس وإن أوتى عذوبة التعبير وجمال الأداء ، بل إنه يخرج على أدب الحب فيعلن سخطه على حبيبه الراحل .

وابن المعتز يصل فى أبياته إلى درجة ابن الرومى ولكن يهبط به أنه لم يتناول موقف الوداع وتصويره ببساطة ابن الرومى وصدق تصويره ، ولكنه على أى حال فوق أبى تمام والبحترى فى قوة الشعور وتأجج العاطفة وظهور الشخصية ووضوح التصوير الذى يمتزج فيه الفن بالفكرة والشعور ويتراءى فى ثوب من العذوبة والترف لولا بيته الثانى الذى أضعفه بيعملته ويعمله الجمل كما يقول :

٣ — وقال أبو تمام فى الشيب :

لعب الشيب بالمفارق بل جـد فأبكى تماضرا ولعوبا
خضبت خدها إلى لؤلؤ العقد وما أن رأت شواتى خضيبا
كل داء يرجى الدواء له إلا الفظيعين : ميتـة ومشيبـا

يا نسيب الثغام ذنبك أبقى حسناتى عند الغوانى ذنوبا
ولئن عبن ما رأين لقد أنكرن مستنكرا وعبن معيبا
لو رأى الله أن فى الشيب خيرا جاورته الأبرار فى الخلد شيبا

وقال :

فلا يؤرقك إيماض القتير به فان ذاك ابتسام الرأى والأدب

وقال :

له منظر فى العين أبيض ناصع ولكنه فى القلب أسود أسفح

وقال ابن الرومى :

قالوا المشيب نذير ؛ قلت : لا وأبى لكن بشير يجلى وجهه الكربا
أليس يخبر من أرسى بساحته أن اللحاق بحب النفس قد قربا
ياحسن هاتيك بشرى عند ذى أسف على الشبيبة والعيش الذى نضبا
لم يرع حق شباب كان يصحبه من لم يحبب اليه فقده العطبا
لو لم يجب حفظه إلا بأن له حق الرضاع على إخوانه وجبا
أخى والفى وتربى كان مولدنا معا وربتنى الأيام حيث ربا
يضمنا حجر أم فى رضاعتنا وملعب حين ناغت بيننا اللعبا
ان الشباب لمألوف لصحبته تلك القديمة ، مبكى اذا ذهبا
والشيب مستوحش منه لغربته والشىء متوحص منه اذا غربا

وقال :

لا بدع ان ضحك القتير فبكى لضحكته الكبير

وقال :

قد يشيب الفتى وليس عجيبا أن يرى النور فى القضيب الرطيب

وقال البحترى :

عيرتنى المشيب وهى بدته فى عذارى بالصد والاجتناب

لا تريه عارا فما هو بالشيب ولكنه جلاء الشباب
وبياض البازى أصدق حسنا ان تأملت من سواد الغراب

وقال :

عذلتنا فى عشقها أم عمر هل سمعتم بالعاذل المعشوق
ورأت لمة ألم بها الشيب فريعت من ظلمة فى شروق
ولعمرى لولا الاقاحى لابصرت أنيق الرياض غير أنيق
أى ليل يبهى بغير نجوم أو سحاب يندى بغير بروق ؟

وقال ابن المعتز :

صدت شرير وأزمعت هجرى وصغت ضمائرها الى الغدر
قالت : كبرت وشبت ، قلت لها هذا غبار وقائع الدهر

وقال :

ان شيب الرأس نور الهموم

وقال :

قد أنكرت مشيبا عمر رأسى واستعر
يا هند ما شاب قلبي وانما شاب الشعر

وقال :

رات أقحوان الشيب لاح وأذنت ملاحات أيام الصبا بوداع
فقالت : محاك الدهر فى صبغة الصبا وكنت من الفتيان خير متاع

فتجد الصنعة تهجن من أبيات أبى تمام الأولى الثلاثة وتضع من قيمتها ثم تخف وطأة هذه الصنعة فى الثلاثة الأخيرة فتعجبك ، وتعجب بها وباحتجاجه للمشيب مع شعوره بالحزن منه .

ولكنك تجد عند ابن الرومى عمق شعور بالشباب وحزن عليه ووفاء له، وعمقا فى تصوير ذلك كله، يفوق كل حد، ويبلغ غاية الجمال، ويملك عاطفتك، ويستبد باستحسانك واستجادتك؛ مع تعليل للنفس فى بيته الأخير.

والبحترى فى أبياته يحاول إقناع حبيبته أم عمرو بالرضا بحالته ومشيبه، فاحتج بما أسعفه بيانه وتفكيره بالاحتجاج به، فى أسلوب مألوف ومعان قريبة؛ وبيته «وبياض البازى» قريب المعنى، إلا أنه جميل التصوير صارقه ساذج التفكير سهل الاستنباط.

وأما ابن المعتز فينهج نهج أبى تمام والبحترى ولكنه لا يصل إلى مكانة ابن الرومى فى تصوره وتصويره للشباب والمشيب.

٤ — وقال أبو تمام فى الربيع:

رقّت حواشى الدهر فهى تمرمر ... وغدا الثرى فى حليه يتكسر
يا صاحبى تقصيا نظر يكما ... تريا وجوه الأرض كيف تصور
تريا نهارا مشمسا قد شابه ... زهر الربا فكأنما هو مقمر
دنيا معاش للورى حتى إذا ... حل الربيع فإنما هى منظر
من كل زاهرة ترقرق بالندى ... فكأنها عين إليك تحدر
حتى غدت وهداتها ونجادها ... فئتين فى حلل الربيع تبختر
مصفرة محمرة، فكأنها ... عصب تيمن فى الوغي وتمضر

وقال ابن الرومى:

أصبحت الدنيا تروق من نظر ... بمنظر فيه جلاء للبصر
أثنت على الله بآلاء المطر ... فالأرض فى روض كأفواف الحبر
نيرة النوار زهراء الزهر ... تبرجت بعد حياء وخفر

تبرج الأنثى تصدت للذكر

وقال البحترى:

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا ... من الحسن حتى كاد أن يتكلما

وقد نبه النيروز فى غسق الدجى ... أوائل وردكن بالامس نوما
يفتقها برد الندى فكأنه ... ينث حديثا كان قبل مكتما
فمن شجر رد الربيع لباسه ... عليه كما نشرت وشيا منمنما
أهل فأبدى للعيون بشاشة ... وكان قذى للعين إذ كان محرما
ورق نسيم الريح حتى حسبته ... يجىء بأنفاس الاحبة نعما

وقال ابن المعتز :

انظر إلى دنيا ربيع أقبلت ... مثل النساء تبرجت لزناة
وإذا تعرى الصبح من كافوره ... نطقت صنوف طيورها بلغات
والورد يضحك من نواظر نرجس ... قذيت وآذن حيها بممات

ويقول :

أتاك الربيع بصوب البكر ... ورف على الجسر برد السحر
ونقرت الارض عن جوهر ... فمنتظم منه ومنتثر
وقد عدل الدهر ميزانه ... فلا فيه حر ولا فيه قر

فترى فى قطعة أبى تمام شعورا واضحا قويا بجمال الربيع وحياته ومناظره الفاتنة ، وأسلوبا باهرا رائعا قوى التعبير والتصوير .

وتجد كذلك عند ابن الرومى شعورا وتصويرا صادقين للربيع بالحياة والطبيعة فيه ، ولكنه ينزل عن أبى تمام فى سمو التعبير وجودته وروح الفن التى تشيع فى أبيات أبى تمام .

أما أبيات البحترى فجميلة عذبة ممتازة فى أسلوبها ولكن تنقصها الروح والحياة وقوة الشعور التى تتدفق فى أبيات أبى تمام وابن الرومى ، وتضعف من روح البحترى فيها قيود الصنعة التى تطغى عليه وتضعف من شعوره فيها .

وتجد عند ابن المعتز شعورا واضحا بالحياة وأسرار الطبيعة فى الربيع ، إلا أن أسلوبه ضعيف لا يبلغ أسلوب أبى تمام ، وأول أبياته مسروق من ابن الرومى .

٥ — ويقول أبو تمام فى الفرس :

أو أدهم فيـــه كمتة أمم كأنه قطعة من الغلس
مخلق وجهه على السبق تخليق [١] عروس الابناء للعرس
فهـو يسر الرواض بالنزق الساكن منه واللين والشرس
صهصلق [٢] فى الصليل تحسبه أشرج [٣] حلقومه على جرس

ويقول ابن المعتز :

وسابح مساح ذو ميعـة كأنه حريق نار تلتهب
تراه إن أبصرته مستقبلا كأنما يعلو من الأرض حدب
عارى النسا ينتهب التراب له حوافر باذلة ما ينتهب
تصافح الترب إذا ما ركضت لكنها مع الصخور تصطخب
تحسبه يزهى على فارسه وانما يزهى به اذا ركب
أسرع من لحظته اذا رنا أطوع من عنانه اذا جذب
يبلغ ما تبلغه الريح ولا تبلغ ما يبلغـه اذا طلب
ذو غرة قد شدخت جبهته وأذن مثل السنان المنتصب
وناظر كأنه ذو روعة وكفل ململم ضافى الذنب
ومنخر كالكير لم تشق به أنفاسه ولم يخنها فى تعب
قد خاض فى يوم الوغى فى حلة حمراء تسديها العوالى والقضب

فترى فى أبيات أبى تمام وصفا للفرس تطيف به الحوشية والغرابة لا سيما فى بيته الأخير

---

(١) التخلق : التلطيخ بالطيب
(٢) أى شديد الصوت
(٣) أي شد

أما أبيات ابن المعتز فتفوق ابيات ابى تمام لكثرة معانيها وقوة تصويرها والجدة فى أساليبها وجمال استعاراتها وتشبيهاتها الدقيقة مع المبالغة والعذوبة فى الفاظها وأسلوبها مما يظهر بوضوح امام النقد العادل النزيه .

٦ — واذا قرأت قطعة ابن الرومى فى وصف الاسد :

فما اسد جهم المحيا شتيمه[1] خبعثنة ورد السبال غضنفر

التى جمع فيها كثيرا من المعانى والاوصاف التى تصور خلق الاسد وقوته اوضح تصوير . ثم قرات قطعة البحترى فى الاسد .

غداة لقيت الليث والليث مخدر يحدد نابا للقاء ومخلبا

والتى الم فيها بطرف مما ذكره بشر بن عوانة فى رائيته فى الاسد[2] ، مع جمال فى الاسلوب وطلاوة فى السبك وجودة فى الصياغة وان كانت معانيها واضحة محدودة قريبة .

ثم قرأت قطعة ابن المعتز فى الأسد :

وما ليث غاب يهدم الجيش خوفه بمشية وثاب على النهى والزجر
يجر الى أشباله كل ليلة عقيرة وحش أو قتيلا من السفر
يزعزع احشاء البلاد زئيره ويبطل ابطال الرجال من الذعر

الى آخر هذه القطعة الرائعة .

وجدت ابن المعتز يربى على البحترى فيها بكثرة ما أتى به من معان ، ولكنه لا يصل الى ابن الرومى فى قطعته ، وجدته يحاول أن يعطيك صورة واضحة للأسد

---

(١) أى كريه

(٢) رواها البديع فى مقاماته ، وأولها :

أفاطم لو شهدت ببطن خبت وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا
إذا لرأيت ليثا أم ليثا هزبرا أغلبا لاقى هزبرا

وهى قصيدة من النمط العالى الذى لم يأت أحد بمثله

فى قوته وفزع الناس والبلاد منه ؛ فهو لا يجىء فيها سابقا ولا يلحق وانيا ، وانما يسير وراء قائد القافلة ورائد الركب موفور الاجادة والتصوير .

وبعد فهذه خاتمة موازناتنا المبتكرة بين هؤلاء الشعراء الخالدين ، وكم كنا نود أن يتسع المقام لتحليل أوسع وشرح أضفى وموازنة أدق ، ولكن هيهات وأنا مضطر أمام تشعب البحث وكثرة الدراسة فى هذه الكتاب أن أحذف الكثير ، وأكتفى بالقليل ، واستغنى بالاشارة ، واختصر فى العبارة ، حتى لا أطيل فوق ما أطلت .

الفصل السابع

ابن المعتز والشعراء الذين تأثروا به

- ١ -

وقد اتخذ كثير من الشعراء على مر العصور الادبية شعر ابن المعتز مصدرا أدبيا لهم ، يحتذون حذوه ، وينهجون نهجه ، ويتأثرون به فى نظم الشعر وفهم القريض ، وقد سبق ذكر كثير من المعانى التى أخذها عنه كثير من الشعراء الذين جاءوا بعده ، وسنحاول إكمال ذلك البحث الآن فى هذه الدراسة الموفقة باذن الله .

- ٢ -

ابن معتز الاندلس (٣٥٢ — ٤٠٠ ﻫ) :

فمن الشعراء الذين تأثروا به الامير الاندلسى أبو عبدالملك مروان بن عبدالرحمن ابن مروان بن عبد الرحمن الناصر الاموى ، وكان يلقب ابن معتز الاندلسى ، ويعرف بالطليق .

كان أديبا شاعرا مكثرا وأكثر شعره فى السجن ؛ قال أبو محمد بن حزم : هو فى بنى أمية كابن المعتز فى بنى العباس ، ملاحة شعر ، وحسن تشبيه

سجن وهو ابن ست عشرة سنه لأنه كان فيما ذكر يتعشق جارية كان أبوه قد رباها معه وذكرها له ، ثم بداله فاستأثر بها ، فاشتدت غيرة الشاعر لذلك ، فانتضى سيفا وانتهز فرصة من بعض خلوات أبيه معها فقتله فسجن فى أيام المنصور أبي

عامر محمد بن أبي عامر ، ومكث في السجن ستة عشر عاما ، ثم أطلق بعد ذلك فلقب الطليق لذلك ، وعاش بعد إطلاقه ست عشرة سنة، وتوفي نحو عام ٤٠٠ هـ

ومن مستحسن شعره :

غصن يهتز في دعص نقا ... يجتني منه فؤادي حرقا
أطلع الحسن لنا من وجهه ... قمرا ليس يرى ممحقا
ورنا عن طرف ريم أحور ... لحظه سهم لقلبي فوقا

ومن هذه القطعة :

أصبحت شمسا وفوه مغربا ... ويد الساقي المحيي مشرقا
فاذا ما غربت في فمه ... تركت في الخدمنه شفقا (١)

وقد حاولنا أن نعثر له على شيء سوى ذلك من أخباره وشعره فلم نجد فيما بين أيدينا من المصادر شيئا آخر عنه ولا من شعره ، مما يجعل الموازنة الأدبية بينه وبين شاعرنا ابن المعتز متعسرة، ومهما كان فعلى أبيات الأمير الأندلسي صبغة الجمال الفني والترف في الأسلوب والصنعة وحب التشبيه وعذوبة اللفظ وسلامة التركيب وكثرة الصور الفنية في شعره ، مما يشبه في ذلك شاعرنا ابن المعتز إلى حد كبير ، ومما استوجب أن يلقبه النقاد ابن معتز الأندلس ، الذى أشبهه حتى في النشأة والتكوين وظروف الحياة .

- ٣ -

تميم ابن المعز الفاطمي (٣٣٧ - ٣٧٤ هـ) :

ولد تميم في المغرب الذي قضى فيه وفي ظلال والده المعز الخليفة عهد شبابه

---

(١) راجع ترجمته في ص ٤٤٧ بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الاندلس للضبي وهو الجزء الثاني من المكتبه الاندلسية ، وتحمل ترجمته نمرة ١٣٤٣ ؛ وتجد بعض هذه الترجمة في هامش ١٨٦ / ٣ نفح الطيب للمقري ونشر فريد الرفاعي بتعليق الاستاذ أحمد يوسف نجاتي

وثقافته ، وأحب الأدب وعشق الشعر ونظم القريض ، متأثرا بالنهضة الشعرية التى كان يرعاها والده والتى كان من أبطالها ابن هانى الأندلسى شاعر المعز. ولتميم كثير من الآثار الشعرية التى نظمها فى المغرب وهى كلها مفقودة ؛ وهاجر تميم مع والده الى مصر عام ٤٦٢ وهو فى الخامسة والعشرين من عمره ، فبدأ فى مصر حياته الشعرية الحافلة ، وألهمته مصر ومبيئها الساحرة روائع الشعر، ثم توفى والده عام ٣٦٥ هـ ، وتولى أخوه نزار الخلافة وحرم تميم منها ، فأثر ذلك فى شعره وشعوره وفنه وعاطفته ، وبدا يشعر بمرارة الحرمان .» وظل كذلك حتى توفى عام ٣٧٤ هـ فى خلافة أخيه عن سبعة وثلاثين عاما .

كانت حياة تميم صورة لحياة ابن المعتز ، فكلا الشاعرين نشأ فى أسرة الملك وبيت الخلافة ، وشاهد وذاق فى صدر شبابه شتى ألوان الترف والنعيم ، كما ذاق فى صدر رجولته وما يليه من باقى أيام حياته ألوان الألم والحسرة لحرمانه من الخلافة ومجدها .

وكان هذا التشابه فى الحياة سببا للتشابه فى الروح والشاعرية والحياة الأدبية ، فقد كان تميم أشبه شىء بابن المعتز فى قوة الشاعرية وخصبها ، وكان يعجب بشعر ابن المعتز ويحتذى حذوه ويترسم خطاه ، بل كان يعده إمامه فى الشعر ونظمه ، فكان كما يقول الحصرى : « يحتذى مثال ابن المعتز ويقف فى التشبيهات بجانبه ويفرغ فيها على قالبه » [١] هذا مع اختلافهما فى الرأى والعقيدة فقد كان ابن المعتز سنيا عباسيا يدعو للعباسيين ويرد على خصومهم من شيعة وسواهم ، وكان تميم علويا فاطميا يتعصب لأسرته وللشيعة من الفاطميين ويذود عنهم ويناضل من ناوأهم بشعره ويراعه ، ولو كان هذا الذى يرد عليه أستاذه فى الشاعرية وفى الفن والادب ، ولو كان ابن المعتز نفسه .

وإذا كان تميم حرم مجد الخلافة فقد تبوأ عرش الأدب ، فكان شاعرا ماهرا لطيفا ظريفا ، يشعر بخلجات نفسه ونبضات قلبه ، ويصف حياته اللاهية من حب

(١) ١٨٣ / ٣ زهر

وعشق وهيام ومجون كما وصف حياته الحزينة بعد عصر الشباب بما فيها من آلام وأشجان وذكريات ؛ ويمتاز تميم بصدق الشعور ورقة الشعر وسلاسته ، حتى كان فى ذلك أستاذ البهازهير بعده كما يمتاز بسمو الخيال وطرافة الشعر وطرافة التشبيه وروعة التعبير ولا سيما فى أوصافه ؛ وله دايون مخطوط بدار الكتب وفى زهر الآداب كثير من المختارات من شعره (١) .

وبين الشاعرين من مظاهر التشابه فى الشعر والشاعرية كثير من السمات :

ا — فقد كان تميم يأخذ كثيرا من معانى شعر ابن المعتز :

قال ابن المعتز :

وكأن الصبح لما ... لاح من تحت الثريا
ملك أقبل فى تا ... ج يفدى ويحيا

فقال الوأواء :

وكأن الهلال تحت الثريا ... ملك فوق رأسه إكليل

وقال تميم :

والبدر منتصف ما بين أنجمه ... فكأنه ملك ما بين موكبه

وقال ابن المعتز :

حتى إذا هزم الأصباح ليلهم ... بعسكر من جنود النور مبثوث

فقال تميم :

وانظر إلى الليل كالزنجى منهزما ... والصبح فى إثره يعدو بأشهبه

---

(١) ١٨٣ — ١٩٠ / ٣ زهر ، وفى اليتيمة (٣٩٠ — ٣٩٧ / ١) ووفيات الاعيان (١٧٢ — ١٧٣ / ١) كثير من شعره

وقال ابن المعتز :

أما الظلام فحين رق قميصه وأرى بياض الفجر كالسيف الصدى

فقال تميم:

كأن عمود الصبح فى غرر الدجى صحيفة سيف قد تصدى من المهج

فالمشبه به عند ابن المعتز وهو السيف الصدى هو نفس المشبه به عند تميم ، وكذلك المشبه عند الشاعرين واحد وهو الظلام المشوب بضياء الصباح ؛ وفى بيت ابن المعتز جمال وحسن استعارة صورت المعنى بصورة أنست لها النفس وطرب بها الفؤاد وذلك قوله « رق قميصه » ، ولتميم أيضا حول هذا المعنى :

كأن سواد الليل والفجر طالع بقية لطخ الكحل فى الأعين الزرق

وقد أحسن فى هذا البيت ما شاء له الإحسان كما يقول الثعالبى [1]

وقال ابن المعتز :

وهلال السماء طوق عروس بات يجلى على غلائل سود

وقال :

وكأن الهلال نصف سوار والثريا كف تشير إليه

فيقول تميم :

وانجلى الغيم بعد ما أضحك الرو ض بكاء السماء فيه بوبل
عن هلال كصو لجان نضار فى سماء كأنها جام ذبل

ويقول :

وانجلى الغيم عن هلال تبدى فى يد الأفق مثل نصف سوار

---

(١) اليتيمة ١/ ٢٥٥

قال الثعالبي : وأحسن في هذا البيت ما شاء [1] .

وقال ابن المعتز في الثريا :

وقد لمعت حتى كأن بريقها قوارير فيها زئبق يترجرح

فيقول تميم :

كأن الثريا تحت حلكة لونها مداهن بلور على الأرض تضطرب

خالف ابن المعتز في المشبه به ولكنه لاحظ قصده من الشبه فصور الثريا بصورة مداهن تضطرب على الأرض من حيث صورها ابن المعتز بقوارير فيها زئبق يترجرح .

ب — وفي شعر تميم قصائد تأثر فيها بابن المعتز :

وذلك كما في قصيدته :

رب صفراء عللتني بصفرا ء وجنح الظلام مرخي الأزار

بين ماء وروضة وكروم ورواب منيفة وصحاري

فهي تشبه في روح الشاعرية والفن قصيدة ابن المعتز :

اسقني الراح في شباب النهار وانف همي بالخندريس العقار

وقد عارض تميم بقصيدته :

إذا فزع الشوق حب القلوب كواها بشدة تلهابها

قصيدة ابن المعتز في الطالبيين :

ألا من لعين وتسكابها تشكى القذى وبكاها بها

حـ — وكان تميم يحفل بالطبيعة ووصفها في شعره كابن المعتز ، وله في ذلك مقدرة فائقة لم تتح إلا للقليل من الشعراء ؛ وله خمريات أجاد فيها إجادته في الفخر والمدح وفي شكوى الزمان مما اشتهر به جميعه ابن المعتز ، وقصيدة تميم في العزيز :

---

(١) ٣٩٥ / ١ اليتيمة

جارية مرهفة القد ظالمة مظلومة الخد

تشبه فى سلالتها وعذوبتها وجمالها الفنى الرائع قصيدة ابن المعتز فى مدح المكتفى :

لا ورمان النهود فوق أغصان القدود

د — وهناك أبيات كثيرة تنسب للشاعرين وتوجد فى ديوانهما . وذلك مثل :

ألا سقيانى قهوة ذهبية فقد ألبس الآفاق جنح الدجى دعج
كأن الثريا والظلام يحفها فصوص لجين قد أحاط به سبج

فالبيتان فى ديوان ابن المعتز وفى ديوان تميم أيضا .

ومثل :

كأن البركة الغناء لما غدت بالماء مفعمة تموج
وقد لاح الدجى مرآة قين قد انصقلت ومقبضها الخليج

فهما فى ديوان ابن المعتز (١) وهما مع أبيات أخرى فى ديوان تميم فى وصف بركة الجيش وخليج بنى وائل ، وينسبان لأبى فراس (٢) أيضا .

- ٤ -

أبو فراس الحمدانى : (٣٢٠ — ٣٥٧ هـ)(٣):

شعره مثال الشعر القديم متانة وأسلوبا إلا أن عليه رواء الطبع وسمة الظرف وعزة الملك وقد تصرف فى أغلب فنون الشعر فأجاد ، إلا أن منزلته فى الفخر والاستعطاف والعتاب أعلى ، ورومياته أجل . وأدل على فضله .

---

(١) ص ٣٠٥ طبع بيروت

(٢) ٣٠٣ حلبة الكميت

(٣) راجع ٢٧ — ٧١ /١ اليتيمة ، ٢٢٤ — ٢٢٧ /١ وفيات

وكان كثير الفخر بنفسه وحسبه ، عزوفا عن اللهو والشراب والمجون ، « وأشعاره » كلها أوضاح وغرر وعقود فرائد ودرر » [١] ، وهو كما يقول الثعالبى فرد دهره وشمس عصره أدباً وفضلا وكرما ونبلا ومجداً وبلاغة. وشعره مشهور سائر بين الجودة والحسن والسهولة والجزالة والعذوبة والفخامة والحلاوة والمتانة مع رواء الطبع وسمة الظرف وعزة الملك

ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلا فى شعر ابن المعتز [٢] ؛ وكان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز ولا يجترىء على مجاراته .

وكان سيف الدوله يعجب جدا بمحاسن أبى فراس [٣] ، وشعره كله حسن لتناسبه وعذوبة مشارعه ولاسيما الروميات التى رمى بها هدف الاحسان وأصاب شاكلة الصواب [٤] .

وكان الصاحب يقول :

بدىء الشعر بملك وختم بملك يعنى امرأ القيس وأبا فراس [٥] .

وقال الشهاب :

قال الادباء بدىء الشعر بملك وختم بملك والأول امرؤ القيس فانه أول من هلهل الشعر وهذبه ونسج نسيبه ورتبه ، والثانى ابن المعتز فانه ممن أوتى جوامع الكلم نظما ونثرا وإنشاء وشعرا والعامة تقول كلام الملوك ملوك الكلام وقيل أبو فراس والأول أقرب [٦] .

---

(١) ٣٠٤ الريحانه الالبا

(٢) ١/٢٧ اليتيمة

(٣) ١/٢٧ اليتيمة

(٤) ١/٧٠ اليتيمة ؛ وقد أسره الروم عام ٣٥١ هـ ، وفودى عام ٣٥٥ ، وتوفى بعد ذلك بقليل عام ٣٥٧ هـ

(٥) ١/١٧٥ زهر ، ١/٢٧ اليتيمة ، ١/٧٢ العمدة ، ص ٢ ديوان أبى فراس

(٦) ٣٢٠ الريحانة

ويقول الثعالبي :

وأبو فراس يعد أشعر من ابن المعتز عند أهل الصنعة [١] .

وهذا رأى ينفرد به الثعالبي وحده والمنصفون من النقـاد لا يوازنون بين ابن المعتز وأبي فراس ولا يضعونهما في منزلة واحدة ، لكثرة تصرف ابن المعتز وفنونه وكثرة شعره ومعانيه وجودة صنعته وعلى الاخص تشبيهاته ، ولعـذوبة أسلوبه وجمال ألفاظه وامتزاج الطبع بالصنعة وشتى ألوانها فى شعره ، ولا يبذ أبو فراس ابن المعتز إلا فى متانة أسلوبه وجزالته غالبا ، ولعل الثعالبي إنما فضله من أجل هذه الجزالة والمتانة وحدها ، على أن أبا فراس قد ينزل بأسلوبه إلى درجة السوقية والضعف ، فالفخر وهو من الموضوعات التى تستدعى جزالة الاسلوب وقوته تجد أبا فراس يقول فيه :

سل عنى نساء بنى معد يقلن بما رأين وما سمعنه
ألست أمدهم لذوى ظلا وأوسعهم لدى الاضياف جفنه

الى آخر القصيدة [٢] فتجد أسلوبا بعيدا عن أساليب الفخر الجيدة ، وأبو فراس مقصر فى الغزل عن رتبة ابن المعتز وليس له شيء من الخمريات ، وطرده قليل جدا وأهم ما له فيه أرجوزته :

ما العمر ما طالت به الدهور العمـــر ما تم به السرور

وليس لشعره فى الرثاء ولا فى الحكمة والزهد قيمة تذكر ؛ وأقول أن حكم الثعالبي هذا جائر وغير مقبول .

وبعد فأبو فراس كان ينهج منهج ابن المعتز فى ملوكيته وفخره وظرفه ، وتأثره به واضح فى شعره

وهناك أبيات تنسب للشاعرين مثل :

---

(١) ٢٧ / ١ اليتيمة

(٢) راجع ١٤٣ ديوان أبى فراس

وسارية لا تمل البكا جرى دمعها فى خدود الثرى

وهى أول قصيدة فى ديوان ابن المعتز ، فأولها إلى قوله :

ومصباحنا قمر مشرق كترس اللجين يشق الدجى

ينسب لأبى فراس (١) .

ومثل البيتين :

كأن البركة الغناء لما بدت غدت بالماء مفعمة تموج

وقد لاح الضحى مرآة قين قد انصقلت ومقبضها الخليج

ينسبان لابن المعتز وهما فى ديوانه وينسبان لأبى فراس أيضا (٢) ، كما ينسبان لتميم بن المعز .

— ٥ —

ابن سناء الملك : (٥٥٠ — ٦٠٨ هـ) .

القاضى السعيد هبة الله ، وكان من أجلة الرؤساء والكتاب والشعراء والأدباء فى عصره ، كتب فى ديوان الانشاء مدة وكان بارع الترسل والنظم ، وهو صاحب كتاب الموشحات الذى سماه « دار الطراز » ، واختصر كتاب الحيوان للجاحظ وسماه روح البيان (٣) ؛ وكان ابن سناء كما يقول عن نفسه : « يجرى خلف ابن المعتز ويطلب مطالبه ويحتذى حذوه (٤) » ، وكان معجبا بشعر ابن المعتز إلى حد بعيد ، وبلغ من إعجابه به أنه كان يحتج بشعر ابن المعتز ليدفع عن نفسه الخطأ والتقصير فقد عاب القاضى الفاضل عليه قوله :

---

(١) ٣٢ الريحانة

(٢) ٣٠٣ حلبة الكميت

(٣) ص ١٠ روضة الادب فى طبقات شعر العرب لشهاب الدين الانصارى المصرى

(٤) ١٩ و ٢٠ ثمرات الأوراق لابن حجة

صلبني وهذا الحسن باق فرنا يعزل بيت الحسن بعد ويكنس

لقوله « يعزل ويكنس » ؛ فأجابه ابن سناء بأنه ما أوقعه فى الكنس إلا ابن المعتز فى قوله .

وقوامى مثل القناة من الخط وخــدى من لحيتى مكنوس

والسيد القاضى يعلم أنى لم أزل أجرى خلف هذا الرجل وأتعثر وأطلب مطالبه فتتعسر على وتتعذر ، ووجدت هذا المبدع السيد عبد الله بن المعتز يقول :

وقفت بالروض أبكى فقد مشبهه حتى بكت بدموعى أعين الزهر

لو لم أعرها دموع العين تسفحه لرحمتى لاستعارتها من المطر

وقال :

قدك غصن لا شك فيــه كما وجهك شمس نهاره جسدك

فوجدت طبعى إلى هذا الأمر مائلا فنسجت على هـذا الأسلوب وغلب على خاطرى مع علمى أنى المغلوب ، وقد نظمت تلك اللفظة فى الأبيات تقليدا لابن المعتز[1]، فأجاب القاضى الفاضل بأن ابن المعتز غير معصوم من الغلط ولا يقلد إلا فى الصواب فقط ، وقد علم (الأخ) مما ذكره ابن رشيق فى العمدة من تهافت طبعه وتباين وصفه ومخالفة وضعه فذكر من محاسنه مالا يعلق معه كتاب ومن بارده وغثه مالا تلبس عليه الثياب[2] . وكان ابن سناء مولعا بالخمر والشراب وسوى ذلك من اللذات وله شعر فى شتى فنون الشعر يتجلى فيــه السلاســة والطبع وحسن التصوير

— ٦ —

ابن خفاجة الأندلسى (٤٥٠ — ٥٣٣ هـ)

وهب ابن خفاجة نفسه للجمال وفكره للخيال والطبيعة للتى تنقل بين رباها وخمائلها ، وجال بين مروجها وجداولها ووقف عند كل مشهد من مشاهد الجمال والسحر فيها يتأنق فى وصفه ونظم الشعر فيه .

---

(١) ٨ : وما بعدها المرجع

(٢) ٢٠ / ١ ثمرات الاوراق ؛ وليس فى نسخة العمدة المطبوعة شىء من ذلك

فهو شاعر الطبيعة الذى صور جمالها في صورة مختلفة رائعة الأساليب وكان ينتقى الأساليب الجميلة والألوان الفاتنة ويدبجها بزخرف البديع ويوشيها بألوان المجاز والتشبيه ، «وكان يوازن بأبى تمام فى شعره ومذهبه ، وبابن العميد أو الهمذانى فى النثر والكتابة »[١] ، وهو يكثر من ألوان التصنيع الحسية فى شعره ويظهر فيها مهارة واسعة ويمزج بينها مزجا دقيقا وكان يكثر من الرسوم والصور فى شعره حتى قال ابن خلدون : « كان شيوخنا يعيبون شعر ابن خفاجة لكثرة معانيه وازدحامها فى البيت الواحد [٢] » يريد كثرة الصور وما يطوى فيها من خيالات معقدة ، ويقول المقرى فيه ؛ أديب الأندلس وشاعرها وأوحد الناس فى وصف الانهار والازهار والرياض والبساتين وكان يلقب صنوبرى الاندلس[٣] وقصيدته :

أما والتفات الروض عن أزرق النهر
وإشراق جيد الغصن فى حلية الزهر

قصيدة حافلة ويتجلى فيها مذهبه وصنعته وروحه .

قلد ابن خفاجة شاعرنا ابن المعتز فى صناعة الشعر وفى كثرة الصور الشعرية فى البيت وفى الاكثار من التشبيه وفى العناية بأوصاف الطبيعة وفى كثير من خصائص الشاعرية وسماتها الفنية مما هو معروف للباحثين والنقاد ومما يغنينا وضوحه عن الافاضة فيه .

* * *

ونضيف إلى ذلك كله ما سبق شرحنا له من أن المتنبي كان يغير على شعر ابن المعتز ومعانيه [٤] ؛ كما كان ابن وكيع المصرى م ٣٩٣ هـ يحتذى حذو ابن المعتز فى تشبيهاته وأوصافه وكذلك كشاجم والسرى والوأواء وسواهم من الشعراء «فلنكتف بهذه الاشارة عن الشرح والتحليل ولننتقل الى بحث آخر جديد

(١) ١٩١ بلاغة العرب فى الاندلس (٢) ٥٧١ مقدمة ابن خلدون
(٣) ٣٧٨ و ٣٨٨ / ٥ نفح الطيب نشر فريد رفاعي
(٤) راجع ١١٤ / ١ اليتيمة

الفصل الثـــامن

شعر ابن المعتز
وأثره فى الدراسات البيانية

وابن المعتز أكثر الشعراء الذين يستشهد بشعرهم فى دراسة البلاغة والبيان ، وأشعاره وخاصة تشبيهاته لها قيمة كبيرة فى هذه الدراسات وقد أكثر من تحليلها وشرحها فى إجادة عبد القاهر فى الأسرار .

ونحن نعرض أمامك جميع الشواهد من شعر ابن المعتز لنعلم إلى أى مدى كان لشعره هذه المنزلة الكبيرة فى الأدب والشعر والبيان .

١ — فبيته :

سالت عليه شعاب الحى حين دعا أنصـاره بوجوه كالدنانير

من خاصى الاستعارة ونادرها وقد أفاض عبد القاهر فى شرحه وتحليله وتبعه علماء البيان [١]

٢ — وكذلك من نادر الاستعارة وبديعها قوله :

وأذن الصبح لنا فى الأبصار .

، بخيل قد بليت به يـكد الوعد بالحجج
، يناجينى الأخلاف مـن تحت مطـله
فتختصم الآمال واليأس فى صـــدرى [٢]

---

(١) ٥٨ و ٥٩ دلائل الأعجاز ، ٣٩ و ٩ ، حسن التوصل إلى صناعة التوصل ، ٢١١ الا يضاح للقزوينى ؛ وقد ذكره عبد القاهر فى موضع آخر من الدلائل (ص ٧٨) يشير إلى أن بلاغته إنما هي في نظمه

(٢) ٦١ الدلائل

٣ — ويستشهد ببيته :

يا مسكة العطار وخال وجه النهار

، فظلت تدير الراح أيدى جآزر

عتاق دنانير الوجوه ملاح

على جمال أسلوب الاضافة بعد الاضافة فيه مع أن من شأن هذا الضرب أن يدخله الاستكراه (١)

٤ — ويذكر عبد القاهر بيته :

أثمرت أغصان راحته لجناة الحسن عنابا

ويجعله مثالا لنظرية أن الاستعار تزداد حسنا كلما زدت ارادتك التشبيه اخفاء (٢)

٥ — ويذكرون الاستعارة فى الفعل فى بيته :

جمع الحق لنا فى إمام قتل البخل وأحيا السماحا (٣)

٦ — والبيتان :

أصبر على مضض الحسو د فان صبرك قاتله

فالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله

من شواهد تشبيه التمثيل (٤)

٧ — ويذكر عبد القاهر فى بحث التشبيه وأثره قول ابن المعتز :

بدلت من يوم كظل حصاة ليلا كظل الرمح غير موات

---

(١) ٨٢ دلائل ، ٧ الايضاح (٢) ٣٤٦ دلائل ، ٣٠ حسن التوسل

(٣) ٤٠ أسرار البلاغة ، ٣١ حسن التوسل ، ٢١٦ الايضاح

(٤) ١٤٨ المفتاح ، ١٧٩ الايضاح

ويصور [١] فضله على قولهم : «ايام كأباهيم القطا » [٢]

٨ — والبيتان :

ولا زوردية تزهو بزرقتها   بين الرياض على حمر اليواقيت
كأنها فوق قامات ضعفن بها   أوائل النار فى أطراف كبريت

من شواهد التشبيه [٣]

ويطيل عبد القاهر فى شرح بلاغة البيتين وأنهما أبلغ من تشبيه النرجس بمداهن الدر فى قوله .

كأن عيون النرجس الغض حولنا   مداهن در حشوهن عقيق

للبعد بين طرفى التشبيه [٤] ، وهما فى الديوان برواية تختلف قليلا عن هذه الرواية [٥] ، وينسبان لابن الرومى [٦] ، ولأبى العتاهية أيضاً .

٩ — ومن شواهد التشبيه أيضا قوله .

وكأن البرق مصحف قار   فانقباضاً مرة وانفتاحا [٧]

ويشرح عبد القاهر البيت وبلاغته لشدة الائتلاف مع شدة الاختلاف بين طرفى التشبيه [٨] .

---

(١) ١٠٧ الاسرار

(٢) لجرير :

ويوم كابهام القطاة مزين   إلى صباه غالب لى باطله

وذكر أعرابى حبيبة له فقال : ماكانت أيامى معها إلا كاباهيم القطا قصرا (٣٤ أخبار النساء لابن الجوزية) وبيت ابن المعتز فى ديوانه هكذا :

أزلت من ليل كظل حصاة   ليلا كظل الرمح وهو موات

(٣) ١١٠ الاسرار ، ١٧١ الايضاح ، ١٤٦ المفتاح ، ٥٣ المصباح لابن مالك

(٤) ١١٠ الاسرار   (٥) ٣٠٤ ديوان ابن المعتز

(٦) ١٥٣ / ١ معاهد التنصيص

(٧) ١٣١ الاسرار ، ١٦٤ و ١٦٨ الايضاح ، ١٤٤ /١ معاهد التنصيص

(٨) ١٣١ وما بعدها الاسرار ، واشار عبد القاهر إلى ذلك مرة أخرى (١٥٩ الاسرار) ، وعد البيت من غريب التشبيه ومثله عنده فى ذلك قوله :

بلفظ يأخذ الحرف المحلى   كأن سطوره أغصان شوك (١٣٦ الاسرار)

١٠ — ومن شواهد التشبيه أيضا قوله .

كأن الثريا فى أواخر ليلها تفتح نور أو لجام مفضض [١]

وكذلك قوله .

فجاءت بها فى كأسها ذهبية لها حدق لم تتصل بجفون

وهو من دقيق التفصيل فى التشبيه ، وكذلك قوله فى البازى :

ومقلة تصدقه إذا رمق كأنها نرجسة بلا ورق

وقوله .

تكتب فيه أيدى المزاج لنا ميمات سطر بغير تعريق [٢]

ومن التفصيل فى التشبيه أيضا قوله .

والصبح تحت الليل باد كطرف أشهب ملقى الجلال [٣]

وكذلك قوله .

وحمل آذريونة فوق خده كـكأس عقيق فى قرارتها مسك

وقوله :

كأن آذريونها والشمس فيها كالية
مداهن من ذهب فيها بقايا غالية [٤]

ومن بليغ شواهد الاستقصاء فى التفصيل فى التشبيه قوله .

---

(١) ١٨١ الاسرار ، ويشرح عبد القاهر هذا التشبيه فى ص ١٤٦ الاسرار أيضا

(٢) راجع ١٤٤ و ١٤٥ الاسرار

(٣) ١٤٧ الاسرار ، ١٧٧ الايضاح

(٤) ١٥٣ الاسرار ، ١٨٧ الايضاح

كأنا وضوء الصبح يستعجل   نطير غرابا ذا قوادم جون (١)

وقوله : والشمس كالمرآة فى كف الأشل (٢) وهو من التشبيه الذى اقترنت فيه هيئه الحركة بغيرها من الاوصاف كالشكل واللون ، وهو من التشبيهات الغريبة لقلة رؤية العيون له (٣) .

١١ — ومن شواهد التشبيه أيضا قوله :

وتوقد المريخ بين نجومها   كبهارة (٤) فى روضة من نرجس (٥)

وقوله :

والصبح فى طرة ليل مسفر   كأنه غرة مهر أشقر (٦)

وقوله :

أدهم مصقول ظلام الجسم   قد سمرت جبهته بنجم

وقوله :

وأنهار ماء كالسلاسل جرت   لترضع أولاد الرياحين والزهر (٧)

وقوله :

لدى نرجس غض وسرو كأنه   قدود جوار ملن فى أزر خضر (٨)

وقوله :

تسقى بأنهار مفجرات   مثل السيوف المتقربات (٩)

وقوله :

---

(١) ١٥٤ الاسرار ، ١٨٤ للايضاح

(٢) ١٥٧ الاسرار ، ١٦٣ و ١٧٦ الايضاح ، ١٤٤ / ١ معاهد التنصيص

(٣) ١٦١ الأسرار   (٤) واحده البهار ، وهو نبت طيب الرائحه

(٥) ١٨١ أسرار   (٦) ١٨٢ المرجع

(٧) ٢٥٠ المرجع   (٨) ١٨٣ المرجع

(٩) ١٨٥ أسرار . وهو شبيه بقول ابن الرومى :

على حفافى جدول مسجور   كمثل متن الصارم المشهور

وتراه يصغى فى القناة بكفه نجما ونجما فى القناة بجره

ومثله سواء قوله :

كأنما الحربة فى كفه نجم دجى شيعه البدو [١]

وقوله :

ولاحت الشعرى وجوزاؤها كمثل زج جره رامح [٢]

وقوله :

فخلت الدجى والفجر قد مد خيطه رداء موشى بالكواكب معلما

وقوله فى معناه :

والليل كالحلة السوداء لاح به من الصباح طراز غير مرقوم [٣]

وقوله :

وكأن الشمس المنيرة دينا رجلته حدائد الضراب [٤]

وقوله يشبه حركة الخباء بحركة الطائر المقصوص :

ورفعنا خباءنا تضرب الر يح حشاه كالجاذف المقصوص [٥]

١٢ — ومن شواهد حسن التعليل قوله :

قالوا اشتكت عينه فقلت لهم من كثرة القتل نالها الوصب
حمرتها من دماء من قتلت والدم فى النصل شاهد عجب [٦]

١٣ = ومن شواهد الادماج [٧] قوله فى الخيرى .

---

(١) ١٨٧ الأسرار (٢) ١٨١ المرجع
(٣) ١٩٣ الاسرار ، والبيت الآخير من شواهد الايضاح أيضا (١٧٤ الايضاح)
(٤) ١٩٣ وما بعدها الاسرار (٥) ١٩١ الاسرار
(٦) ٢٤٤ أسرار ، ٢٤ إيضاح ، ١٦ و ٢/١٧ معاهد التنصيص
(٧) هو أن يضمن كلام سيق لمعنى معنى آخر

قد نفض العاشقون ما صنع الهجر بألوانهم على ورقه بالصفرة فأدمج الغزل في الوصف (١).

١٤ — ومن شواهد التلميح (٢) قوله :

أترى الجيرة الذين تداعـوا　　عند سير الحبيب وقت الزوال
علمـوا أنى مقيم وقلبي　　راحـل فيهم أمام الجمال
مثل صاع العزيز فى رحل القوم　　ولا يعلمون ما فى الرحال (٣)

١٥ — ومن شواهد التوشيع (٤) قوله :

سقتنى فى ليـل شبيه بشعرها　　شبيهة خديها بغـير رقيب
فما زلت فى ليلين : بشعر وظلمة　　وشمسين: من خمر وخد حبيب (٥)

١٦ — ومن شواهد التكميل ويسمى الاحتراس ، وهو أن يؤتى فى كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه ، قول ابن المعتز :

صببنا عليهـا ظالمين سياطنـا　　فطارت بها أيد سراع وأرجل (٦)

١٧ — ومن شواهد الاعتراض قوله :

---

(١) ٢٦٨ الايضاح ، ٤١ / ٢ معاهد التنصيص .
ولعضد الدولة فى الخيرى :

كان أوراقه فى القد أجنحه　　صفر وحمر وبيض من دنانير

(٢) هو أن يشار إلى قصة أو شعر من غير ذكره

(٣) ٢٩٩ الايضاح . ونسب الثعالبي الابيات للخباز البلدى الشاعر (١٩٠ / ٢ اليتيمة)

(٤) هو أن يؤتى فى عجز الكلام بمثنى مفسر باسمين أحدهما معطوف على الآخر

(٥) ١٤١ الايضاح ، ونسب صاحب العقد البيت الثانى لابن المعتز « ١٣٢ / ٤ » ، ونسبهما الثعالبي لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر « ١٠٥ خاص الخاص »

(٦) ١٤٥ إيضاح ، وعده بن رشيق من باب المبالغة (٥٢ / ٢ العمدة) . ويذكر البيت نفسه فى باب الحشو (٦٥ / ٢ العمدة) ، ويقول الحصرى : « ظالمين » أبدع حشو جرى فى بيت (٢٦ جـ ٢ زهر)

إن يحيي - لا زال يحيي - صـديقي
وخليلي من دون هـذا الأنام (١)

١٨ - ويذكر بيت ابن المعتز :

فأنتم بنو بنته دوننـا ونحن بنو عمـه المسلم

شاهدا لنوع من الأيغال يسمى الاستظهار ، بقوله « المسلم » استظهار ، لأن العلويين من بنى عم النبي أيضا أعنى أبا طالب ، ولكنه مات جاهليا ، فكأن ابن المعتز أشار بحذقه إلى ميراث الخلافة (٢)

١٩ - ومن شواهد التكرار قوله :

لسـانى لسرى كتوم كتوم ودمعى بحبي نمـوم نموم (٣)

ومن شواهد التفريع قوله :

كلامـه أخدع من لحظة ووعده أكذب من طيفـه

فبينما هو يصف خداع كلامه خرج فيه ووصف كذب وعده وقوله أيضا .

حتى إذا صب المـزاج تبسمت عن ثغرهـا لحسبتها من ثغره (٤)

ومن شواهد تجاهل العارف قوله :

وسكرت لا أدرى أمن خمر الهوى أم كأسه أم فيـه أم عينيه (٥)

ومن شواهد جمع المؤتلف والمختلف قوله (٦)

والله ما أدرى بكنه صفاته ملك القلوب فأوبقت فى أسره
أبو جهـه أم شعره أم ثغره أم نحـره أم ردفه أم خصره

---

(١) ١٨١ المفتاح
(٢) ٥٧ / ٢ العمدة ، ٩٩ حسن التوسل
(٣) ٥٧ / ٢ العمدة ، ١٠٥ المصباح
(٤) ١٠١ المصباح ، والبيت الاول فى ٣٨٥ / ٤ حاشية السبكى أحدى حواشى شروح التلخيص
(٥) ٣٨٩ صناعتين
(٦) ٣٩٤ صناعتين

ومن شواهد الاستطراد قوله :

يا ليت لى من جلد وجهك رقعة   فأقد منهـــا حافرا للأشهب (١)

وهو من قول أبى تمام :

أيقنت إن لم تثبت أن حافره   من صخر تدمر أو من وجه عثمان

وقول البحترى :

ما إن يعـــاف قذى ولو أودته   يوما خلائق حمديه الأحـــول

وبعد فشعر ابن المعتز ثروة كبيرة فى الدراسات البيانية ، وقل أن نجد لشاعر من الشعراء مثل ما له من كثرة الشواهد فى هذا الباب .

---

(١) ٣٩٠ صناعتين

الفصل التاسع

معارضات ابن المعتز — أبياته المشهورة — شعر ينسب له ولغيره

— ١ —

معارضات

لابن المعتز قصائد تأثر فيها بالشعراء قبله أو عارضهم بها ، ونحن نعرض عليك ألوانا من ذلك فى هذا البحث :

١ — قصيدة ابن المعتز :

سقيا لدار بنهر الكرخ من دار ... تركت فيها لبانا وأوطارى
كم فيك يا دار من عصر لهوت به ... يا ليته لى من عمرى بأعصار
يرون فيها الظباء الأدم سانحة ... يشبهن شرا بأعناق وأبصار
ثم التفت إلى شيبى فذكرنى ... حلمى فأبت إلى يأس وإقصار

ثم يصف كلاب الصيد وصفا دقيقا (١)

وهذه القصيدة شبيهة فى روحها وبعض معانيها بقصيدة النابغة :

عوجوا فحيوا النعم دمنة الدار ... ماذا تحيون من نؤى وأحجار

٢ — قصيدة ابن المعتز :

---

(١) ٢٦٦ ديوان ابن المعتز

حث الفراق بواكر الأحداج وسقاك يوم نأوا بكتم شاجى
هل غير إمساك بأطراف المنى فيها لطالب خلة أو راجى

ومنها :

وإذا المنية أخرت أيامها فالحى من شرك العداوة ناجى

وهى على نمط قصيدة جرير فى الحجاج :

هاج الهوى بفؤادك المهتاج فانظر بتوضح باكر الأحداج (١)

وتتشابه القصيدتان فى جزالتهما والغزابة التى تغلب عليهما وفى روح الشاعرية ومنهج الشاعرين .

٣ — قصيدة ابن المعتز :

أمكنت عاذلتى من صمت أباء ما زاده النهى شيئا غير إغراء

وقد عارض بها قصيدة الحسين بن الضحاك .

بدلت من نفحات الورد بالآء (٢) ومن صبوحك در الأبل والشاء (٣)

٤ — وقصيدته :

بان الخليط ولم تطق صبرا ووجدت طعم فراقهم مرا
قالت لأتراب خلون بها وبكت فبلل دمعها النحرا
ما باله قطع الوصال ولم يسمح زيارة بيتنا شهرا
حتى طرقت على مخاطرة أطأ الصوارم والقنا السمرا

الى آخر القصيدة التى تظهر لك فيها بوضوح روح التأثر بعمر بن أبى ربيعة فى تهالكه الى حد كبير .

---

(١) راجعها فى ٣٣ / ١ ديوان جرير
(٢) ثمر شجرة يأكله النعام وتسمى المرخة
(٣) راجع ٨٢./٤ وما بعدها مختارات البارودى

٥ — وقصيدته :

شجاك الحى إذ بانوا فدمع العين تهتان

ومنها :

جزينا الأمويين ودناهم كما دانوا

فيها روح التأثر بقصيدة الفند الزمانى فى حرب البسوس :

صفحنا عن بنى ذهل وقلنا القوم إخوان

ومنها :

فلما صرح الشر فأمسى وهو عريان
ولم يبق سوى العدوا ن دناهم كما دانوا
مشينا مشية الليث غدا والليث غضبان
وبعض الحلم عند الجهل للذلة إذعان
وفى الشر نجاة حين لا ينجيك إحسان (١)

٦ — قصيدته :

هاتيك دارهم فعرج وأسأل مقسومة بين الصبا والشمأل

ومنها :

ولرب قرن قد تركت مجدلا جزرا لضارية الذئاب العسل
عهدى به والموت يخفر روحه وبرأسه كفم الفنيق الأهزل

فيها روح التأثر الواضح بلامية عنترة المشهورة .

٧ — وقصيدته :

لقد صاح بالبين الحمام الصوادح وهاج لك الشوق الحمول الروائح

---

(١) تجدها فى ١٥ /١ شرح مختصر ديوان الحماسة

ومنها :

وقيدها بالنصل خرق كأنه إذا جد لولا ما جنى السيف مازح

على نمط قصيدة لعتبة بن بجير يقول منها :

فقام أبو ضيف كريم كأنه وقد جد من فرط الفكاهة مازح
الى جذم مال قد نهكنا سوامه وأعراضنا فيه بواق صحائح

الخ وتجدها فى الحماسة .

٨ — وقصيدته :

لما ظننت فراقهم لم أرقد وهلكت إن صح التظنن أوقد

ومنها :

ما أسرع التفريق إن عزموا غدا لا شك أن غدا قريب الموعد
وجرت لنا سنحا جآذر رملة تتلو المها كاللؤلؤ المتبدد
قد أطلعت إبر القرون كأنها أخذ المراود من سحيق الأثمد
أشباه آنسة الحديث خريدة كالشمس لاقتها نجوم الأسعد

واضحة التأثر البعيد بدالية النابغة :

من آل مية رائح أو مغتدى عجلان ذا زاد وغير مزود

والتى يقول فيها :

زعم العوازل أن رحلتنا غدا وبذاك تنعاب الغراب الأسود

٩ — وقصيدته :

وقمت الى الكوم الصفايا بمنصلى فصيرتها مجدا لقوى وأحسابا

ومنها :

فجئت على ضوء ورقبة غائر أحاذر حراسا غضابا وحجابا

على نمـــط شعر امرىء القيس ، وفيها فخر بقرى الضيف ، وبالبـــكور على الأفـراس للصيد وزيارة الأحباب على خوف ورقبة غائر ، وبشرب الراح المعتقة وسماع الغناء الجميل ؛ وهو النهج الذى كان يسير عليه امرؤ القيس فى قصائده .

– ٢ –

ما ينسب له ولغيره .

وهناك شعر ينسب لابن المعتز والشعراء آخرين : فتجد بعض أبيات فى ديوان ابن المعتز وهى مع ذلك تروى لغيره الشعراء ، وسأذكر من ذلك مثلا تؤيد ما أقول

١ – يروى لابن المعتز فى مغن :

لا يمد الصوت فيه نفور … لا ولا يقطعه منه بهر
فبهذا قد أسغت حياة … طعمها لولا التعلل مر

وينسبان لابن الرومى .

٢ – ويروى لابن المعتز :

بلوت أخلاء هذا الزمان … فأقللت بالهجر منى نصيبى
فكلهم إن تصفحتهم … صديق العيان عدو المغيب

والبيتان يرويان للمعتز والد شاعرنا عبد الله [١] .

٣ – والبيتان .

كأنى عانقت ريحانة … تنفست فى ليلها البارد
فلو ترانا فى قميص الدجى … حسبتنا فى جسد واحد

---

(١) ٤٩ الكشكول

لابن المعتز ، ويرويان لخالد الكاتب [١] .

٤ — ولشاعر ويقال لابن المعتز .

رأين الغوانى الشيب لاح بمفرقى فأعرضن عنى بالخدود النواضر

والبيت فى البيان والتبيين منسوب للعتبى [٢] .

٥ — ويروى لابن المعتز .

ورازقى مخطف الخصور كأنه مخازن البلور

الأبيات [٣]، وتروى لابن الرومى [٤] .

٦ - سقتنى فى ليل شبيه بشعرها شبيهة خديها بغير رقيب

فبت ولى ليلان بالشعر والدجى وشمسان من خمر ووجه حبيب

يرويان لابن المعتز [٥] . وينسبان لابن أبى طاهر [٦] ، ولسواه

٧ - غدير ترجرج أمواجه هبوب الرياح ومر الصبا

هما لابن المعتز وفى ديوانه [٧]، وقيل هما لابن وكيع فى الشمس على الماء[٨]

٨ - وسارية لا تمل البكا جرى دمعها فى خدود الثرى

الأبيات، وهى لابن المعتز [٩] ، وتروى لأبى فراس(١٠)

٩ - تخفى الزجاجة لونها فكأنها فى الكف قائمة بغير إناء

---

(١) ١٧٢ ديوان الصبابة لابن حجلة ، ٢١٧ تزيين الاسواق

(٢) ١٣٩ /٢ البيان (٣) ١٠ فصول التماثيل

(٤) ديوان ابن الرومى ، ١٠ /٢ زهر ، ٣٧ /٢ ديوان المعانى

(٥) راجع : ديوانه ، ٢٢٧ /١ الامالى ، ١٥ /٣ زهر .

(٦) ٣٤٤ /١ ديوان المعانى (٧) ص ٣٠٠ (٨) ٣٣٣ حلبة الكميت

(٩) ص ٥ دوانه (١٠) ٣٢٤ الريحانة

لابن المعتز [١] ، وينسب لأبى تمـام [٢] ، وللبحترى [٣]

١٠ - ومهفهف عقد الشراب لسانه ... لحديثه بالرمز والإيماء
حركته بيدى وقلت له انتبه ... يا فرحة الخلطاء والندماء

الأبيات ، وهى لابن المعتز [٤] ، وتنسب لأبى نواس [٥]

١١ - ولازوردية تزهو بزرقتهـا ... بين الرياض على حمر اليواقيت
كأنها فوق قامات ضعفن بهـا ... أوائل النار فى أطراف كبريت

لابن المعتز وتنسب لأبى العتاهية ؛ وتنسب لابن الرومى [٦] أيضا

١٢ - وحبب أوطان الرجال إليهم ... مآرب قضاها الشباب هنالكا
إذكروا أوطانهم ذكـرتهم ... عهود الصبا فيها فحنوا لذلـكا

تنسب لابن المعتز [٧] ، وتنسب لابن الرومى وهى فى ديوانه

١٣ - أطال الدهر فى بغداد همى ... وقد يشقى المسافر أو يفوز
ظللت بهـا على كره مقيما ... كعنين تعانقــه عجوز

لابن المعتز [٨] ، وتنسب لابن الرومى [٩] .

١٤ - كأن الثريا هودج فوق ناقة ... يحث بها حاد إلى الغرب مزعج
وقد لمعت حتى كأن بريقها ... قوارير فيها زئبق يترجرج

لابن المعتز [١٠] ، وتنسب لأبى القاسم التميمى [١١]

١٥ - كأن البركة الغنــاء لمـا ... غدت بالمـاء مفعمة تموج
وقد لاح الضحى مرآة قين ... قد انصقلت ومقبضها الخليج

---

(١) راجع كتاب فصول التماثيل وديوانه — (٢) ص ٣ ديوان أبى تمام
(٣) ص ٥ و ١٢٩ الموازنة ، وديوان البحترى
(٤) ٢٠٧ ديوانه ، ٤٦٣ /١ وفيات الاعيان
(٥) ١٢٥ ديوان أبى نواس — (٦) ١٤٣ /١ معاهد التنصيص
(٧) ٢١٢ المنتحل للثعالبى — (٨) ٣١٩ ديوانه
(٩) ١١١ داوان ابن الرومى
(١٠) ٣٠٥ ديوانه — (١١) ٣٤٦ حلبة الكميت

لابن المعتز [١] ، وتنسب لأبى فراس [٢]

١٦ - فليس للهم إلا شرب صافية ... كأنها دمعة من عين مهجور

لابن المعتز كما فى ديوانه ، ويروى لأبى نواس [٣]

١٧ - وتحت زنانير شددن عقودها ... زنانير أعكان معاقدها السرر

لابن المعتز وينسب لابى نواس (٤)

١٨ - قالوا اشتكت عينه فقلت لهم ... من كثرة القتل نالها الوصب
حمرتها من دماء من قتلت ... والدم فى النصل شاهد عجب

لابن المعتز وتروى لابن الرومى [٥] .

١٩ - وحمراء قبل المزج صفراء بعده ... أتت بين ثوبى نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا ... عليها مزاجا فاكتست لون عاشق
فقم واغتنم واشرب على كل روضة ... وفى كل بستان وبين الحدائق
فما العمر إلا صحة وشبيبة ... وكأس وقرب من حبيب موافق
ومن عرف الأيام لم يغترر بها ... وبادر باللذات قبل العوائق

لابن المعتز [٦] ، والبيتان الأولان يرويان لابن دريد [٧] .

٢٠ - وكأس كمصباح السماء شربتها ... على قبلة أو موعد بلقاء

لابن المعتز كما فى ديوانه، وينسب لأبى نواس [٨] .

---

(١) ٣٠٥ ديوانه ، ٣٠٣ حلبة الكميت

(٢) ٣٠٣ حلبة

(٣) ٦١ على السفود للرافعى

(٤) العمدة و ٤٥ /٢ زيدان ، ٢٣٧ الآدب العباسى لمحمود مصطفى

(٥) ٣٨٧ الآدب العباسى لمحمود مصطفى

(٦) ١٤٣ حلبة الكميت

(٧) ٤٨ /١ ثمرات الاوراق ، ٧٠ /١ ديوان الصبابة لابن حجلة بهامش تزيين الاشواق ط ١٣٢٨ ، ووفيات الاعيان

(٨) ٨٥ فصول التماثيل ، ديوان أبى نواس

٢١ ـ وذكر ابن رشيق أبياتا للعباس بن الأحنف وقال إن شيخنا رواها لابن المعتز[١] .

ـ ٣ ـ

أبياته المشهورة :

ولابن المعتز أبيات كثيرة مشهورة نذكر بعضها :

قال ابن المعتز :

وكان ماكان مما لست أذكره ... فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

وهو بيت سائر رائع :

، فأمامي المر من عمري ... وورائي منه ما طابا

ويقول :

والصبا ممتلىء ... حاجة وأملا

، وما خفنا من الناس ... وهل في الناس إنسان ؟

، حظ مضى ماكنت أعرف قدره ... حتى انتهى فعرفته حين انتهى

ومثله قوله أيضا :

عجبا للزمان من حالتيه ... وبلاء دفعت منه اليه

رب يوم بكيت منه فلما ... صرت في غيره بكيت عليه[٢]

، أم الكرام قليلة الأولاد :

، قالوا جننت بلا شك فقلت لهم ... ما لذة العيش إلا للمجانين

، ما زال صرف الزمان يقسمنا ... على المسرات والمساءات

خلقت في شر عصبة خلقت ... أثكلنيها رب السموات

---

(١) راجع ٨١ / ٢ العمدة

(٢) هو من قول إبراهيم بن العباس الصولي :

سقياد رعيا لايام لنا سلفت ... بكيت منها فصرت اليوم أبكيها

كذاك أيامنا لا شك نند بها ... إذا تقضت ونحن اليوم نشكوها

يلقون ذا الفقر بالقطوب وذا الوفر بلبيك والتحيات

ويقول :

إنى غريب بدار لا كرام بها كغربة الشعرة السوداء فى الشمط

، أخذت من شبابى الأيام وتولى الصبا ، عليه السلام

، إن للمكروه لذعة شر فاذا دام على المرء هانا

، والشيخ فى لذاته مستنكر الحركات

، إن الزمان اذا جربت خلقته مقسم الأمر بين الصفو والكدر

، ويقول فى المشيب :

نور الرؤوس واللحى وظلمة القلوب

ويقول :

قد ملىء الزمان بالعجائب وارتفع المنسم فوق الغارب

عذ بالكفاف عن رجاء كاذب

، إذا كنت فى ثروة من غنى فأنت المسود فى العالم

وحدثنى يا سعد عنهم فزدتنى جنونا ؛ فزدنى من حديثك يا سعد

، رب أمر تتقيه جر أمر ترتجيه

خفى المحبوب منه وبدا المكروه فيه

فاترك الدهر وسلمه إلى عدل يليه

ويقول :

وللدهر أيام تسىء عوامدا وتحسن إن أحسن غير عوامد

، وحدثنى يا سعد عنها فزدتنى جنونا فزدنى من حديثك يا سعد

، إن الزمان على الكرام لئيم .

ويقول :

متى يدرك الأحسان من لم تكن له إلى طلب الأحسان نفس تنازع

وبعد فهذا نهاية حديثنا عن شعر ابن المعتز وبه ينتهى الباب الرابع من أبواب الرسالة ويلي ذلك الباب الخامس والله ولى التوفيق

الباب الثالث

ابن المعتز

وأثره فى النثر الأدبى

— ١ —

وابن المعتز مع أنه شاعر مشهور كاتب من كبار الكتاب فى عصره بل هو إمام الكتاب فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى ، فهو أجل المترسلين وشيخ المنشئين والذى بلغ فى عصره الذورة فى بلاغة القول وسحر البيان وسمو الأسلوب ، وتدوول كلامه ورواه النقاد والأدباء والكتاب والمؤلفون فى شتى العصور كما فعل الصولى والحصرى وسواهم ، وينقل الثعالبى من كلامه « قلائد وروائع » وشيي بها كتابه سحر البلاغة [١]

نبغ فى عصر ابن المعتز كثير من الاعلام فى النثر والكتابه ، كعبيد الله ابن سليمان بن وهب ، وأبى العباس بن ثوابه ، وأبى الحسن على بن الفرات ، ومحمد ابن داود الجراح ، وعلى بن عيسى بن الجراح وسواهم ممن كتبوا للمعتمد والمعتضد والمكتفى؛ وكان ابن المعتز على رأس هؤلاء الفحول فى النثر والترسل، وخلف هو وطبقته طبقة الكتاب التى كان يتزعمها الجاحظ شيخ البيان العربى م ٢٥٥ هـ ، وكان هو وطبقته يحتذون الجاحظ وأسلوبه وتفكيره وابن المقفع فى حكمته

(١) « سحر البلاغة طبع مطبعة الترقي بدمشق ، ١٦٨ /١ زهر

وأخلاقياته ودراسته وتوجيهه ونصائحه للمجتمع ، ويجعلون النثر كما جعلوا الشعر وسيلة فنية للتعبير عن الحياة فى جدها ولهوها وعن الطبيعة ومشاهدها والوجود وآثاره والمجتمع ونقده والأفكار العامة وتصويرها والآراء والمذاهب والعلوم والفنون وتحليلها رغم كثرة الأسباب التى كانت تدعو إلى فتور أمر الكتابة وهبوط منزلتها ، من ضعف التشجيع وخطر الشعوبية وانصراف الناس إلى العلوم العقلية وجهل الكثير بأصول الكتابة وأدواتها مما حفز ابن قتيبة إلى تأليف كتابه « أدب الكاتب »

- ٢ -

تمتاز كتابة ابن المعتز الادبية بسلاسة الاسلوب وجماله وإشراقه ، وبسمو المعانى ودقتها وغلبة روح الحكمة والنقد الاجتماعى والتوجيه الخلقى عليها ، وبصدورها عن طبع مطبوع ، وفطرة جياشة ، وعقل واسع الثقافة والتفكير ، واضح الاتجاه والراى ، سليم الفكرة والمنزع .

وكتابته تمثل فوق ذلك شخصيته ، وترشد إليها وتدل عليها بوضوح ؛ وهو فيها قليل الاقتباس من غيره ، يسجع فيها سجعا قصير الفقرات جميل الاثر ، وقد يستغنى عن السجع أحيانا فيقطع الجملة تقطيعا فنيا دقيقا له جماله وسحره .

وموضوعات نثره الفنى تدور غالبا حول التهنئة والتعزية والاعتذار والاستعطاف والشفاعة والنصائح والآداب والحكم والاخلاق والوصف وسوى ذلك من شتى الاغراض والموضوعات .

ونحن ننتقل من هذا الاجمال الموجز الى التحليل الواسع لنثره الفنى وخصائصه الادبية العامة .

- ٣ -

وأسلوب التشبيه الذي رأيناه سمة واضحة فى شعر ابن المعتز يظهر كذلك

واضحا كثيراً فى نثره الادبى ، وكذلك ألوان البديع من وطبـــاق وتجنيس وكذلك السجع وسواه ، مما يراه القارىء لنثره والباحث فيه .

يقول فى شجرة الكرم :

الكرمة شجرة مكرمة شريفة العنصر ؛ تزهو بورق يجلو البصر، كأنه السندس الاخضر ، وتضحك عن ثمر حلو المخبر ، كأنه شماريخ الجوهر ، وكبائس الشذر المعنبر ، استخرجته الايام من الغمام ، ونقلته الازمان إلى ضمائر الاغصان ، فصار غذاء يراه العيان بعد أن كان هواء خفى المكان ، ثم عاد ماء كالزعفران ، وكعصارة المرجان ، لطيف المنظر ، جميل المصور ؛ يدل على حقيقته شيئان : لون معصفر ، ونسيم معطر ، كأنه المسك الازفر (١)

ويقول فى الشراب :

الشراب مشمة الملك ، وتاج بدره ، وعروس مجلسه ، وتحفة نفسه وشفاء حزنه (٢) .

فتجد فنا خالصا ، وتصويرا ساحرا ، وروح الصنعة الواضحة فى كلماته وجمله وفصوله ، ونجد التشبيه والاستعارة واضحتين غالبتين على أسلوبه ، كما تجد السجع أهم خصائص هذا الاسلوب . والسجع يشيـــع فى نثر ابن المعتز فى موضوعاته الفنية الخالصة ، فتجده يقول فى الشراب . يمازج الاشباح ، ويراوح الارواح ، ويؤدى الى نشأة ، القوى ، وانبساط الهوى ، ويعفى من الحذر ونصبه والتحرز وتعبه الخ (٣) ، ويقول فى فصل له . قد ملت اليك فما أعتدل ، ونزلت بك فما أرتحل ، ووقفت عليك فما أنتقل ، ويقول (٤) . ذكرت حاجة فلان ، لا فصلها الله بالنجاح ، ولا يسر بابها لانفتاح ، فانه خبيث النية ، فاسد الطوية ، جائر المعاتب

(١) ٧ فصول التماثيل

(٢) ١٠ فصول التماثيل .

(٣) ١٢ فصول التماثيل

(٤) ٥١ رسائل ابن المعتز ، ٢٩١ الاوراق قسم أخبار أولاد الخلفاء

طالب للمعايب ، يقلب لسانه بالملق ، ساتر بالتخلق وجه الخلق ، موجود عند الرجاء مفقود عند البلاء ، ويقول . قد آن للحق أن يتضح[١] ، وللباطل أن يفتضح ؛ ويقول فى سر من رأى : كتبت من بلد أنهض الله مكانها ، وأقعد حيطانها ، فشاهد اليأس فيها ينطق ، وحبل الرجاء فيها يقصر ، فكأن عمرانها يطوى وخرابها ينشر ، وقد تمزقت بأهلها الديار ؛ فما يجب فيها حق جوار ؛ كوكبها يقظان ؛ وجوها عريان ؛ وحصباؤها جوهر ، ونسيمها معطر ؛ وترابها أذفر ؛ ويومها غداة وليلها سحر الخ[٢] .

وأحيانا يعمد ابن المعتز فى نثره إلى المزاوجة والتقطيع ، فيقول فى بشار : وشعره أنق من الراحة ، وأصفى من الزجاجة[٣] . وأحيانا يرسله إرسالا دون تقيد بسجع ، أو حرص على ازدواج ، فيقول : الحق فى منادمة النظراء هو وجه المناصفة ، وترى التحفظ ، وقد كان يقال : إن من الأدب تركك الأدب عند من لا تحتشمه ، فأما منادمة العظماء فشرائطها أكثر من منافها ، عند من عقل أمره ، وحصل فكره[٤]

ونثره يصور لك ثقافته الواسعة ، وعقليته الناضجة ، وتفكيره العميق ، وهو أظهر دلالة من شعره على ذلك ، فتجده يقول : حفظ الله النعمة عليك وفيك ، وتولى إصلاحك والاصلاح لك ، وأجزل من الخير حظك ، ومن عليك وعلينا بك[٥] ؛ ويقول فى التعزية : لئن حرم الأجر ببرك ، لقد كفر الاثم بعقوقك ، ولئن فجعت بفقده ، لقد أمنت الفتنة به[٦] ، ويقول لأستاذه الدمشقى : قيد نعمتى عندك بما كنت استدعيتها به وذب عنها أسباب سوء الظن واستدم ما أحب منى بما

---

(١) ٥٧ رسائل ابن المعتز ، ورقة ٢٥ من الاوراق قسم الفقه ر مخطوط

(٢) ٥٨ رسائل ابن المعتز ، ٢٤٢ /٢ معجم البلدان ، ٨٢ /١ النثر الفنى

(٣) ٤ طبقات الشعراء لابن المعتز (٤) ٧١ فصول التماثيل

(٥) ٥٠ رسائل ابن المعتز ، ٩٧ /٢ ديوان المعانى

(٦) ٤٩ رسائل ابن المعتز ، ٢٩٠ الاوراق قسم أخبار أولاد الخلفاء

أحب منك[١] ، ويقول : الله يعلم أن خيالك شمس نفسى إذا نمت ، وذكرك سراجها إذا انتبهت[٢] ، وفصوله القصار مثال لدقة تفكيره وعمق إدراكه وسعة ثقافته .

ويتراوح نثره الفنى بين الجملة القصيرة الدالة على حكمة أو المسوقة لغرض آخــر ، والرسالة الطويلة يصف بها مشاعر نفسه ، وخلجات عواطفه ، وشتى إحساساته ؛ مما تراه فى كتابنا « رسائل ابن المعتز » الذى أغنانا نشره عن الافاضة والتحليل والإطناب فى هذا الباب .

وقد كان نثر ابن المعتز مرجعا أدبيا هاما فى عصره وبعد عصره ، حتى احتذاه أئمة الكتاب ، وكبار المنشئين ، احتذاء ظهر أثره فى إنتاجهم الأدبى ، وظهر به تفوق ابن المعتز عليهم ، وصحة طبعه وجمال صنعته فى أسلوبه مما لم يدانوه فيه ، ويظهر ذلك من هذه الموازنات القليلة :

(ا) يقول ابن المعتز يعتذر للقاسم الوزير : ترفع عن ظلمى إن كنت بريئا ، وتفضل بالعفو إن كنت مسيئا ، فوالله إنى لأطلب عفو ذنب لم أجنه ، وألتمس الاقالة مما لا أعرفه ، لتزداد تطولا ، وأزداد تذللا ، وأنا أعيذ حالى عندك بكرمك من واش يكيدها ؛ وأحرسها بوفائك من باغ يحاول إفسادها ، وأسأل الله تعالى أن يجعل حظى منك بقدر ودى لك ، ومحلى من رجائك بحيث أستحق منك[٣] .

فقد احتذى ابن زيدون معانى ابن المعتز فى هذه الرسالة وضمن الكثير منها رسالته الجدية التى استعطف بها ابن جهور أمير قرطبة وهو محبوس فى سجنه ، وإن شئت فاقرأ قول ابن زيدون فيها .

« ما هذا الذنب الذى لم يسعه عفوك ، والجهل الذى لم يأت من ورائه حلمك ، والتطاول الذى لم يستغرقه تطولك ، والتحامل الذى لم يف به احتمالك ، ولا أخلو من أن أكون بريئا فأين العدل ؟ أو مسيئاً فأين الفضل ؟ » .

---

(١) ٥٤ رسائل ابن المعتز ، ٢٦٩ / ٢ زهر

(٢) ٥١ رسائل ابن المعتز ، ٢٩١ الاوراق أخبار أولاد الخلفاء

(٣) ٥٤ رسائل ابن المعتز ، ٢٢٧ / ١ زهر ، ٢٩٢ الاوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء

ب — ويقول ابن المعتز فى مطلع رسالة له إلى عبيد الله بن سليمان الوزير :
أخرتنى العلة عن الوزير أعزه الله ، فحضرت بالدعاء فى كتابى لينوب عنى ، ويعمر ما أخلته العوائق منى الخ [١] .

ويقول البديع الهمذانى م ٣٩٣ من رسالة له :

« يعز على أطال الله بقاء الرئيس أن ينوب فى خدمته قلمى عن قدمى ، ويسعد برؤيته رسولى دون وصولى ، ويرد مشرع الأنس به كتابى قبل ركابى ، ولكن ما الحيلة والعوائق جمة : وعلى أن أسعى وليس على إدراك النجاح .

بل أن الشعراء أخذوا كثيراً من معانى نثر ابن المعتز ونظموه فى شعرهم ، مما يشهد بمقدرته وتفوقه ؛ قال ابن المعتز : الموت سهم مرسل اليك وعمرك بقدر مسيره اليك » ؛ أخذه بعض الشعراء فقال :

الموت سهم مرسل والعمر قدر مسافته

الى غير ذلك من مظاهر التأثر والاحتذاء ، التى يغنينا ما ذكرناه عن مزيد الافاضة فيها .

— ٤ —

وتشتمل آثار ابن المعتز فى النثر الأدبى والكتابة الفنية على :

أولا — رسائل ابن المعتز إلى أصدقائه من رجالات الدولة وعظمائها وأمرائها وكبار الشخصيات فيها والأدباء والشعراء الذين اتخذهم له أصدقاء وإخوانا ؛ وقد جمعت طائفة منها ونشرتها فى « رسائل ابن المعتز » ، وهى لا شك أنها قليلة بالنسبة لما له من رسائل ، ولكنها على أى حال كل ما أمكننا العثور عليه فى شتى كتب الأدب وأصوله إلى الآن .

---

(١) ٥٥ رسائل ابن المعتز ، ٢٢٦ /١ زهر ، ٢٠٠ /٢ ديوان المعانى

ثانيا — ولابن المعتز رسالة طويلة فى الغناء ومذاهبه ورأيه فى التجديد فيه ، وقد بعث بها الى صديقه ابن حمدون [١] ، وهى مفقودة لم نعثر عليها للان ، ولا شك أنها كانت تفيدنا كثيرا لو أن الحظ ساعدنا فى العثور عليها .

ثالثا — نثر ابن المعتز الوصفى ، وفى كتابنا « رسائل ابن المعتز » بعض منه كوصفه لسر من رأى ، وللحمام وللجيش ، وسوى ذلك ؛ ومن هذا الباب كثير مما كتبه ابن المعتز فى كتابه « فصول التماثيل » .

رابعا — الفصول القصار ، وسنعرض له بشىء من التحليل والشرح فى هذا البحث .

— ٥ —

الفصول القصار لابن المعتز :

وهو كتاب فى الحكم والآداب والاخلاق والاجتماع والسياسة ، وقد أشار اليه فى كتابه البديع [٢] ، مما يدل على أنه ألفه قبل عام ٢٧٤ ه ، وهو العام الذى ألف فيه كتابه البديع [٣]

وهو مفقود ، وقد جمعت منه طائفة كبيرة عثرت عليها فى شتى كتب الادب [٤] .

وعلى نهجه وضع الشهاب الخفاجى كتاباً مشابها له سماه الفصول القصار ، أشار اليه ونقل منه كثيرا فى كتابه « الريحانة » [٥] . كما نقل الماوردى م ٤٥٠ ه فى كتابه أدب الدنيا والدين عنه كثيراً من الحكم مما ترى بعضه مذكورا فى هامش « رسائل ابن المعتز » .

والفصول القصار تأثر فيه ابن المعتز بالحكمة الفارسية عامة وحكم ابن المقفع

---

(١) ١٤١ / ٩ الاغانى

(٢) ص ٩٠

(٣) ١٠٦ البديع

(٤) ٦٤ — ٧٦ رسائل ابن المعتز

(٥) ٢٨١ بعدها ريحانة الالبا

على الخصوص، كما تأثر فيه بالحكم الاجنبية التي نقلت الى الادب العربي[1]

والكتاب دليل على نبوغ كبير، وعبقرية فذة، وذكاء شديد، وتفكير بعيد، لشاعرنا ابن المعتز؛ وهو تصوير لكثير من الآداب الشخصية والفضائل الخلقية؛ وتحليل لأخلاق المجتمع ودراسة لنفسية الجمهور، ولحاشية السلطان؛ ونحن نعرض عليك ألواناً من حكمه الاجتماعية المبثوثه فى الكتاب :

قال ابن المعتز :

فساد الرعية بلا ملك كفساد الجسم بلا روح .

ــ الملك بالدين يبقى، والدين بالملك يقوى .

ــ المعروف رق والمكافأة عتق، والمعروف غل لا يفكه إلا شكر أو مكافأة .

ــ يكفيك للحاسد غمه بسرورك .

ــ عبد الشهوات أذل من عبد الرق .

ــ الزهد فى الدنيا الراحة العظمى .

ــ لولا ظلمة الخطأ ما أشرق نور الصواب .

ــ لا تتعرض لعدوك فى دولته، فانها إذا زالت كفتك مؤونته .

ــ العقل غريزة تربيها التجارب .

ــ لا تصح للكذاب رؤيا لأنه يخبر عن نفسه فى اليقظة بما لم ير، فتريه نفسه فى النوم ما لا يكون .

والحكمتان الأخيرتان من أدق الحكم التي يمكن أن يهتدى إليها عقل إنسان، والاولى منهما لها أثرها فى التربية الحديثة، والثانية كشف لاسرار «الاحلام» التي عجز العلماء عن فهمها وتعليلها حتى العصر الحديث، وذلك دليل على نضوج فى التفكير ودقة فى تصوير الاشياء وعمق فى فهم الامور والحكم عليها .

وهذا هو نهاية حديثنا عن ابن المعتز وأثره فى النثر الادبى .

---

(١) ومن كتب الحكمة التي ترجمت إلى العربية كتاب «سر الاسرار فى الحكمة» الذى ترجم فى زمن المأمون (٢٤ /٢ كشف الظنون)

الباب الرابع

ابن المعتز
وأثره في النقد الأدبي

— ١ —

وابن المعتز أديب من الأدباء الذين ألموا بالثقافات المختلفة التي حفل بها معاصروه وزخرت بها بيئته في عصره ، وكان علمه بالشعر ونقده له ونفوذه فيه وفي فهمه وقدرته على الموازنة بين الآثار الادبية المختلفة محل تقدير وإعجاب من رجال الادب وعلماء الشعر وأئمة النقد .

وله في النقد الادبي آثار كثيرة متعددة أهمها : سرقات الشعراء ، ورسالته في محاسن ومساوىء شعر أبي تمام ، وطبقات الشعراء ، وآراء كثيرة أخرى جمعت الكثير منها في « رسائل ابن المعتز » . وسنتناول ذلك كله بالشرح والتحليل والدراسة في هذا البحث بتوفيق الله .

— ٢ —

سرقات الشعراء لابن المعتز :

ا — كتاب مفقود ، ويشير إليه الآمدي كثيرا [1] ، وورد ذكره في الفهرست ووفيات الاعيان وشذرات الذهب ومقدمة ديوانه .

---

(١) ١١٧ و ١٢٠ و ١٢٩ و ١٦١ الموازنة ، وكذلك ذكره الامدي في ص ١٤٥ المؤتلف والمختلف

والسرقات ألف فيها بعض العلماء قبل ابن المعتز ، وخاصة فى سرقات البحترى وأبى تمام الذين شغلا الناس والنقاد لشعرهما أمدا طويلا ؛ فلابن السكيت م ٢٤٤ ﻫ كتاب سرقات الشعراء (١) ، وللزبير بن بكار م ٢٥٦ ﻫ كتاب إغارة كثير على الشعراء (٢) ، ولاحمد بن أبى طاهر طيفور م ٢٨٠ ﻫ كتاب سرقات البحترى من أبى تمام (٣) ، وقد أخرج للبحترى ستمائة بيت مسروق منها ما أخذه من أبى تمام خاصة نحو مائة بيت (٤) ، وقد أخرج سرقات أبى تمام فأصاب فى بعضها وأخطأ فى البعض لأنه خلط الخاصى من المعانى بالمشترك بين النـــاس مما لايكون مثله مسروقا (٥) ؛ ولأبى الضياء بشر بن يحي كتاب سرقات البحترى من أبى تمام وكتاب السرقات الكبير (٦) ؛ ولجعفر بن حمدان الموصلى م ٣٢٣ كتاب السرقات (٧) ؛ وقد ألف أحمد بن عمار م ٣١٤ ﻫ فى سرقات أبى تمام ومهلهل بن يموت فى سرقات أبى نواس (٨) ؛ كما ألف السجستانى فى القرن الرابع فى سرقات أبى تمام ؛ وللآمدى فى السرقة كتاب الخاص والمشترك مـــن المعانى وكتاب فى أن الشاعرين لاتتفق خوا طرهما . وللخا لدى رسالة صغيرة اسمهـــا ظلامة أبى تمام وضعها على لسان أبى تمام يشكو الواعظ الموصلى ، وكان كثير الأغارة فى كلامه وشعره على شعر أبى تمام (٩)

---

(١) ١٠٨ فهرست

(٢) ١٦١ فهرست

(٣) ٢١٠ فهرست ، ١٦٦ و ١٧١ الوساطة (٤) ١٣١ الموازنة

(٥) ٥١ الموازنة ، وينقد الآمدى كثيرا من الابيات التى عدها ابن أبى طاهر من سرقات أبى تمام (٥١ ـــ ٦٠ الموازنة)

(٦) ١٤٩ الموازنة ، ٢١٣ فهرست ، ١٦٦ الوساطة وكتابه الاول ينقل عنه الامدى فى الموازنة (١٣٧ ١٤١) ثم ينقده (١٤٩ ـــ ١٥٧ الموازنة)

(٧) ٢١٣ الفهرست (٨) ١٠٦ الوساطة

(٩) راجع ٣٠٤ ـــ ٣٠٩ الريحانة

ب — والكتاب مع أنه مفقود يوجد منه بعض نصوص متفرقة فى شتى كتب الأدب تعطينا صورة عامة لبحوثه وموضوعاته ونحن نشير إلى بعض هذه النصوص الآن .

١ — نقل الآمدى فى موازنته بعضا من بحوث الكتاب . فهو ينقل عنه شرحا لبيت لذى الرمة وينقده فى هذا الشرح [١] ؛ ويقول وأنشد ابن المعتز فى كتاب سرقات الشعراء لسلم يعيبه بردى الاستعارة فى قوله يرثى الهادى .

لولا المقابر ما حط الزمان به   لا بل تولى بأنف كله دامى

وقال (ابن المعتز) . هذا ردىء كأنه من شعر أبى تمام [٢] ؛ وينقل عنه رواية ذكرها ابن المعتز ورواها عن أبى العتاهية فى شعر ابن مناذر الشاعرم ١٩٧ هوالتهكم بما فيه من غريب (٣) ؛ وينقد ابن المعتز بيت امرىء القيس .

لها ذنب مثل ذيل العروس   تسد به فرجها من دبرها

لأن ذيل العروس مجرور ولا يجب أن يكون ذنب العروس مجرورا ولا قصيرا [٤] ، قال الآمدى . وقد عيب على امرىء القيس . قوله « لها ذنب ولا أرى العيب لحق امرأ القيس فى هذا ، لأن العروس إذا كانت تسحب ذيلها وكان ذنب الفرس إذا مس الأرض فهو عيب فليس ينكر أن يشبه الذنب به وإن لم يبلغ أن يمس الأرض لأن الشىء إنما يشبه بالشىء إذا قرب منه أو دنا من معناه ، ولأن امرأ القيس أراد السبوغ والكثرة والكثافة ألا تراه قال . تسد به فرجها من دبر الخ [٥] ، ثم يقول الآمدى . وقد استقصيت الاحتجاج لبيت امرىء القيس فيما بينته من سهو أبى العباس ابن المعتز فيما ادعاه على امرىء القيس من الغلط فى كتابه الذى جمع فيه سرقات الشعراء [٦] .

---

(١) ١١٧ الموازنه ، ٣٦ ومابعدها رسائل ابن المعتز
(٢) ١٢٠ الموازنة ، ٣٥ رسائل ابن المعتز
(٣) ١٢٩ الموازنة ، ٣٦ رسائل ابن المعتز
(٤) ٣٥ الموشح
(٥) ١٦٠ الموازنة
(٦) ١٦١ الموازنة

٢ — كما ينقل عنه صاحب الموشح كثيراً كنقد ابن المعتز لامرىء القيس[١] وللذايغة[٢]، ولزهير[٣]، وللأعشى[٤].

ولذلك بالطبع جزء من محتويات كتاب سرقات الشعراء وهو يبين لنا بوضوح منهج بحث المؤلف فيه .

ج — أما متى ألف هذا الكتاب فلا نجد على ذلك دليلا ، وأغلب ظنى أنه ألف قبل كتاب البديع أى نحو عام ٢٧٠هـ ثم ألف بعد ذلك كتابه « الفصول القصار » ثم كتابه « البديع » ، ويرجح ذلك عندى أن شخصية ابن المعتز فيه كانت ما تزال متأثرة بحياة التلمذة والدراسة والتعليم ، وكثيرا ما يقول فيه . « وقال مؤدبى أبو سعيد محمد بن هبيرة الاسدى » مما يدل على أنه كان فى عهد التلمذة أو قريبا منه .

(د) وموضوع الكتاب على أى حال لا يقتصر كما رأينا على بيان سرقات الشعراء بل يتناول مع ذلك انتاج فحول الشعراء بالنقد واحصاء آراء النقاد فى شعرهم وبيان أخطائهم التى أخذت عليهم ؛ وذلك عمل كبير فى النقد ومجهود حافل فى الحكم على الشعراء .

— ٣ —

طبقات الشعراء لابن المعتز .

(ا) واسمه الكامل . « طبقات الشعراء فى مدح الخلفاء والوزراء » ، ومنه نسخة خطية بمكتبة الاسكوريال (رقم ٢٧٩ أدب) بعنوان « المختار من طبقات

---

(١) ٣٤ — ٣٦ الموشح ، ٣١ ، ٤٠ رسائل ابن المعتز

(٢) ٤٣ وما بعدها الموشح ، ٤٠ و ٤١ رسائل ابن المعتز

(٣) ٤٧ وما بعدها الموشح ، ٤١ و ٤٢ رسائل ابن المعتز

(٤) ٥٦ وما بعدها الموشح ، ٤٢ و ٤٣ رسائل ابن المعتز

الشعراء لابن المعتز [١] ؛ أو « مختصر طبقات الشعـراء [٢] . ونشره عباس اقبال على نفقة لجنة جب التذكارية(٣).

(ب) وأول مقدمة الكتاب يظهر فيها أسلوب بعيد عن أسلوب ابن المعتز وعصره ، والظاهر أنه تحميد لأحد نساخ الكتاب كتبه فى أول نأضافه النساخ بعده الى أصل الكتاب .

ويقول ابن المعتز فى مقدمة الكتاب . عقد الفكر طرفى ليلة بالنجوم ؛ لوارد ورد على من الهموم ، نفض عن عينى كحل الرقاد ، وألبس مقلتى حلل السهاد ، فتأملت فخطر فى بعض الافكار ، أن أذكر فى نسخة ما وضعته الشعراء من الاشعار فى مدح الخلفاء والوزراء والامراء من بنى العباس ، ليكون مذكورا عند الناس ؛ متابعا لما ألفه ابن نجيم قبلى بكتابه المسمى « طبقات الشعراء الثقات» مستعينا بالله المسهل الحاجات ؛ وسميته طبقات الشعراء المتكلمين من الادباء المتقدمين فكان أول ترجمة ابن نجيم بشار بن برد ؛ فاختصرت ذلك . وذكرت ما كان شاذا من دواوينهم . وما لم يذكر فى الكتب من أشعارهم ، واقتصرت على ما كان من مطولات قصائدهم وبالله الاستعانة ومنه التوفيق [٤].

جـ — وأول ترجمة فى الكتاب هى بشارم ١٦٧ هـ ، وأقصى شاعر متأخر ترجم له ابن المعتز هو الناشىء م ٢٩٣ هـ ، [٥] ومحمد الشيرازى الذى يقول فيه المؤلف : وهو اليوم شاعر زماننا ، وجميع التراجم التى يحتوى عليها الكتاب والتى تبلغ أكثر من ١٣٠ ترجمة هى لشعراء عاشوا بين هذين التاريخين ، وقد جمع ابن المعتز فيه الشعراء المخضرمين من طبقة بشار ثم المحدثين من طبقة ابن نواس وأبى

---

(١) راجع معجم المخطوطات العربية (٢) ٢/١٦٣ زيدان

(٣) ومنه نسخة بمكتبة الأزهر (٣٠٢٧ تاريخ) ، وأخرى بمكتبة الجامعة (٣٠٥٩٠) ، وأخرى بدار الكتب الملكية (١٣٥٥٢ ز)

(٤) ص ١ طبقات ابن المعتز

(٥) ص ١٩٨ المرجع

تمام والبحترى ، ويكاد لايترك شاعرا من هؤلاء ، وهو استقصاء لانجد له مثيلا فى أى مصدر أدبى آخر

د والكتاب يصور اتجاهات الشعراء ومذاهبهم وبيآتهم أدق تصوير ، وفيه تفصيل للخصائص الفنية فى شعر المحدثين وكثير من والموازنات الأدبية ، والشرح الأدبى لكثير من النصوص ، وكثير من المختارات للشعراء الذين ذهب شعرهم وضاعت دواوينهم ، وكثير من الآراء القيمة فى النقد ، ويشيع فيه الذوق الأدبى فى العرض والبحث والنقد والأختيار والترتيب

د ـ هذا والكتاب حافل بالأحكام الأدبية المتعددة التى ترسم لك مذهب كل شاعر وخصائصه واتجاهه الادبى وأساتذته فى الشعر ونظمه ؛ فيقول فى ابن الضحاك : وهو غلام أستاذه والبة[1] ؛ وفى أبى هفان : وهو من غلمان أبى نواس ورواته [2] ؛ ويقول فى الحارثى : كان شاعر مفلقا مفوها مقتدرا مطبوعا على الشعر ، وكان لايشبه شعره شعر المحدثين وكان نمطه نمط الاعراب وهو أحد من نسخ شعره بماء الذهب [3] ؛ ويقول فى ربيعة الرقى : وشعره فى الغزل يفضل على أشعار هؤلاء من أهل زمانه وعلى كثير من قبله ولا أحد أطبع ولا أصح غزلا منه [4] ؛ ويقول : قال الاخيطل : أنشدت أبا تمام شيئا من شعرى فقال : أذهب إذا شئت فليس للناس بعدى غيرك [5] إلى غير ذلك من آراء فى النقد وأحكام على الشعراء ، وبيان لقيمة القصائد الفنية ، وموازنات أدبية بين الشعراء

هـ ـ والكتاب لم يقسمه ابن المعتز إلى طبقات كما فعل ابن سلام ، وإنما عدد الشعراء وحلل كل ما يتصل بهم وبشعرهم تحليلا واسعا ، فهو يسير على النمط الذى سار عليه ابن قتيبة مع اختلاف فى الاتجاه والغاية .

---

(١) ١٢ٸ طبقات ابن المعتز
(٢) ١٩٥ المرجع
(٣) ١٣٠ المرجع
(٤) ٧٠ المرجع
(٥) ١٩٥ المرجع

والظاهر أنه ألف بعد عام ٢٩٣ هـ ، وهو الذى توفى فيه الناشىء الذى ترجم له فى الكتاب (١) ، وهوحين يذكر شاعرا حيا من معاصريه يشير الى أنه موجود كما قال عن الشيرازى « وهو اليوم شاعر زمانه » ، فخلو ترجمة الناشىء من ذلك دليل على أنه ألف بعد وفاته ؛ وربما كان لاقامة الناشىء فى مصر آخر حياته أثر فى ذلك ؛ وعلى أي حال فالكتاب فيما أعتقد ثمرة من ثمرات ابن المعتز التي أخرجها للعربية فى أواخر حياته ، وهو ثمرة ناضجة مثمرة ، لها الأثر فى النقد وأحكامه ودراسة الشعراء وفهم آثارهم .

— ٤ —

رسالة ابن المعتز فى محاسن شعر أبى تمام ومساويه : —

١ — وأبو تمام قد شغل النقاد طول القرن الثالث والرابع الهجرى ، ألفوا فى سرقاته ونقده ، وصنف فيه الصولى م ٣٣٦ هـ « أخبار أبى تمام » قاصدا به تبيين فضل الطائى [٢] ؛ ووازن الآمدى م ٣٧١ هـ بينه وبين البحترى مع ميل إلى البحترى وتقديم له ، وللحاتمى م ٣٨٨ هـ مناظرة بينه وبين أعرابى حول أبى تمام والبحترى وكان الأعرابى متعصبا للبحترى والحاتمى لأبى تمام [٣]

وأول من كتب فى نقده ابن المعتز ، فألف فيه رسالته فى محاسن شعره ومساويه ، وقد روى المرزبانى جزءا منها إن لم يكن ما أثبته فى كتابه هو كل الرسالة ، وقد نشرناها فى كتابنا « رسائل ابن المعتز » [٤] ، ولقدامة كتاب الرد على ابن المعتز فيما عاب فيه باتمام [٥] ، وللامدى كتاب فى الرد على ابن عمار فيما خطأ فيه أبا أتمام [٦] .

(١) ص ١٩٨

(٢) ٩ أخبار أبى تمام (٣) ٢٠ — ٢٧ / ٣ زهر

(٤) ٣٠٧ — ٣١٩ الموشح ، ١٩ — ٣١ رسائل ابن المعتز

(٥) ١٨٨ فهرست ، ٢٠٤ / ٦ معجم الادباء نشر مرجليوث

(٦) ٨٦ / ٨ معجم الأدباء نشر رفاعي

ب — والرسالة لها قيمتها فى النقد وهى أصل من أصول الموازنة التى اعتمد عليها الامدى فى نقد شعر أبى تمام.

ويقول ابن المعتز فى أولها : ربما رأيت فى تقديم بعض أهل الأدب الطائى على غيره من الشعراء إفراطا بينا فأعلم أنه أؤكد أسباب تأخير بعضهم إياه عن منزلته فى الشعر لما يدعوه اليه اللجاج ، فأما قولنا فيه فانه بلغ غاية الاساءة والإحسان فكان شعره قوله :

إن كان وجهك لى تترى محسنه — فانك بى تترى مساويه

ينقد ابن المعتز أبا تمام فيها ويعيبه بفساد المعنى حينا وببعد الاستعارة وسوء المطابقة أو التكلف الفنى وكثرة الغريب المستكره أو بالحشو فى بعض أساليبه أو بقبح كثير من ابتداءته أو بسرقاته الكثيرة أو بتباين أسلوبه أو باسفافه إلى ماسوى ذلك أحيانا أخرى

وموضوع الرسالة كما يؤخذ من عنوانها ذكر محاسن شعر أبى تمام ومساويه، ولكن بحوث ابن المعتز فيها تدل على أنه لم يرد منها إلا ذكر مساويه ، وربما كان ذلك دليلا على على أن مابين أيدينا إنما هو جزء من الرسالةوأن باقيها مفقود ولعله أشار فى هذا الجزء المفقود إلى بعض خصائص أبى تمام التى استحسنها له النقاد

- ٥ -

أراؤه الأخرى فى النقد

ولابن المعتز أراء كثيرة أخرى فى النقد الأدبى تجدها فى« رسائل ابن المعتز» فهو يمدح المحدثين وشعرهم « لأنه يجب الا يدفع إحسان محسن عدوا كان أو صديقا » ويطلب العدالة فى الحكومة الأدبية [١] وهو يرد

(١) ١٣ و ١٤ رسائل ابن المعتز

على ابن المدبر الذى كان يتعصب على أبى تمام[١] وهو يشيد بشاعرية البحترى وروائع آثاره الادبية[٢]، وهو فطن بالشعر ممتاز فى نقده[٣]، كثير العناية بالبيان والنقد[٤]، يشيد المحدثين كبشار وسواه[٥]، إلى غير ذلك من آرائه فى النقد التى تدلك على كبير مكانته وأثره فى هذا الباب

- ٦ -

وبعد فابن المعتز علم من أعلام النقد الممتازين فى عصره، وهو رفيع المكانة عظيم المنزلة فى هذا الفن؛ بل هو أعظم نقاد عصره آثارا، وأكثرهم عناية بالبحث فى النقد والتأليف فيه،، ألف فى طبقات الشعراء وفى السرقات، وتناول بعض الشعراء وشعرهم بالنقد، ودرس مشاكل النقد التى أثيرت فى عصره وكتب فيها، ولكنه لم يؤلف كتابا فى أصول النقد الأدبى كما فعل قدامة بعده فى كتابة «نقد الشعر» الذى رسم فيه خطه محكمة لنقد الشعر استمدت منها البلاغة منهج البحث والتأليف فيها. وذلك لا يغض من مكانته فى النقد كامام من أئمته وعلم من أعلامه. والله أعلم

وبذلك ينتهى الباب الرابع من أبواب الرسالة ويليه الباب الخامس.

---

(١) ١٢ و١٣ المرجع
(٢) ٣٦ المرجع
(٣) ١٦ و ١٧ و ٣٨ و ٤٤ المرجع
(٤) ١٠ رسائل ابن المعتز
(٥) ٣٢ و ٣٤ وما بعدها المرجع

الباب الخامس

ابن المعتز

وأثره فى البيان العربى

— ١ —

ولابن المعتز منزلة كبيرة فى البيان العربى فقد ألف فيه كتابه « البديع »، الذى عدد فيه شتى أساليب البديع ومحاسن الشعر كما عرفها ابن المعتز وعصره، وهذا الكتاب ليس قاصرا على البديع بالمعنى الضيق المحدود، لأن ابن المعتز يذكر فيه الكناية والاستعارة والتشبيه وهى من صميم البيان العربى، يذكر فيه الكناية ولكنه يريد بها معناها اللغوى وهو أعم من المعنى الاصطلاحى المعروف، فاذا قلنا إن ابن المعتز ألف فى البيان فقد سرنا مع الحق والتفكير السليم، وإذا قلنا إنه ألف البديع فقد ضيقنا دائرة البحث بغير مبرر، وإن كان البديع فى الاصطلاح المتأخر جزءا من البيان، وإن كان البديع بالمعنى القديم المعروف عند بعض علماء البلاغة يرادف كلمة البيان أو البلاغة.

فابن المعتز إذاً ذو أثر كبير فى البديع، وعلى وجه الدقة له أثره فى البيان العربى ودراساته وذلك ما سنتناوله الان بالحبث والتحليل.

— ٢ —

كان ابن المعتز من أئمة البيان فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى،

وله فى ذلك آراء عظيمة الأهمية ناضجة التفكير [١] ؛ وقد أهتم بنوع خاص من أنواع البيان هو أساليب البديع وألوان الترف فى الأداء ،

كان ابن المعتز يحتذى حذو أبى تمام فى صنعة البديع ، ويوشى شعره بشتى ألوانه يقصدها قصدا ويتعمدها تعمدا ؛ ويصوغ شعره فنا تغلب روح الصناعة فيه ملكات الطبع والفطرة ؛ وكان مع ذلك « يتحقق بعلم البديع تحققا ينصر دعواه فيه لسان مذاكرته » [٢] ، وألف فيه عام ٢٧٤ هـ كتابه « البديع » [٣] وسنه إذا ذاك سبعة وعشرون عاما ، مما يدلنا على أن ابن المعتز لم يتمش فى العقد الثالث من عمره حتى كان قد قتل الشعر العربى حفظا ورواية ودرساو فهما

وكان لكتابه البديع دوى فى المجامع الأدبية ، ثم شاع وذاع وتلقفته الأيدى وعكف العلماء والأدباء ، عليه وصار مصدرا ممتازا من مصادر الدراسات البيانية بعد عصر ابن المعتز ، ثم فقدت نسخ الكتاب الخطية وقل تداوله ولم يبق له أثر إلا مانقرأ عنه فى شتى كتب البيان والبديع ، ولكن العناية شاءت أن يحفظ من الكتاب نسخة خطية واحدة هى الوحيدة فى العالم وهى فى الاسكوريال (برقم ٨ ٣ أدب) ، وقد نشرها المستشرق الروسى المعاصر أغناطيوس كراتشقوفسكى عضو أكاديمية العلوم بلينغراد وعضو المجمع العلمى العربى بدمشق وذلك عام ١٩٣٥ ، وقد تسنى بعمل هذا المستشرق الاطلاع على هذا الكتاب الفذ النادر والافادة بما فيه من بحوث تعتبر المصدر الاول للمؤلفين فى البلاغة وفن البديع

وقد قمت بشرح هذا الكتاب والتعليق عليه وتصحيحه ونشرته عام ١٩٤٥ ،

---

(١) راجع وصفه لبلاغة القرآن (٦٣ رسائل ابن المعتز) ، وتعريفه للبلاغة بأنها بلوغ المعنى ولم يطل سفر الكلام (٦٤ رسائل ابن المعتز ، ١٥٧ /١ زهر ، ٤٦٢ /١ وفيات ، ٢١٧ /١ العمدة ، ٢٢٣ /٢ شذرات ٢٩٦ الاوراق ، ١٢٨ /١ حاشية السبكى على التلخيص) ، وله كلمة فى الحكمة والبلاغة (٦٣ رسائل ابن المعتز ، ١٤٩ /١ زهر)

(٢) ١٠ رسائل ابن المعتز ، ١٢٣ /٤ زهر

(٣) راجع ١٠٦ البديع

فكان ذلك إحياء لكتاب ابن المعتز، ومساهمة كبيرة فى خدمة الثقافة البلاغية، وسعيا لتداول أهم وأول مصدر ألف فى البديع

والكتاب أول مؤلف فى البديع وصنعة الشعر كما أجمع على ذلك جميع الباحثين (١)، وهو أهم كتب ابن المعتز بالنظر إلى اختصاصه فى هذا الفن (٢)، ويعد فتحا جديدا (٣)، ويقول ابن المعتز نفسه: وما جمع فنون البديع ولا سبقنى إليه أحد (٤)

ولقب البديع ليس لقبا مستحدثا فى عهد ابن المعتز، ولكنه اسم لهذه الالوان الساحرة فى الاسلوب، ولهذا الترف البيانى فى الاداء، من تشبيه واستعارة وتجنيس وتطبيق وسوى ذلك؛ سماه به مسلم بن الوليد الشاعر م ٢٠٨ هـ، وكان يعرف قبل ذلك باللطيف (٥)، ودرج على هذا اللقب من بعده من العلماء والادباء وفى الاغانى أن الاصمعى م ٢١٦ هـ كان يفضل بشارا لانه أكثر تصرفا وفنون شعر وأغزر وأوسع بدعا (٦)، وذكر الجاحظ البديع وبعض المشهورين به من الشعراء وأنه مقصور على العرب ومن أجله فاقت لغتهم على كل لغة (٧)، وذكر كثيرا من الشعراء الذين أكثروا منه فى شعرهم ورأى أنه لم يكن فى المولدين أصوب بديعا من بشار وابن هرمة (٨)، ويقول ابن المعتز: البديع

---

(١) ٢٢٥ / ١ العمدة، ١٤٦ / ١ معاهد التنصيص، ٢٧٦ الزيات، ٤٥ / ٢ أدب اللغة لمحمد بك دياب ط ١٩٠٠، ١٤٨ / ١ كشف الظنون، ٦٩٣ / ١ البستانى، ١٩١ الاسكندرى، ١٠٥ أدب اللغة للظواهرى

(٢) ١٦٣ / ٢ زيدان

(٣) ٢٨٠ المجلد الاول من دائرة المعارف الاسلامية، وراجع فى الاشادة به: ٩٢ — ١٠١ الصبغ البديعى فى اللغة العربية للاستاذ أحمد موسى، ١٠٣ — ١٠٧ تاريخ البلاغة العربية للاستاذ الشعراوى، وهما مخطوطان بمكتبة كلية اللغة

(٤) ١٠٦ البديع

(٥) ١٠ / ٢ معاهد التنصيص

(٦) ٢٥ / ٣ الاغانى

(٧) ٢٤٢ / ٣ البيان

(٨) ٥٤ و ٥٥ / ١ البيان

اسم موضوع لفنون من الشعر يذكرها الشعراء ونقاد المتأدبين منهم فأما العلماء بالشعر القديم فلا يعرفون هذا الاسم ولا يدرون ماهو [١] ؛ والبديع ونشأته فى اللغة العربية موضوع عناية الباحثين المحدثين ، فرأى المسيومرسيه أن الزخرف الفنى وألوان البديع قد وصلت إلى العرب من اليونان [٢] ، ورأى باحث أنه عنصر أصيل فى اللغة العربية وإن شاركتها فى ذلك بعض اللغات [٣] ، وشاهد ذلك القرآن الكريم فهو أثر عربى صرف وهو مع ذلك يشتمل على ألوان من البديع ، والخواص الفنية الموجودة فى القرآن توجد كذلك فى الشعر الجاهلى كما أثبته صاحب جمهرة أشعار العرب فى مقدمتها ، وهى موجودة كذلك فى الآثار الادبية التى عاصرت القرآن كالحديث وخطب الخلفاء والولاه الذين شهدوا عصر النبوة [٤] ؛ والحق أن البديع أصباغ عربية خالصة كثرت ألوانه وتطورت زمنا بعد زمن ، وزدت قوة هذا التطور بتأثير الفرس واليونان ، فالاستعارة والتشبيه وكثير من هذه الاساليب تشترك فيها سائر اللغات [٥] ولقد عرف البديع فنا منذ نشأ الادب العربى ، أما معرفته علميا فابتدأ من عصر بشار وأبى نواس ومسلم ، ثم عرف بصورة أوضح فى عهد أبى تمام والبحترى وابن المعتز وبما كتبه عنه الجاحظ مؤلف البيان

– ٤ –

وموضوع كتاب البديع ذكر لالوان البديع وشواهدها فى الادب العربى شعرا ونثرا ، يذكر مؤلفه ما أثر للون البديعى من شاهد فى كتاب الله ثم فى حديث رسوله ثم فى كلام الصحابة الأعراب وبلغاء الكتاب ثم فى الشعر العربى الجاهلى

---

(١) ١٠٦ البديع (٢) ٤٤ / ١ النثر الفنى
(٣) ٤٥ / ١ وما بعدها النثر الفنى
(٤) ٤٧ / ١ النثر الفنى
(٥) راجع : نقد النثر ، مراجعات للعقاد

فالاسلامى فشعر المحدثين ، ويختم كل لون بذكر ماعيب من شواهده المتكلفة السقيمة ، والكتاب حافل بشتى النصوص التى جمعها ابن المعتز وساقها فى عرض جميل ونظام محكم

وكان الباعث لابن المعتز على تأليف هذا الكتاب أن يعلم كما يقول : « أن بشارا ومسلما وأبا نواس ومن تقيلهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن — البديع — ، ولكنه كثر فى أشعارهم فعرف فى زمانهم حتى سمى بهذا الاسم فأعرب عنه ودل عليه ثم إن حبيب بن أوس الطائى شغف به حتى غلب عليه وأكثر منه فأحسن فى بعض وأساء فى البعض الآخر وإنما كان يقول الشاعر من ذلك الفن البيت والبيتين فى القصيدة وربما قرئت من شعر أحدهم قصائد من غير أن يوجد فيها بيت بديع »[1] فالغرض الأول منه « تعريف الناس أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين إلى شىء من أبواب البديع »[2]

لقد نشأ ابن المعتز فى عصر لم يخل من آثار التعصب للتراث الأدبى القديم ومن المنكرين لمذاهب المحدثين فى البيان والناعين عليهم ما افتنوا فيه من ألوان البديع التى أكثر منها بشار ومدرسته ثم مسلم وأبو تمام ومن جاء بعدهما ، فكان لا بد لابن المعتز أن يدافع ويناضل هؤلاء المتعصبين ، نعم لقد وقف ابن المعتز بين مذهبين فى البيان متنا قضين : مذهب المحدثين الذى يؤثره ويسير عليه فى الشعر وفهمه ونظمه ، ومذهب القدماء المتعصبين للقديم الذين كانوا يزدرون نهج المحدثين وقصدهم وتكلفهم للبديع ، ولكنه انتصر بفطرته وذوقه للمذهب الأول الذى أحبه وشغف به ، فأخذ يدافع عنه ، وألف فى ذلك كتابه البديع الذى أثبت فيه أن ألوان البديع كانت معروفة عند الشعراء القدامى والاسلاميين وألموا بها فى شعرهم كما ألم بها المحدثون فهى ليست غريبة على الشعر الجاهلى والاسلامى

---

(١) ١٥ و ١٦ البديع ٧٤ و ٨ الموازنة

(٢) ١٨ البديع

وليس جديدة على أساليب البيـان فى شعر المحدثين، وليست بدعا جديدا فى الأدب والشعر كما ذهب اليه من تعصبوا للأدب القديم واعتزوا بفحولة الشعر الجاهلى وجزالته وأنكروا مذاهب المحدثين فى صناعة الشعر وسهولته وتكلف البديع فيه.

وكان دفاع ابن المعتز رائعا قويا موفقا استحق عليه تقدير المنصفين من النقاد.

ولون الثقافة الشائعة فى الكتاب هى الثقافة العربية العميقة الخالصة عن شوائب الثقافات الأخرى، فقد ألفه ابن المعتز وهو فى سن الشباب قبل أن يطلع ويلم ويتعمق فى دراسة آثار الثقافات الأخرى.

وإذا ما وازنا بين البديع لابن المعتز وفصول التماثيل أحد مؤلفاته فى أواخر حياته وجدنا الاول عربيا خالصا فى ثقافته من حيث كان الثانى مظهرا لثقافة منوعة مختلفة الاصباع اولالوان.

— ٥ —

وألوان البديع عند ابن المعتز خمسة: — الاستعارة — التجنيس — المطابقة — رد العجز على الصدر — المذهب الكلامى.

ويجعل ما عدا ذلك من محاسن الكلام والشعر ويقول انها كثيرة ولا يرى حرجا فى اضافة هذه المحاسن أو غيرها الى البديع [١]

وذكر من هذه المحاسن: الالتفات. الاعتراض. الرجوع، حسن الخروج، تأكيد المدح بما يشبه الذم. تجاهل العارف. الهزل الذى يراد به الجد. حسن التضمين. التعريض والكناية. الافراط فى الصفة. حسن التشبيه. لزوم ما لا يلزم. حسن الابتداء.

---

(١) ١٠٦ البديع

- ٦ -

فابن المعتز قد جمع من ألوان البديع ثمانية عشر لونا ، ولقد عاصره قدامة بن جعفر الكاتب الذى جمع منها عشرين نوعا ، اشترك مع ابن المعتز فى سبعة منها وهى : الغلو أو الافراط — التشبيه — الاستعارة — الكناية ويسميها قدامة الأرداف مريدا بها المعنى الاصطلاحى للكناية فى حين أن ابن المعتز يريد بها المعنى اللغوى - التكافؤ وهو عند ابن المعتز المطابقة - المطابق أو المجانس وهو عنده باب التجنيس - الالتفات ، وانفرد قدامة بثلاثة عشرة هى : التصريع - المقابلة - المساواة - الايغال - الاستطراف - صحة التقسيم - صحة التفسير - المبالغة وهى غير الغلو عند قدامة - الاشارة (الأيجاز) — التمثيل التميم — الترصيع وهو أن تكون أجزاء البيت مسجوعة — التوشيح [١] ؛ وهذه الانواع الثلاثة عشر التى استقل بها قدامة إذا أضيفت إلى السبعة عشر نوعا التى جمعها ابن المعتز يكون البديع قد وصل فى عهد قدامة إلى ثلاثين نوعا ، ثم تتبع الناس هذه الالوان ، فجمع أبو هلال منها فى الصناعتين سبعة وثلاثين نوعا منها ٣٩ ذكرها أبو هلال فى باب أنواع البديع [٢] ومنها التشبيه الذى ذكره فى باب مستقل [٣] غير الباب الذى عقده للبديع وإن كان لا يشير إلى أنه من البديع ، فيكون الجميع ثلاثين نوعا يضاف اليها سبعة من زياداته [٤] وهى : التشطير — المجاورة — الاستشهاد — المضاعفة (التورية) — — التطريز — — التلطف — المشتق : ثم جمع ابن رشيق من ألوان البديع مثل ما جمع أبو هلال وأضاف اليها فى عمدته خمسة وستين بابا فى بحث الشعر ، وتلاه شرف الدين الشاشى فبلغ بها أكثر من ذلك ، ثم تكلم فيها ابن أبى الاصبع المصرى م ٦٥٤ هـ فأوصلها إلى التسعين فى كتابه الجيد « تحرير التحبير فى علم

---

(١) سماه على بن هارون المنجم تسهيما وسماه ابن وكيع المطمع وسماه المتأخرون إرصادا وهو أن يدل صدر البيت على قافيته (٢) ٢٥٨ صناعتين وما بعدها

(٣) ٢١٦ — ٢٤٩ صناعتين (٤) ٣٩٩ — ٤١٧ صناعتين

البديع » ، ثم صنف ابن منقذ كتابه التفريع فى البديع جمع فيه خمسة وتسعين نوعا ثم جاء صفى الدين الحلى م ٧٥٠ هـ فجمع ١٤٠ نوعا فى بديعيته فى مدح الرسول التى سماها « الكافية البديعية » وشرحها بنفسه ثم حذا الناس حذوه ونظموا كثيرا من البديعيات . وأما السكاكى فذكر تسعة وعشرين نوعا من البديع ، وقد ذكر صاحب التلخيص من البديع المعنوى ثلاثين نوعا ومن اللفظى سبعة ؛ وقد ألم بتطور البديع فى اختصار كثير من الباحثين [1]

- ٧ -

وابن المعتز قد تأثر فى كتابه البديع بأستاذه ثعلب وكتابه قواعد الشعر ويسير على نهجه فى العرض وذكر الأمثلة لبعض الألوان البديعية ودراستها : كالتشبيه والاستعارة والأفراط ولطافة المعنى (التعريض) وحسن الخروج . أما المطابقة عند ابن المعتز فهى مجاورة الاصدار عند أستاذه ، وأما التجنيس عند ابن المعتز فمن ألوانه عند ثعلب « المطابق » واحتذى قدامة فى ذلك اللون وتسميته حذو أستاذه ثعلب .

كما جمع ابن المعتز من البيان والتبين كثيراً من شواهد البديع من النثر الأدبى ، وكذلك اخذ من الحماسة قليلا من شواهده الشعرية .

-٨-

أما أثر ابن المعتز وكتابه البديع فى بحوث البيان وفى الدراسات البيانية وعلماء البلاغة وكتبها التى ألفت بعده فنحن نشير إليها الآن :

---

(١) راجع ٩٢ عقود الجمان للسيوطى ؛ ٤٦٧/٤ وما بعدها حاشية السبكى على التلخيص ؛ ٤٥/٢ تاريخ آداب اللغة لمحمد دياب بك وسوى ذلك من المراجع

ابن المعتز وقدامة :

وأثر ابن المعتز وكتابه البديع فى قدامة قليل ويتجلى فى :

ا — أن كثيرا من مثل الاستعارة عند قدامة [1] تجدها عند ابن المعتز

ب — ويذكر قدامة أن المحدثين أكثروا من الطباق وإن كان الأعراب قد أتوا بكثير منه [2] ، وذلك هو أساس الفكرة التى بسطها ابن المعتز[3] فى البديع

حـ — والالتفات كما عرفه قدامة أخص من تعريف ابن المعتز له ، أو هو جزء منه كما يقولون

ولكن التفاوت بين الكتابين كثير :

ا — فالطباق عند ابن المعتز يسميه قدامة التكافؤ ويذكر مثل له لاتجدها فى البديع [4]

ب — ويجعل قدامة المطابق نوعا من أنواع التجنيس [5] كأستاذه ثعلب [6]

حـ — وروح الكتابين ومنهجما مختلفة كل الاختلاف ومع أن قدامة كان كابن المعتز تلميذ الاستاذه ثعلب [7] إلا أن الغالب عليه هو تأثره بأرسطو وخطابته : سواء فى أفكاره العامة فى نقد الشعر التى سبقه إليها الجاحظ وسواء ممن تأثروا بثقافة اليونان ، وذلك كدعوته إلى حسن الدلاله ووضوح العبارة وفصاحة اللفظ وخلوه من اللحن واستكراه الأغراب ؛ ومن ذلك أراؤه فى التشبيه والاستعارة والكناية والتجنيس ، ونظريته فى الفضائل الذى تأثر فيها بأرسطو إلى حد بعيد

---

(١) ١٠٤ — ١٠٦ نقد الشعر (٢) ٨٦ نقد الشعر

(٣) ١٦ البديع (٤) ٨٥ وما بعدها نقد الشعر

(٥) ٩٦ نقد الشعر (٦) ٢٤ قواعد الشعر

(٧) ويكثر قدامه من ذكره والاشارة إليه (٤٥ و ٤٦ و ٨٤ و ١٠٤ و ١١٣ نقد الشعر)

ويمكننا أن نقول : إن بحوث النظم وعناصر البلاغة فى نقد الشعر وفى البيان والتبيين هى مدينة لأرسطو كثيرا ، أما بحوث صناعة الشعر فهى أو الكثير منها مما يستقل به ابن المعتز فى بديعه؛ والسبيل الذى سلكه الجاحظ كانت خطوة جريئة فى سبيل تدوين عناصر البلاغة والنظم ، كما كان عمل قدامة فى النقد ذائع الأثر كبير القيمة ، وكما كان عمل ابن المعتز خطوة جريئة لتدوين البديع ، وإنى أرجح أن جد قدامة هو قدامة حكيم المشرق الذى ذكره الجاحظ فى رسائله عرضا وروى شعراله (١) ، أما والده فهو جعفر ابن قدامة صديق ابن المعتز الحميم م ٣١٩ هـ ، وأما قدامة فقد تتلمذ مع ابن المعتز على ثعلب ولكنه تعمق فى الفلسفة وفى ثقافة اليونان وجاء إنتاجه مصطبغا بصبغة خاصة يدل عليها كتابه نقد الشعر والذى ألف الآمدى كتابا فى نقده وتبيين غلط قدامة فيه (٢) ، كما ألف عبد اللطيف البغدادى م ٦٢٩ كتابا فى شرحه (٣)

ابن المعتز والآمدى :

والموازنة للآمدى تتخذ البديع مصدرا كبيرا من مصادرها العلمية ، تأخذ منه وتعتمد عليه إلى حد كبير :

١ — فنشأة البديع وأن المحدثين وأبا تمام ليسوا أول السابقين إلى اختراعه يفيض فى شرحها الآمدى (٤) نقلا عن ابن المعتز

٢ — وذكر الآمدى أبا تمام وإفساده لشعره بالبديع نقلا عن كتاب ابن المعتز (٥)

---

(١) ٦٦ رسائل الجاحظ

(٢) ٢٥ : الموازنة ، ٥٨ / ٣ معجم الادباء

(٣) ٧ / ٢ فوات ، وللبغدادى كتاب قوانين البلاغة وله اختصار الصناعتين (٧ و ٨/٣ فوات) ، وفى كشف الظنون يذكر كتابى تكملة الصلة فى شرح نقد قدامه (٢٤٦ / ١) وكشف الظلامة عن قدامه (٤٠ / ٢ كشف الظنون) وينسب الاول لعبد اللطيف بن يوسف ولعله هو شرح البغدادى لنقد الشعر ، والكتاب الثانى لعله رد على من نقد قدامة كالآمدى وسواه

(٤) ٦ — ٨ الموازنة (٥) ٨ و ٩ و ٦١ الموازنة

٣ — ويشيد بفضل ابن المعتز وعلمه بالشعر وحسن اختياراته فى كتاب البديع [١]

٤ — ويذكر الامدى مثلا كثيرة للتجنيس بعضها مأخوذ من كتاب البديع وصرح بذلك الامدى أيضا [٢]، وينقد الامدى قدامة فى مخالفته لابن المعتز فى تسميته الطباق تكافؤا [٣]، إلى غير ذلك من مظاهر التأثر والاحتذاء.

ابن المعتز وصاحب العمدة :

وابن رشيق فى عمدته يرجع إلى البديع ويحتذيه :

١ — فهو يشير إلى الكتاب وينوه به [٤]

٢ — وينقل عنه تعريف ابن المعتز للتجنيس ويقول : وهو أول من نحا هذا النحو وجمعه (٥)

٣ — وباب التصدير (رد العجز على الصدر) فى العمدة [٦] تأثر فيه بابن المعتز إلى حد كبير ونقل فيه من البديع وأشار اليه [٧]

٤ — والالتفات عند ابن رشيق هو الاعتراض ولذلك ذكر من شواهده الشواهد التى ذكرها ابن المعتز للاعتراض [٨]

ويقول ابن رشيق : وقد أحسن ابن المعتز فى العبارة عن الالتفات بقوله هو انصراف المتكلم من الأخبار إلى المخاطبة ومن المخاطبة إلى الاخبار [٩]

٥ — والاستثناء عند ابن رشيق هو توكيد المدح بما يشبه الذم [١٠]

---

(١) راجع ٤، موازنة فى شرح بيت البحترى تخفى الزجاجة لونها ؛ وهو فى البديع (ص ١٢٩)

(٢) ١٢١ و ١٢٢ الموازنة

(٣) راجع ١٢٤ الموازنة

(٤) ٢٣٥ ج ١ وما بعدها العمدة

(٥) ٩٩ / ١ العمدة

(٦) ٣ ‍ ‍ ٥ / ٢ العمدة

(٧) ٤، ٥ / ٢ العمدة

(٨) ٤٢ — ٤٤ / ٢ العمدة ، ١٠٨ البديع

(٩) ٤٤ / ٢ العمدة ، ١٠٦ البديع

(١٠) ٤٥ / ٢ العمدة ، ١١١ البديع

٦ ـــ والمذهب الكلامى فى العمدة منقول من البديع (١)

٧ ـــ وبعض شواهد باب التضمين مأخوذة من البديع (٢)

ابن المعتز والباقلانى :

وأبو بكر الباقلانى م ٤٠٣ هـ يعتمد فى كتابه إعجاز القرآن على بديع ابن المعتز اعتمادا كبيرا :

فهو ينقل منه مثلا للبديع (٣) ، ويذكر معنى المطابقة عند ابن المعتز (٤) ، وينقل عنه تعريفه للتجنيس (٥)

ابن المعتز وأبو هلال :

وكتاب الصناعتين لابى هلال فى الباب التاسع الذى وقفه على دراسة أنواع البديع (٦) وفى دراسته لباب التشبيه أيضا (٧) يكاد يكون صورة مطابقة لبديع ابن المعتز ، فهو يعرض اللون البديعى كما عرضه ابن المعتز وينقل كثيرا من شواهد كتاب البديع ولا يزيد عليها إلا القليل من شعر الشعراء المتأخرين عن عصر ابن المعتز

وعلى أى حال فقد اطلع أبو هلال على البديع وأخذ منه (٨)

ابن المعتز وعلماء البلاغة :

وكثير من علماء البلاغة المتأخرين قد اعتمدوا على كتاب ابن المعتز اعتمادا وثيقا :

ا ـــ فالحلبى م ٧٢٩ هـ وصاحب حسن التوسل إلى صناعة الترسل ينقل عنه

---

(١) ٧٥ و٧٦ /٢ العمدة ، ١٠١ البديع

(٢) ٨٣ /٢ العمدة ، ١١٤ البديع   (٣) ٦٩ - ٧٢ إعجاز القرآن

(٤) ٧٩ إعجاز القرآن   (٥) ٨١ المرجع ، ٥٥ البديع

(٦) ٢٥٧ ـــ ٢٩٩ الصناعتين   (٧) ٢٢٦ وما بعدها المرجع

(٨) راجع ٢٩٨ صناعتين

تعريف ابن المعتز للاستعارة (١) وللالتفات (٢)، ويشـــير إلى الاستطراد وأن ابن المعتز يسميه الخروج (٣) وينقل عنه شواهد كثيرة (٤)،

ب — وكذلك ينقل عنه ابن مالك فى المصباح كثيرا (٥)

جـ — وكذلك ينقل عنه الحموى م٨٣٧ هـ فى خزانة الادب كثيرا (٦)

د — وينوه به صاحب كشف الظنون وبأثره فى مؤلفات البديع (٧)

هـ — كما ذكره ونوه به وبقيمته العلمية كثير من الباحثين (٨)، وللأمير أسامة ابن منقذ كتاب سماه «البديع» أيضا (٩) ولم نطلع عليه لنرى منه مدى أثر ابن المعتز فيه؛ وكثير من شواهد البديع عند علماء البلاغة المتأخرين هي من شواهـــد ابن المعتز فى كتاب البديع

— ٩ —

خصائص الكتاب:

وللبديع أهمية كبيرة فى فهم نشأة البديع وتطوره فى البيـــان العربى على مر عصورنا الأدبية

وهو ينحو فى دراسة ألوان البديع إلى الدراسة التطبيقية الواسعة التى لها أثرها

---

(١) ٢٩ حسن التوسل

(٢) ٨٠ المرجع (٣) ٨١ المرجع

(٤) راجع مثلا ٨٧ حسن التوسل و ١١٤ البديع؛ ٨٦ حسن التوسل و ١٣٣ البديع

(٥) راجع مثلا ص ١٠٣ و ١٢٤ المصباح

(٦) راجع مثلا ص ٣ و ٥٦ و ٤ و ٢٢٥ و ٣٦٧ الخزانة

(٧) ١٤٨ / ١ كشف الظنون

( ) ٦٣ / ٢ زيدان، ٢٧٦ الزيات وسواهما

(٩) ١٤٩ / ١ كشف الظنون، ومنه نسخة خطية بمكتبة بلدية الاسكندرية رقم ١٣٤٤ ب في ١٢٩ ورقة وكتبت عام ٧١١ هـ

فى تكوين الملكة والذوق ودعم الفكرة والرأى فى نفس القــارى ، ويشتمل الكتاب على ٣١٢ شاهدا من عيون الشعر العربى تبلغ نحو ٤٢٥ بيتا أو تزيد فوق ما اشتمل عليه من بليغ النصوص والشواهد من الذكر الحكيم وحديث رسول الله وكلام الصحابة والأعراب وبلغاء الكتاب . والكتاب مع ذلك خلو من الاصطلاحات العلمية الدقيقة وتحديدات المنطقيين العميقة ، وهو يكتفى فى توقيفك على مدلول اللون البديعى يشرح أدبى موجز حينا وبما تدل عليه الشواهد حينا آخر وبأسلوب يفيض بلاغة وسهولة ؛ مما يدل على ذوق سليم وقطرة عربية مطبوعة.

وأهم سمة يمتاز بها الكتاب بعد ذلك كله هو النظام الدقيق فى العرض مما يتجلى فى جميع أبواب الكتاب ، مع حصافة الذوق وسعة الاطلاع وحسن الاختيار فى جميع شواهد الكتاب

وهو فوق ذلك أول خطوة علمية موفقة فى التأليف فى البديع والبيان أو إذا أغمضنا النظر عن الخطوة الأولى التى خطاها ثعلب فى كتابه قواعد الشعر ، كان عمل ابن المعتز جديدا مبتكرا من كل نواحيه وبذلك انتهى الباب الأخير من أبواب هذه الرسالة

والله تعالى ولى التوفيق والسداد ونسأله أن يمنحنا من رضائه وتأييده مايسير بنا إلى أنبل الغايات وأشرف السبل ونبتهل إليه أن يجعل هذا الكتاب خالصا لوجهه الكريم وأن يصلى ويسلم على رسوله العظيم محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه الأخيار المتقين .

القاهرة فى أول رمضان ١٣٦٨ ﻫ

٢٧ يونيو ١٩٤٩

المصادر

وقد اعتمدنا على كل ما أمكننا الاطلاع عليه والانتفاع به فى كتابة هذا الكتاب الذى أخذ منا مجهودا كبيرا ومشقة لا توصف

ولا يمكننا ذكر كل المراجع والمصادر التى رجعنا إليها فى البحث ، ونحن هنا سنشير الى أهمها

وأحيانا كانت تتعدد نسخ الكتاب وطبعاته بتعدد المكتبات التى رجعنا اليها وذلك مما اضطرنا الى الاشارة الى شتى الطبعا على أن أذكر الطبعة الغالبة هنا أما باقى الطبعات التى رجعت اليها فقد أشرت اليها فى موضعها من هامش الكتاب

والنصوص التى نقلتها هنا بعضها نقل حرفيا فأشرت الى موضعه من الكتاب الذى رجعت اليه وبعضها نقل بتصرف فكتبت قبل رقم صفحة الكتاب كلمة « راجع »

وجريت على أن أبدأ بذكر صفحة الكتاب ثم يليها رقم الجزء

وها هى ذى أسماء المصادر:

رسائل ابن المعتز طبع مصطفى الحلبى بالقاهرة ١٩٤٦

البديع لابن المعتز طع مصطفى الحلبى بالقاهره ١٩٤٥

فصول التماثيل لابن المعتز طبع القاهرة ١٩٢٥

طبقات الشعراء لابن المعتز نشر أوربا ١٩٤٢

ديوان ابن المعتز طبعة بيروت .

ديوان ابن المعتز نسخ خطية بدار الكتب الملكية

اليتيمة للثعالبي طبع القاهرة ١٩٢٤
الأوراق للصولي قسم أخبار المقتدر مخطوط بمكتبة الأزهر .
« « « أشعار أولاد الخلفاء ط القاهرة ١٩٢٦
« « « أخبار الشعراء ط القاهرة ١٩٣٤
الأغاني لأبي الفرج الاصبهاني ط بولاق ١٢٨٥
معجم الأدباء (إرشاد الأريب) نشر مرجليوث ١٩٢٣
البيان والتبيين للجاحظ نشر السندوبي ٢٦ و١٩٢٧
الفهرست لابن النديم طبعة الرحمانية
أدب الكتاب للصولي طبعة ١٣٤١ هـ
الموشح للمرزباني طبعة السلفية ١٣٤٣ هـ
تاريخ بغداد طبعة القاهرة ١٩٣١ م
ديوان المعاني لأبي هلال نشر القدسي ١٣٥٢ هـ
أمالي المرتضى طبعة القاهرة ١٩٠٧
نزهة الألباء في طبقات الأدبا للأنباري طبعة ١٢٩٤هـ
سمط اللآلي طبعة لجنة التأليف ١٩٣٦
خاص الخاص للثعالبي ط ١٣٢٦ القاهرة
كشف الظنون طبعة ١٢٧٤ هـ
مقدمة ابن خلدون — ضحى الاسلام
وفيات الأعيان لابن خلكان طبعة ١٢٩٩
شذرات الذهب لابن العماد م ١٠٨٩ طبعة القاهرة ١٣٥٠
المكافأة لأحمد بن يوسف طبعة بولاق ١٩٤١
معجم الشعراء للمرزباني ومعه المختلف والمؤتلف للآمدي
الرسالة العذراء لابن المدبر نشر زكي مبارك ١٩٣١
الأمالي لأبي علي القالي الطبعة الثانية ١٩٢٦

فوات الوفيات لابن شاكر م ٧٦٤ ه مطبعة مصر ١٢٩٩
معاهد التنصيص للعباسى طبعة ١٣١٦ ه القاهرة
الاصابة لابن حجر م ٨٥٢ ه طبعة ١٩٠٧ القاهرة
أشعار ابن المعتز وأخباره تصوير شمسى بدار الكتب الملكية ـ رسائل البلغاء
نشر محمد كرد على ١٩١٣ ــ محاضرات فى تاريخ الأمم الاسلامية ط ١٩٢٦
الكامل للمبرد طبعه التجاربة بالقاهرة ١٢٥٥ ه
العمدة لابن رشيق نشر محي الدين ١٩٢٤ ه
الشعر والشعراء لابن قتيبة طبعة القاهرة ١٩٣٢
أخبار أبى تمام للصولى طبعة لجنة التأليف ١٩٣٧ القاهرة
أعجاز القرآن للباقلانى طبعة القاهرة ١٣٤٩ ه
جمهرة أشعار العرب طبعة مصر ١٩٢٦
الخزانة للبغدادى طبعة المطبعة الأميرية بالقاهرة ونشر جزءا منها محي الدين
العقد الفريد لابن عبد ربه طبع القاهرة ١٩٢٨
مروج الذهب للمسعودى نشر الاستاذ محي الدين ـ زهر الآداب الطبعة الثانية
نشر الدكتور زكى مبارك ـ الجزء السابع من مهذب الأغانى للخضرى بك
ط القاهرة ٩٢٧ ـ الفرج بعد الشدة للتنوخى طبعة ١٩٣٨
ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب للثعالبي ط القاهرة ١٣٢٦
أدب الكاتب لابن قتيبة بهامش المثل السائر ـ المستطرف للأبشيهى
ط القاهرة ١٣٢٠ ه ــ حضارة الاسلام فى دار السلام ط ١٩٣٢
طبقات الشعراء لابن سلام ــ دائرة معارف البستانى
خزانة الأدب لابن حجة الحموى طبعة القاهرة ١٣٠٤ ه
حياة الحيوان للدميرى ط ١٣٠٥ ه ــ قواعد النقد الأدبي القاهرة ط ١٩٣٦

رسالة الغفران للمعرى طبعة هندية بمصر ١٩٠٣
ثمرات الأوراق بها مش المستطرف المطبوع ١٣٢٠ القاهرة
أخبار الظراف لابن الجوزى طبعة القاهرة ١٣٤٧ ه
الأذكياء لابن الجوزى طبعة القاهرة ١٣٠٤ ه
تاريخ الطبرى وذيله ، وتاريخ الكامل لابن الاثير ، وأبو الفداء
- الأبانة للعميدى . المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ط مصر ١٣١٦ ه
سلافة العصر لابن معصوم
ريحانة الألبا للشهاب الخفاجي طبعة القاهرة ١٢٩٤ ه
طراز المجالس « « « «
رسائل الجاحظ ط القاهرة ١٣٢٤ ه
التصحيف والتحريف لابى أحمد العسكرى ط القاهرة ١٩٠٨
الحيوان ، والاضداد للجاحظ
ثلاث رسائل للجاحظ ط السلفية بمصر ١٣٤٤ ه
الأدب الصغير لابن المقفع تاريخ النقد الأدبى عند العرب ط ١٩٣٧
مقدمة ابن خلدون - المخلاة للعاملى
إختيار المنظوم والمنثور لابن طيفور (مخطوط بدار الكتب)
أخبار النحويين البصريين للسيرافى نشر فرنسكوكرنك عام ١٩٣٦
روضة الادب لشهاب الدين الانصارى المصرى
الذخيرة لابن بسام ط لجنة التأليف الجزء ١ و٢ عام ١٩٤١و٩٤٢
نفح الطيب ط القاهرة ١٣٠٢ ه
سحر الشعر للثعالبى ط بغداد ١٩٢٢
قواعد الشعر لابى العباس ثعلب طبع ليدن ١٣٢٧

مختصر الحماسة ط محمود توفيق بالقاهرة الطبعة الثانية
ديوان ابن الرومى نشر كيلانى ١٩٢٤
« البحترى ط القاهرة ١٩١١
« ذى الرمة « بيروت ١٩٣٤
« أبى نواس « مصر ١٢٧٧
« ابن أبى ربيعة طبع مطبعة السعادة بمصر
« جرير ط القاهرة ١٣١٢
« أبى فراس ط بيروت ١٩١٠
« أبى تمام ـ القاموس المحيط . لسان العرب
رسائل الانتقاد لابن شرف القيروانى ـ حديقة الافراح لليمنى ط القاهرة ١٣٣٠ هـ
دلائل الاعجاز لعبد القاهر طبعه المنار ١٣٣١ هـ
أسرار البلاغة « « « « ١٩٣٩
سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى ط القاهرة ١٩٣٢
الشفاء لابن سينا (مخطوط)
الكشف عن مساوىء شعر المتنبى ط القاهرة ١٧٤٩ هـ
الصاحبى لابن فارس عقود الجمان السيوطى ط ١٣٢١ هـ
حسن التوسل إلى صناعة الترسل ط القاهرة ١١٣٥ هـ
الايضاح للقزوينى ط للقاهرة ١٣٤٨ هـ
المفتاح للسكاكى « « ١٣٤٨
المصباح لابن ابن مالك « « ١٣٤١ هـ
نقد النثر لقدامة ط القاهرة ط ١٩١٧ لجنة التأليف

الموازنة للآمدى طبعة صبيح بالقاهرة
الصناعتين لابى هلال « « «
الوساطة ط بيروت ـ نقد الشعر لقدامة ط القاهرة
تزيين الاسواق للأنطاكى ط القاهرة ١٣٢٠
ديوان الصبابة بها مش تزيين الاسواق المطبوع ١٣٢٠ ه
قراضة الذهب لابن رشيق ط القاهرة ١٩٢٦
مطمح الانفس مطبعة السعادة بمصر
البخلاء للجاحظ ط القاهرة ١٣٢٢ ه
طبقات الامم لصاعد الاندلسى م ٤٦٢ ظ مصر
الكشكول للعاملى نكت الهميان
المكتبة الاندلسية ط مدريد ١٨٨٢ م
حلبه الكميت للنواجى م ٨٥٩ طبعة القاهرة ١٩٣٨
التراث اليونانى لعبد الرحمن بدوى
ابن المقفع لمردم بك ط دمشق ١٩٣٠
الجاحظ « « « « «
مجلة الادب والفن مجلد عام ١٩٤٥
الطبع والصنعة فى الشعر للهياوى ظ القاهرة ١٣٥٨ ه
الاسلوب للشايب ط مصر ١٩٣٩
تاريخ البلاغة العربيـــة للأستاذ الشعراوى (مخطوط بمكتبة كلية اللغـــة العربية بالقاهرة
الصبغ البديعى فى اللغة العربية « أحمد موسى (« «
« اللغة العربية)

التمدن الاسلامى لزيدان جـ ٤ ظ الهلال ١٩٢٧ ؛
حـ ٥ ط الهلال ١٩٣١ ، حـ ١ و ٢ و ٣ ظ الهلال أيضا
نظرات فى الادب الاندلسى لـــكيلانى ظ القاهرة
الموشحات لعلام خليل (مخطوط بمكتبة كلية اللغة)
بلاغة العرب فى الاندلس لضيف ظ القاهرة ١٩٣٨
مقدمة لدراسة بلاغة العرب لضيف ــ الأدب العربى لمحمود مصطفى
مختارات البارودى سدرة الادب فى متشابهات العرب
أصول النقد الادبى للشايب ابن الرومى للعقاد ط القاهره
عصر المأمون لفريد رفاعى ط القاهرة
الوسيط فى الأدب العربى للاسكندرى والعنانى ط القاهرة ١٩٢٥
نظرات عامة فى الفقه الاسلامى لعلى حسن عبد القادر القاهرة ١٩٤٢
الفن ومذاهبه فى الشعر العربى لشوقى ضيف ط ١٩٤٣ القاهرة
التوجيه الأدبى للفيف من الاساتذه ظ القاهرة ١٩٤٠
النثر الفنى لزكى مبارك ط القاهرة ــ الادب العربى للزيات ١٩٣٥
تاريخ الأدب العربى فى العصر الجاهلى للاستاذ محمد هاشم
مطالعات للعقاد ط القاهرة ـ آداب العرب للرافعى نشر العريان
تاريخ آداب اللغة لزيدان ظ الهلال ١٩١٢
تاريخ الشهابى (الغرر الحسان) ظ ١٩٠٠
تاريخ آداب اللغة لمحمد بك دياب ط ١٩٠٠ ـ العصر العباسى للاسكندرى ١٩١٢
الأدب الجاهلى لطه حسين ظ القاهرة ١٩٣٣

مطبوعات للمؤلف

١ — وحى العاطفة ط ١٩٣٦ ٢ — نشيد الصحراء ط ١٩٤٧

٣ — شرح البديع لابن المعتز نشر مطبعة مصطفى الحلبى ط ١٩٤٥

٤ — رسائل ابن المعتز فى النقد والأدب والاجتماع نشر مطبعة مصطفى الحلبى ط ١٩٤٦

٥ — قواعد الشعر لثعلب شرح وتعليق المؤلف نشر مطبعة مصطفى الحلبى ط ١٩٤٨

٦ — التشبيه فى شعر ابن المعتز وابن الرومى ط ١٩٤٨ — المطبعة الفاروقية

٧ — الشعر العربى أوزانه وقوافيه مقرر العروض للسنة الاولى الثانوية بالازهر الشريف . نشر مطبعة مصطفى الحلبى ط ١٩٤٨

٨ — فن الشعر - مقرر العروض والقوافى لطلبة كلية اللغة العربية نشر مطبعه محمود صبيح بالازهر ط ١٩٤٩ — جزءان

٩ — توبة شاعر البطولة ط ١٩٤٩ — دار الأنوار

١٠ — فصيح ثعلب والشروح التى عليه ط ١٩٤٩ - مكتبة التوحيد بدرب الجماميز

١١ — الحياة الأدبية فى العصر الجاهلى نشر محمود توفيق ١٩٤٩

١٢ — أعلام الشعر الجاهلى - مكتبة الحسين التجارية ط ١٩٤٩ - بالاشتراك مع أستاذ

١٣ — ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان - مكتبة الحسين التجارية ط ١٩٤٩

١٤ — شعراء الجاهليه — مكتبة الحسين التجارية ط ١٩٤٩

١٥ — أحلام الشباب ديوان شعر دار الانوار ط ١٩٤٩

الفهرست

استدراك

ننوه هنا ببعض الاخطاء المطبعية ونترك باقيها اعتمادا على فطنة القارىء وإدراكه؛ والرقم الأول هو رقم الصحيفة، والثانى رقم السطر، والكلمة التى تليها هى الخطأ وما بعدها هى الصواب:

١٢	١٩	عهدا	عهده	٨١	٣	الصوج	الصبوح
١٣	٨	فقم	فنقم	٨٢	١٦	وشىءفصوله	وشتى فصوله
١٤	١٠	عهدا	عهد			من	
٢١	٤	نظار	نكاد	٨٧	٧	ينهتب	ينتهب
٤٠	١	طوثيه	طـــويلة	٨٩	١١	قصيدة. أستاذ	قصيدته استاذه
٤١	١٠	وهجا	وهجاه	٨٩	٢٠	شعرها	شعره
٤٣	١٩	٢٨٥	٢٧٥	٩٠	٩	لعقله	لعقليته
٤٣	٨و١٠	الكسرورى. الكروى	الكسروى	١٠١	٤	واجحمهم	وارجحهم
				١٠٣	٣	مغلق	مفلق
٤٣	١١	العزاء	الفـــراء	١٠٣	١٩	تلطف	تكاف
٤٤	٤	المغنيين	المغنين	١٠٧	٩	وخدمة	ومذمة
٤٨	٣	فردد	فردت	١١٠	١٥	كالغزل	فالغزل
٥١	١٠	القوانى	الغوانى	١١١	٩	فنزل	منزل
٥٢	٩	قربتـــه	قربت	١٢٦	١	حظرا	حظ
٥٦	١٣	حفيفـــا	حصيفا	١٣٢	١	إذ	إنى
٥٧	٢٠	تطول	كطول	١٣٢	١٩	يبغى	ينبغى
٦١	٢٢	فراح	فوات	١٣٩	٨	والجهد	ذا الجهد
٧١	٨	أمر	أمرا	١٣٩	١٦	أمكنك	أمكنتك
٧٤	١٠	الزراتسيـــة	الزرادشتية	١٤١	٨و٩	ليسا بشعر	
٧٤	١٥	جاورهن	جاورهم			«حذر»	«جـ»
٧٧	١٣	وأهله	بالغناء وأهله			وحيرها	«وخبرها
٨١	٢	القصول	القصـار	١٤٥	٦	مأخوذة	مأخوذ

١٥٩	٦٤و	بالحس	بالحسي	٢٨٣	٥	سلو الخ	يحذف هذا السطر
١٥٢	١٩	عرة	غرة				
١٦٧	١٨	واسمتيح	وأستميح	٢٨٥	٢٢	شبيه	تنبيه
١٦٨	٢١	ولا أبى	ولا ٔبى	٢٨٨	١٤	والحق	والجد
١٦٨	٦	لحسيني	لحيني	٢٩٣	١٦	السور	السرر
١٨٣	١٣	حريق	حريقا	٢٩٤	١	رقته فا	فارقته
١٨٦	٨	رأسه	رأسه إكليل	٢٩٤	١٩	السير	تسير
١٨٦	١١	الراحب	الراهب	٢٩٥	١٩	إذا	إذ
١٨٧	١٢	وتجرح	، وتجرح	٢٩٦	٣	لأنها	كأنها
١٨٨	١٢	فكانت	فكالات	٢٩٦	١٦	بدنى	بدنا
١٩١	١٧	حب . فل	صب . غفل	٢٩٨	٦	بيات	بنات
١٩٤	٥	ذهل	ذهن	٣٠٠	٢٠	الآسى	الآس
١٩٦	٧	أنسى	أنس	٣٠٣	٤	فكانت	فكالات
١٩٦	١٤	فبالغه	فبالغ	٣٠٣	١٠	تسبيت	تبيت
٢٠٠	١	الظل جنيباتها	الظل .جنباتها	٣٠٣	١٤	وانك	وان
٢١٣	٥	لايعدله	لايعدله جمال	٣٠٤	٧	السلام	للسلام
٢١٤	٧	حتى	،حتى	٣١٠	١٤	أغواها	أغوارها
٢٢٠	٢٠	ربية	ربيعة	٣١٤	٢١	تحاضرا	تناضرا
٢٢٣	١٧	عد	عدل	٣٠٥	٧	أسفح	أسفع
٢٢٩	٣	فطالع	فظالع	٣١٥	١٧	متوحص	مستوحش
٢٢٣	١٠	آخذ	آخذا	٣٢٣	١٧	٢٧٤ ، ٢٣٧	٣٧٤ ، ٣٣٧
٢٣٨	٢	فيجمله	فيجلله	٣٢٤	٥	ومبيتها	وبيتها
٢٠٩	٢	يستطيع	يستطع	٣٢٦	١٦	الفيم	الغيم
٢٤٨	٣	شيبنى	يشيبنى	٣٢٨	٢	سلالنها	سلاستها
٢٥٠	١٧	وجمال	وجمالا	٣٣٠	١١	سلٌ	سلى
٢٧٠	٧	وسلتس	وسلس	٣٣٢	٢٠	للتى	التى
.٧٠	١٠	وكذلك	وكذاك	٣٤٠	١	بالصفرة	تحذف
٢٧٢	١٣	متشبه	متبه	٣٤٠	٦	رحل	ارحل

٣٤١	٥	بقوله	فقوله	٣٦٤	٣	ولذلك	وذلك
٣٤٢	٦	أو.دته	أوردته	٣٦٥	٤	أول	اوله
٣٤٩	٩	اذكروا	اذا ذكروا	٣٦٨	٧	فاذك	فان دفعك
٣٥١	٢٢	درعيا	ورعيا	٥٥	٧	تبدن	تبدى
٣٥٢	٢٤	الرابع	الثانى	٣٦٩	٢	بلشعلر	بالشعر
٣٥٢	٢٥	الخامس	الثالث	٣٦٩	٣	المحدثين	بالمحدثين
٣٥٣	٩	وشيي	وشى	٣٧٠	١٠	البديع	فى البديع
٣٥٦	١١	وترى	و	٣٧٤	٦	م	هم
٣٥٦	١٢	منافها	منافعها	٣٧٧	١٠	الاصدار	الأضداد
٣٦٣	٩	هو	فى	٣٧٧	١٦	إليها	إليه
٣٦٣	١٠	دبرها	دبر	٣٧٨	٩	مثل	مثلا
٣٦٣	١	العروس (الثانية)	الفرس	٣٧٨	١٢	مختلفة	مختلفان